الشعر الحديث

تتمة

بقلم : رئيس التحرير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والحداثة في الشعر هي الغوص على المعاني ، والاتيان بكل حديث جديد ، يطرب السامع ، ويهز القارىء ، ويحرك المشاعر ، وتتجاوب معه النفوس ، والا فما هو معنى الحداثة ، اذا كانت ترديدا وتكرارا ، متحللة من كل ضابط ، منحرفة عن كل عرف ، هاربة من كل قانون . والذين يحاولون الهروب من الضوابط ، والقوانين ، والانظمة ، يخبطون في الشعر ، او في الكلمات التي ياتون بها ، ويسمونها شعرا حديثا ، او شعرا حرا، او شعرا مرسلا — الى اخر هذه التسميات — خبط العشواء ، ويروحون يرسلون اقلامهم ، تخط كلمات من هنا ، وكلمات من هناك ، دون عناية ، ودون اهتمام، بل دون انسجام ودون ترابط ، فتراهم يكررون كلمات معادة مكررة بين كل سطر وسطر ، يمجها الذوق ، ويملها السماع ، وينفر منها القارىء ، والقارىء هو الذي يمعن الفكر فيما يقرا ، ويفكر في العبارات والكلمات التي يقراها ، ويزنها بميزان العقل ، ويحسها بشعوره .

ان بعض الشعراء المحدثين ، اخذوا يتمادون بكل ما يكتبونه من شعر يسمونه حرا ، ولا نسميه حديثا ، انتفاء الحداثة عنه ، ولا يجوز ان نسميه حرا ، لان الحرية ، حتى الحرية ان لم تكن لها ضوابط اصبحت حرية الفوضى والاضطراب .

بعض هؤلاء الشعراء اخذوا يتمادون بشعرهم هذا ، ويرددون الكلمة الواحدة او الكلمات المتشابهة ، او العبارات الواحدة ، يرددونها في كل بيت من ابياتهم وفي القصيدة الواحدة ، يرددونها ويمطونها مطا ، وهم انما يمطون بها قصيدتهم التي لو حذفت منها هذه الزوائد المملة المتنافرة في السطور ، لانكمشت ، واصبحت عشر القصيدة التي تنفرش انفراشا عجيبا، وتنتثر انتثارا متبعثرا على ورقات وورقات ، ممتدة وممددة لتاخذ اكبر حيز على الورق ، لكي يقال عنها قصيدة طويلة ، او ملحمة ، وهي اشبه بملحمة الجزار الذي يعلق الارجل والارؤس معا ، ويخلط الامعاء بالمخ ، والكبد بالكوارع .

بعض هؤلاء الشعراء لم يكتفوا بمط الكلمات ، وترديدها ، وانما يجزئون المقطع الواحد ، او الشطر الواحد ، الى اجزاء وينثرونه على سطوز كثيرة ، تماما كالاشلاء المبعثرة ، دون ترتيب او نظام . والمقلدون لهؤلاء الشعراء وهم كثر في ايامنا هذه ، ينثرون الشطر الواحد ، ويجزئون المقطع الواحد الى كلمات ويهلكون بها السطور ، ويضيعونها ضياعا ، فترى مقطعهم هذا ، وقد اصبح في عدة سطور يمتد عليها اشلاء مبعثرة، بدون تناسق ولا تمازج ولا انسجام .

ونحن حينما نقول انهم ينثرون الشطر الواحد ، فانما نقول ذلك مجازا ، لان قصائدهم ، اكثر قصائدهم ، لا تحتوي على اشطر كما نعرفها في الشعر العربي ، والشطر في الشعر العربي هو نصف البيت الشعري ، ان عجزا وان صدرا ، لكن قصائدهم هذه ليست لها اعجاز ولا صدور ايضا ، ومن ثم ليس لها شطور ، لا شطر اول ولا شطر ثان ، فهي على الاصح عبارات وفقرات وكلمات ينثرونها نثرا على الورق . وهؤلاء المقلدون يشعرون على ما اعتقد ، بسهولة الكتابة في هذا النوع من الشعر الذي يسمونه شعرا حديثا وليس هو بشعر حديث .

ان هناك شعراء ينسجون على هذا المنوال ، لكن القارىء يشعر ويحس ، حينما يقرا شعرهم بان لديهم اصالة شعرية ، وخيالا خصبا ، وتفكيرا عميقا ، لكنهم ، ارادوا لانفسهم تمييزا ، وودوا ان يحدثوا في الشعر ، وان ياتوا بالجديد في قوالبه ، وفي انظمته ، وان ينهجوا فيه نهج الشعر الغربي ، لكنهم في الواقع اضاعوا كثيرا من الحقائق التي ما كان يجب ان تضيع عليهم ، ذلك لان الشعر العربي كما نعتقد يختلف اختلافا بينا عن الشعر الغربي ، والشعر العربي له طابع خاص يميزه تمييزا واضحا عن الشعر الغربي ، وله موسيقاه ، ووقعه المميز الجميل ، وله اوزانه المعبرة المتناسقة ، وله قوافيه الغنائية الراقصة المطربة .

ان هؤلاء الشعراء اضاعوا على انفسهم وعلى الشعر العربي فرصا لو لم يهملوها لاستطاعوا ان يجددوا في الشعر العربي تجديدا رائعا ، بما يملكونه من اصالة شعرية ، وخيال خصب ، وقريحة متفتحة ، دون ان يتخطوا طابعه المميز الجميل ، بل لاستطاعوا ان يحلقوا بالشعر العربي ، بالمعاني السامية التي يبدعونها ، وبالصور المجنحة التي يرسمونها ، وبالخيال الخصب الذي يحلقون به .

وهم يستطيعون بقوة الملكة الشعرية لديهم ان يحدثوا في المعاني الشعرية ، بل وفي الشكل ايضا دون ان يشوهوه تشويها يحاول طمس معالمه ، وهي المعالم التي تميزه عن غيره من الشعر في اللغات الاخرى ، غير لغة الضاد .

وهم يستطيعون ايضا بمواهبهم الشعرية ، ان يحدثوا ويجددوا في الجوهر دون المظهر الذي يصبغ طابعه العربي ، والعربي لا يمكنه ولا يستطيع تغيير مظهره الذي يميزه عن غيره من الشعوب ، ولا يمكن للعربي ان يقدر على تغيير ملامحه العربية التي تميزه تمييزا واضحا عن غيره من الامم الاخرى .

ان النثر العربي تطور تطورا عظيما من عصر ما قبل الاسلام لكنه لم يفقد طابعه العربي وملامحه العربية.

والشعر العربي تطور تطورا رائعا من عصر ما قبل الاسلام ، او العصر الجاهلي ، كما يسمونه ، واتى بالكثير من المعاني ، لكنه لم يفقد طابعه العربي ، وملامحه العربية .

لكن هذا النوع من الشعر الذي يدعونه « الشعر الحديث » او الشعر الحر ، او الشعر المرسل ، يحاول ان يفقد الشعر العربي من طابعه العربي ، ومن ملامحه العربية ، لكنه لن يستطيع ذلك مهما كلف الامر ، وسيبقى بعيدا كل البعد عن الشعر العربي الاصيل .

واننا نقرا الكثير من هذا النوع من الشعر فلا نطرب له ، ولا نتجاوب معه ، ولا يهزنا كما يهزنا الشعر العربي الاصيل الذي نقراه ، ونتغنى به ، ونطرب لايقاعه الجميل .

والشعر الحديث كما يسمونه ليس له ايقاع ، وليس فيه نغم الشعر العربي الاصيل ، والشعر الحديث هذا الذي نعنيه ، هو الذي يحاول التحلل من القافية التي تنغمه ، ومن الوزن الذي يضبطه .

الشعر العربي يتميز عن غيره بالوزن وبالقافية ، اي وزن واية قافية ، واذا تحلل منهما فقد طابعه وضيع ملامحه ، واصبح كالشعر المترجم من لغات اخرى ، نقراه كما نقرا النثر ، ولا نحس بحرارة الشعر العربي فيه ، ولا بعاطفة الشعور ، ودعك من القول المنظوم ، والنظم المتكلف ، وكلامنا عن الشعر ، والشعر غير النظم كما قلنا ، وكما نكرر القول .

هل يقبل الذوق السليم ان ياتي في يوم من الايام ، من يحدث او يحاول الاحداث في « الموسيقى » دون قاعدة ودون نظام ؟ تتحرك الالات « الموسيقية » وتنطلق الاصوات منها دون ضابط ، وعلى غير هدى ، وتختلط اصواتها اختلاطا ، دون قانون يقنن المرتفع منها فيخفضه ويقنن المنخفض منها فيرفعه ، ويساوي بينها حتى لا تخدش الاسماع ، ولا تؤذي الاذواق ، ولا تجرح الشعور؟

هل يتقبل الناس مثل هذه الفوضى في «الموسيقى» ومثل هذا الانطلاق في الاصوات المتنافرة المتضادة ، لا انسجام ولا نظام ؟

وهل يحدث في « الموسيقى » مثل هذا الذي يحاول الحدوث في الشعر العربي ؟ تحلل من كل نظام ، وتهرب من كل قاعدة ، وتخلص من كل ضابط ؟

وهل التحلل من النظام ، والتهرب من القاعدة ، والتخلص من الضابط ، يعتبر تجديدا وتطورا ؟ وهل التجديد والتطوير يحدث في الضوابط ، والقواعد ، والانظمة ، دون المعاني ؟ وهل تتنافى المعاني وهذه الانظمة والقواعد والضوابط ؟

لماذا لا يحدث المحدثون في الضوابط والقواعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والانظمة التي سار عليها الشعر العربي ، ويضعون انظمة وقواعد وضوابط يسير عليها الشاعر الاصيل ، حتى لا يعبث من يعبث بالشعر العربي ويأتي بشعر هو اشبه بالهذاء منه بالشعر الحي الاصيل ؟

ان الشعراء المحدثين مطلوب منهم ان يجددوا ويحدثوا في الشعر العربي ، حسب اصول وقواعد ، وان يجددوا ويحدثوا في المعاني التي تسمو بالشعر ، ويزهو الشعر بها ، والتجديد في المعاني اهم بكثير من التجديد في الهيكل والشكل ، وهيكل القصيدة ، وشكلها ان اهملا فقدت القصيدة طابعها العربي المميز ، وحتى طابع القصيدة المميز يمكن التجديد فيه ، والابداع به ، بحيث يكون هذا الابداع وذلك التجديد منتظمين حسب قواعد واضحة ، واصول ثابتة ، لا تسيئان الى الشعر العربي ، ولا الى بلاغته الرفيعة ، وبيانه السامي ، واعجازه العظيم .

والشعر العربي الاصيل امتاز بروعة اسلوبه ، وقوة عباراته ، وسمو بيانه ، وارتفاع بلاغته ، وعظمة اعجازه .

واذا اضفت الى هذه المميزات المعاني النادرة والصور المجنحة ، والاخيلة الواسعة ، والافكار النيرة ، وجدت الطابع المميز للشعر العربي ، الذي بلغ شاوا لم يبلغه غيره من شعر الامم الاخرى .

قرانا كثيرا من شعر المحدثين فاعجبنا به اي اعجاب ، وطربنا له وتجاوبنا معه ، وتغنينا به ، لانه التزم بقواعد واصول الشعر العربي .

وقرانا كثيرا من شعر هؤلاء الشعراء المحدثين ، فلم يهززنا ولم نتجاوب معه ، وحاولنا فهمه ، الا اننا مع الاسف الشديد لم نجد فيه حرارة الشعر ، ولا روعة الاسلوب ، ولا سمو المعنى ، لانه اشبه بالكلام المنثور منه بالشعر نقراه فلا نحس ((بموسيقى)) الشعر فيه ، ولا بروح الشعر التي تسمو بالقارىء ، ذلك لان مثل هذا الشعر لم يصدر عن شاعرية اصيلة ، وجاء خبط عشواء ، في كلمات متنافرة ، لا يربطها رابط ، ولا تنظمها قاعدة ، وليس فيها اي نغم شعري . بل ان بعض هذا الشعر نقراه فنمله من كثرة الكلمات والعبارات التي تتردد ابدا ودائما في القصيدة الواحدة ، وتكاد بعض كلماتها تكرر في السطر الواحد ، دون ترابط ، ودون انسجام .

ان تكرار العبارات دون انسجام ، وتكرار الكلمات دون ارتباط يدعو الى الملل والضجر ، ولا يمكن للمعاني ان تتحمل كلمات مكررة معادة اكثر من طاقتها ، فالتمديد والتطويل يفقد المعنى روعته ، ويفقد الشعر قيمته الشعرية ، ولهذا تميز الشعر العربي بالايجاز ، وبلغ بالاعجاز شاوا لم يبلغه غيره ، وقد عاب نقاد الشعر العربي الاصيل ، ترديد نفس العبارات ، وتكرارها في القصيدة الواحدة .

اننا نلاحظ ان بعض الشعراء المحدثين تاثروا كثيرا بالشعر الغربي ، وحاولوا السير على منهاجه ، وعملوا على التحلل من اصول الشعر العربي ، واهملوا الوزن الذي يميز جرسه ، والقافية التي تميز ايقاعه ، فافقدوا شعرهم طابعه العربي ، واتى وكانه شعر مترجم الى اللغة العربية .

نحن لا نعيب على الشعراء المحدثين التجديد في الشعر ، وانما نعيب هذا النوع من التجديد الذي يحاول ان يفقد الشعر العربي مميزاته ، ولكل امة من الامم مميزاتها الخاصة التي تميزها عن غيرها من الامم ، والامة العربية لها مميزاتها الخاصة ايضا التي تمتاز بها عن بقية الامم ، في تاريخها ، وفي حضارتها ، وفي تقاليدها وعاداتها ، وفي ادبها وشعرها .

اننا ندعو الى التجديد في الشعر وفي الادب ، وفي كل شيء في حياتنا ، وننادي به ، لكننا نرفض التقليد والترديد والمحاكاة ، سواء كان هذا التقليد في العادات او في الادب والشعر .

هناك عادات وتقاليد ضارة ، وليست صالحة لحياتنا ، علينا نبذها والقضاء عليها ، لكننا لا ندعو الى استبدالها بعادات وتقاليد لا تتناسب وحضارتنا .

ان الامة العريقة ، ذات الحضارة الضاربة في القدم لا تعجز عن الاتيان بعادات وتقاليد مستمدة من ذاتها ومن حضارتها وتاريخها .

والامة العريقة الحية ، لا تقفو اثار الامم الاخرى لتتلمس منها تقاليد وعادات وانما تدرس تقاليد وعادات وحضارات الامم الاخرى وتهضمها ، وتصهرها صهرا ومن ثم تاتي بتقاليد وعادات لا تكون بها مقلدة لغيرها .

والامة العربية ، هضمت كثيرا من الحضارات العظيمة وصهرتها وجددت فيها ، واضافت اليها الكثير من الاصلاحات التي افادت منها كثير من الامم الاخرى ، ومع ذلك بقيت الامة العربية ذات طابع خاص بها ، وبحضارتها ، وتاريخها العظيم ، والشعر العربي منذ الحضارة العربية في فجرها الاول تطور تطورا بالغا ، وفي كل عصر من العصور ، لكنه مع هذا التطور وهذا التجديد ظل شعرا عربيا خالدا على مدى الايام . والمحاولات التي تحاول الاساءة اليه ، وتعمل على افقاده طابعه العربي الذي امتاز به منذ القدم ستفشل حتما ، وسيظل الشعر العربي في تجدده وفي تطوره شعرا عربيا ، له ميزاته البلاغية ، ويتميز عن غيره بالاعجاز والايجاز ، وبروعة المعاني وسموها .

عبد العزيز زكريا الأنصاري

في البحرين



شعر
محمد الفايز

ظَمِئْنَا لِكأْسٍ من دنانِك كمْ سَرَى ... بِلَيْلٍ سراجاً قدْ دَجَـاهُ فنَوَّرا

بليْلٍ كأن الفَجْرَ خَبَّأَ عنْـدَه ... بقيَّةَ ضوءٍ من سَنـاهُ تأخَّرا

تطرَّز ضوءٌ في دُجَـاهُ وعبِّئتْ ... مَطاويـهِ وَرْدًا او مكاناً مُعطَّرا

أَشمُّ هُنَـا وَرْدًا لبغْدادَ عابقًا ... وأَسْمَعُ طيْرًا من ذرَى الشَّامِ قَرْقَرا

كأَنَّ الكؤوسَ المبحراتِ مع الهوَى ... نُهودَ عَذارى قـدْ تَعَرَّيْنَ ضُمَّرا

كأَنا وأَنسامُ المنامةِ قد بَـدَتْ ... تنبـه فينـا هاجسًا وتذكرا

نلمُّ بهَا أَطيافَ دنيا قديمـةٍ ... تُطلُّ هنا رَسْمًا قَديمًـا مُدثرا

أَوَيْنا بهـا في غرفةٍ خَشَبيَّـةٍ ... تَدلَّتْ كعنقودٍ بنـا قـد تَسكرا

تَوارَثَهـا بحـَّارَةٌ عن ابيهم ... تَخَالُهُمُ ممَّا يُعـانونَ اَبْحُرا

يمُوجونَ بالذكْرى القديمةِ مثلمَـا ... تَهزُّ غُصونـًا او تُبَعْثِرُ جَوْهرا

لطـافٌ اذا مازحْتهُمْ غير انهم ... مَكامِنُ اسْرارٍ حَوَتْ مـا تَعذَّرا

أقولُ لصحْبي والكؤوسُ توافَدَتْ ... علينَا كمـا فاجأْتَ طيرًا مذَعَّرا

خُذُوهَا على عِلاَّتِها فهيَ سَاعَـةٌ ... تساقطُ من عمْرٍ وانْ طالَ قصرا

نشاوى وفينَا الصَّحوُ حتى كأَننا ... نُمارسُ فيها عالَمًا غيرَ مـا نرى

اذا ما اغْتلى فينا زلالُ مدامـةٍ ... يَلوحُ خلال الكأْسِ مـاءً مجمرا

تألقَ فينَا الليْلُ حتى كأَنمـا ... تفطَّرَ منْ ظلمائهِ مـا تفطّرا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مثال رائع

من الأبوة العربية



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد عبد الغني حسن

لا بد لمن يتحدث عن المؤرخ الرحالة الاديب الاندلسي **ابن سعيد المغربي** صاحب « المغرب ، في حلى المغرب » و « القدح المعلى » و « الغصون اليانعة » و « عنوان المرقصات والمطربات » ان يلم المامة خاصة بوالد هذا الرجل الذي كان ملازما لابنه في رحلته الى المشرق ، ونزل معه الاسكندرية ، وتوفي بها بعد وصوله اليها بعام واحد ، فترك ابنه منفردا وحيدا يعاني الوحدة في خضم الحياة التي ساقته بعد ذلك الى مصر والشام وارمينيه والعراق ، ثم ردته الى تونس حيث لقي الله مقربا من بلاط المستنصر الحفصي امير تونس في القرن السابع الهجري .

وللوالد موسى بن سعيد المغربي الاندلسي فضل اي فضل في تعليم ولده : علي بن سعيد ، وتثقيفه ، وتنمية مواهبه الشعرية والادبية الكامنة فيه ، فكثيرا ما نبهه الى قيمة الكتب والمطالعة ، وكثيرا ما نقد شعر ولده وقيمه له ، او اثنى عليه ليزيده تشجيعا ومضيا في الطريق ، وكثيرا ما نصحه ووضع له دستور عمل ناجحا في الحياة ، كما فعل في قصيدته الكافية المشهورة التي كتبها له من ثغر الاسكندرية سنة ٦٣٩ هـ ، بعد ان غادرها الابن الى القاهرة ، باحثا عن مجاله الادبي في عاصمة الايوبيين .

ولقد جاء في « اختصار القدح المعلى » ان مؤلفه ابن سعيد سافر مع والده موسى ، وهما بالاندلس قبل مغادرتها الى المشرق ، في البرية التي بين وادي نهر المنصورة ولورقة ، وهي حينئذ كانت مجر العوالي ومجرى السوابق لغارات النصارى من الاسبان المنتفضين على حدود الاندلس انتقاما لملكهم الضائع، ومحاولة لرده ... وطالما شهدت تلك البرية مواقع الصراع بين العرب المتخاذلين والفرنجة المغيرين . فقال الوالد بيتا من الشعر من نظمه وسأل ولده «عليا»

ان يجيزه ويتم الشعر . وهذا البيت هو :

وَمَجْهَـــلةٍ معروفـــةٍ بتوحش
يصـــيرُ بها قلبُ الشجاع جبـــانا

فقال علي بن سعيد مجيزا على التو ومرتجلا :

ترى الآلَ فيهـــا خافقاً متعطشـــا
يمـــدُّ الى لفحِ الهجـــيرِ لســـانا
لبسْتُ بها شمس الظهـــيرة حـــلة
مذهبـــة حيث البحـــر كســـانا
وقد ثـــارَ من وقع الســـنابك قسطلٌ
تخـــالُ لتلك النارِ منه دخـــانا
ولا سِمْعَ الا وهو ســـامٍ مذلـــلٍ
يراقبُ ان يلقى الحمـــامَ عيانا (١)

فقال له ابوه : هذا طراز من الشعر يعجز عنه ابوك ! واعجب ما في الشأن نظمه في هذا المكان !

ويكنّ علي بن سعيد لابيه من التقدير والاجلال ما يبدو فيما كتبه عنه ، وترجم له به . فقد ترجم له في كتابه (المغرب) قائلا : « لولا انه والدي لاطنبت في ذكره ، ووفيته حق قدره ، وله في هذا الكتاب الحظ الاوفر . وكان اشغفهم — يعني اهله بني سعيد — بالتاريخ واعلمهم ، وجال كثـــيرا الى ان انتهى به العمر بالاسكندرية ..» .

ولقد كان هذا الوالد الناصح الحكيم مغرمـــا بالمطالعة ، وتعقب الكتب في مظانها حتى ولو بعد اليها السبيل . وبلغ من اهتمامه بالحصول على الكتاب انه فرح به اكثر من فرحه بمنصب الولاية على « الجـزيرة الخضراء » الذي عرضه عليه السلطان المجاهد محمد ابن يوسف بن هود.. فقد بلغه ان عند شخص من بيت « نباهة » كراريس من شعر شعرائها واخبار رؤسائها، فارسل اليه راغبا في استعارتها ليقراها . فأبى الشخص ان يخرجها من بيته ، وحلف على ذلك يمينا .. وقـال فيما قال في معرض رفضه :

ان كانت لموسى بن سعيد حاجة اليها فليـــأت على راسه ! وكان في هذا الشخص حمق وجهـالة . فلما سمع الوالد موسى بن سعيد ذلك اغرق في الضحك وقـال لابنه علي بن سعيد : سر معي اليه ! فأنف الابن، وقال في ازدراء : ومن يكون هذا حتى نمشي اليه على هذه الصورة ؟! فأجاب الأب المعلم المحب للعلم : « اني يا ولدي لا أمشي اليه ، ولكن أمشي للفضـــلاء الذين تضمنت الكراريس اشعارهم واخبارهم : اتراهم لـو كانوا احياء مجتمعين في موضع أنفتُ ان امشي اليهم ؟» قال الابن : لا ! قال الاب : فان الاثر ينوب عن العين . ومضى الوالد وولده الى صاحب الكراريس ، واخـذ منها — على بصر صاحبها — ما اراد من الفوائد ، ثم شكره قائلا : هذه فائدة لم اجدهـا عند غيرك !

ولا شك ان هذا الموقف ينم عن فهم سليم ، وتقدير مستقيم لقيمة الكتب والانتفاع بها والجد في طلبها . ولم يفت ابن سعيد — وهو الابن البار — ان يبرز هذه الفضيلة في ابيه ، فقال ، وقد نقله عنه المقري صاحب نفح الطيب : « ومما شاهدت من عجائبه انه عـاش سبعا وستين سنة ، ولم اره يوما تخلى عن مطالعـة كتاب ، او كتب ما يخلّده . حتى ان ايام الاعياد لا يخليها من ذلـك ...» .

فانظر الى اي حد بلغ الشغف والولوع من والد ابن سعيد المغربي ، بالمطالعة وطلب الكتب ، فهـو لا يريح نفسه حتى في ايام الاعياد من مطالعتها. ويقص علينا الابن حكاية له مع والده في هذا الشأن ، فيقول : « ولقد دخلت عليه في يوم عيد ، وهو في جهد عظـيم من الكتب ، فقلت له : يا سيدي ! افي هذا اليوم لا تستريح ؟ فنظر الي كالمغضب ، وقال : اظنك لا تفلح ابدا ! اترى الراحة في غير هذا ؟ والله لا احب راحـة تبلغ مبلغهـا ..»

ولقد تمنى والد ابن سعيد ان يطيل الله عمره حتى يتم كتاب « المغرب » في حلى المغرب » الذي اشـترك في تأليفه جماعة من بني سعيد بالموارثة جيلا بعد جيل.

ويروى ابن سعيد الابن شعرا نظمه والده في المطالعة والكتابة والتقييد ، يقول فيه :

يا مفنيـــا عمره في الكـــاس والـــوتر
وراعيـــا في الدجى للأنجم الزهـــر
يبكي حبيبـــا حفـــاه او ينـــادم من
يهفو لديه كغصـــن باسم الزهـــر
منعمـــا بين لـــذات يمحّقهـــا
ولا يخلـــد من فخـــر ولا ســـير
وعـــاذلا ليَ فيمـــا ظلتُ ألزمـــه
يبدي التعجب من صـــبري ومن فكري
يقول مـــالك قد افنيت عمـــرك في
حبر ، وطرس ، عن الاعصـــار والخبر
اقصـــرْ فـــاني ادرى بالذي طمحـــتْ
لأفقـــه همتي ، واســـأل عن الاثـــر
واســـمع يقول الذي تتـــلى محاســـنه
من بعد ما صار مثل الترب كالســـور
« جمال ذي الارض كانوا في الحياة وهم
بعـــد الممات جمال الكتب والســـير »

ولعل اجمل ما يروى عن العلاقات بين ابن سعيد المغربي الاندلسي ووالده هو تلك الوصية الشـــعرية الكافية ، ومعها الرسالة النثرية التي كتبها الوالد الى ولده حينما نهض الابن من الاسكندرية الى القـــاهرة تاركا اباه في الاسكندرية . فهي من امتع رسائل الآباء الى الابناء في الادب العربي ، وقد اودعها الاب خلاصة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تجاربه في الحياة ، لتكون دليل سلوك مستقيم لولده الذي كانت سنه في ذلك الحين تسعة وعشرين عاما .

ومن بعض ابيات هذه الوصاة الشعرية الفريدة في ديوان العرب ، قول الوالد لولده : ـ

اودعك الرحمن في غربتك
مرتقبا رحماه في اوبتك
وما اختياري كان طوع النوى
لكنني اجدى على بغيتك
فلا تطل حبل النوى انني
والله اشتاق الى طلعتك
واختصر التوديع اخذا فما
لي ناظر يقوى على فرقتك
واجعل وصاتي نصب عين ولا
تبرح مدى الايام من فكرتك

ومن مناهج السلوك السليم في هذه الوصاة الشعرية الابوية قول الوالد :

وكل ما كابدته في النوى
اياك ان يكسر من همتك
فليس يدري اصل ذي غربة
وانما تعرف من شيمتك
وكل ما يغضي لعذر فلا
تجعله في الغربة من اربتك
ولا تجالس من فشا جهله[1]
واقصد لمن يرغب في صحبتك
ولا تجادل ابدا حاسدا
فانه ادعى الى هيبتك
وامش الهوينى مظهرا عفة
وابغ رضا الاعين عن هيئتك
وانطق بحيث العي مستقبح
واصمت بحيث الخير في سكتتك ..

وتذكرنا هذه الرسالة الابوية الناصحة برسائل في الادب العربي ، وبكتب قائمة بذاتها الفت على هيئة رسائل من الآباء الى الابناء ، مثل كتاب « من والد الى ولده » للمرحوم احمد حافظ عوض شيخ ادباء الصحافة في عصره او كتاب « الى ولدي » لاحمد امين، ورسائل المؤرخ جرجي زيدان الى ولده اميل ، ورسائل خليل سكاكيني الى ولده سري ، ورسائل صديقنا العلامة الراحل اسماعيل مظهر الى ولده جلال ، ورسائل شكري شعشاعة الاديب الاردني الى ولده نزار ، ورسائل يعقوب العودات ـ المعروف بالبدوي الملثم ـ الى ولده خالد الذي يطلب العلم الان بعيدا عن وطنه ، وقد اخذت مجلة (الاديب) البيروتية تنشرها تباعا .

ولم يدع موسى بن سعيد المغربي فرصة لتوجيه ولده « علي » وتبصيره بشئونها ، وتعليمه فن التعامل مع الناس دون ان ينتهزها ، فقد كانا يتحدثان يوما حول اختلاف ميول الناس ومذهبهم وصعوبة ارضائهم ، وانهم لا يسلمون لاحد في اختياره ، وان من الصعب ارضاء كل مزاج ، وموافقة كل هوى ، فقال الاب لابنه فيما قال : يا بني ، متى اردت ان يسلم لك احد في هذا التأليف ـ يعني كتاب المغرب ـ ولا يعترض ، اتعبت نفسك باطلا ، وطلبت غاية لا تدرك ... ولم يكتف الوالد الرحيم بهذه النصيحة المجردة ، بل اردف بحكاية توضح المراد ، وتبين المقصود حتى لا يكون الوعظ كلاما جامدا ، او نصحا مجردا ، فقال لابنه : وانا اضرب لك مثلا : يحكى ان رجلا من عقلاء الناس كان له ولد ، فقال له يوما : يا ابي ! ما للناس ينتقدون عليك اشياء وانت عاقل ، ولو سعيت في مجانبتها سلمت من نقدهم !؟ فقال ابوه : يابني ! انك غر لم تجرب الامور ! وان رضا الناس غاية لا تدرك . وانا اوقفك على حقيقة ذلك . وكان عنده حمار فقال له : اركب يا ولدي هذا الحمار وانا اتبعك ماشيا ! فبينما هما على هذه الهيئة اذ رآهما رجل في الطريق ، فقال لصاحب له: انظر ما اقل ادب هذا الغلام ! يركب ويمشي ابوه ! وانظر ما اشد تخلف والده لكونه يتركه لهذا ! فقال له : انزل اركب انا وامش انت خلفي : فقال شخص آخر لصاحبه: انظر هذا الشخص ! ما اقل شفقته ! ركب وترك ابنه يمشي ! فقال له اركب معي ! فقال شخص : اشقاهما الله تعالى ! انظر كيف ركبا على الحمار وكان في واحد منهما كفاية ! فقال له : انزل بنا ! ومشيا وليس على الحمار راكب .. فقال شخص : لا خفف الله تعالى عنهما ! انظر كيف تركا الحمار فارغا ، وجعلا يمشيان خلفه ! فقال : يا بني ! اسمعت كلامهم وعلمت ان احدا لا يسلم من اعتراض الناس على اي حالة كان اعتراضهم !؟

وهكذا كانت العلاقة بين ابن سعيد المغربي ووالده ، فهما خير مثال جمع بين الابوة العربيةالرحيمة، والبنوة العربية الكريمة .

(١) السمع بكسر السين : الذئب .
وسام اي مشرف ومتطلع .

يا للأباة

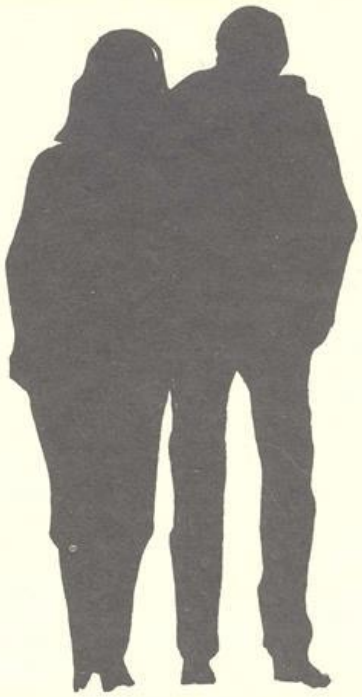


مهداة الى بطلي الجبهة الشعبية اللذين اقتحما مطار أثينا على طائرة العدو فحطماها .. الى العملاق الجريح الذي يتواثب الأقزام على كتفيه ليراهم الناس !!

يا للأباةِ ..! وحَرّكَ الزّنْدا ... ومشَى الى هَامِ العُلا فَردا
ما هَالَهُ حَشْدُ العَدوّ لَه ... والحصْم لما جَاوَز الحَدا
لم تكْسِر الأحْدَاثُ همّتَه ... كَلا ولم تُضْعِفْ لَه زَنْدا
دخل المطَارَ وفي سَرِيرتِه ... عَزْمٌ بألاّ يُخلِفَ الوعْدا
تَرقبُ السّاعَاتُ مَقْدَمَه ... والدّهْرُ لا يَقوَى لَهُ صَدا
وتقدّمتْ للمجْدِ خطوتُه ... وسَعَى فأبْصَرَ أمْرَهُ جِدا
ودعتْهُ للميْدَانِ نخوتُه ... واستَنْهضتْهُ فلم يجِدْ بَدا
ألقَى عَلى الدنيَا رسَالتَه ... يوماً فكانَ هتافُهَا ردا.
كَمْ ضَاقَ بالأحقَادِ يَحمِلُها ... حتّى أذابَ بنَارِه الحقْدا
مَا كانت الدنيَا تقيّدُه ... عَافَ الحيَاةَ فقطّعَ القيْدا
ثم استَوَى في عوده قَدرًا ... الغَى الحدودَ وحَطّمَ السّدا
وتَوثّبَتْ في ثوبِهِ همَمٌ ... لم تعْرِفِ الدنيَا لهَا عَدا
يا معطِيًا والبُخْلُ في وَطَنِي ... دينٌ ومِنْ لبلادنَا أسْدى
يأبَى الوفَاءُ وتلكَ شيمَتُنَا ... ألاّ نصُونَ لباسِلٍ عَهْدا
لم ننسَ من قَادَ النضَالَ دماً ... وتضَرّمتْ عزماتُهُ وقْدا
لم ننسَ من أحْيَا مكارِمَنَا ... لمّا تقَدّم يرفعُ البنْدا
لم ننسَ من نَادى بِوَحْدَتِنَا ... ودَعَا الأبَاةَ وأنطقَ الحشْدا
يكْبُو الأصِيلُ وفي توثّبِه ... يطْوِي الطريقَ الوعْرَ ان شَدا
تأبَى المروءةُ ان نشاركَهم ... رأيًا تجَاوَزَ أمْرُه القَصْدا
ما كنتَ باللّيْثِ الأبيِّ غدا ... ان لم تَشُقّ لحصمنَا لحْدا
فاسْهَرْ على الساحاتِ – دمتَ لها ... تَبْنِي الحيَاةَ وترفَعُ المجْدا

عبد الله أحمد حسين

الجزائر



الرجل والمرأة



بقلم
جعفر الخليلي

من بعض مشكلات المجتمع هو ان الرجل في الغالب لا يريد ان يفهم المراة ويعين مكانتها منه ، ولا تريد المراة والمراة المثقفة طبعا ان تفهم الرجل وتعين مكانه منها ، فتسود المكابرة هذين الجنسين ويظل الرجل حتى المثقف يرى انه فوق المراة شأنا ومنزلة وترى المراة المثقفة انها الاولى بان تكون هي اصل الوجود وانها فوق الرجل في كل شيء ، وتذوب الحجج وتتبخر اذ لا يوفق احد منهما لان يعرف قيمته الحقيقية في وجود البشرية ، وهو ان الرجل غير المراة، والمراة غير الرجل وان لكل واحد عمله في الحياة ووظيفته الخاصة ، وان ليس هنالك ما يفضل به جنس على جنس غير الملكات العلمية والثقافة وحسن النشأة مما لا دخل له بعنصر الرجل والمراة ، ولكن الرجل يظل مكابرا مهما بلغ من الثقافة ، وتظل المراة المثقفة مكابرة حين يريدان ان يعينا مكانتهما في الوجود ، ونسبة بعضهما الى البعض فلا يصلان الى نتيجة كما يرى القاريء من هذا العرض :

كان حوارهما في بادىء الامر مزاحا ثم استحال على مرور الزمن الى مزيج من الجد والهزل يقتلان به اوقات فراغهما ويتخذان منه موضوع تسلية حتى يجمع بينهما وبين احامهما والاقربين من اصدقائهما مجلس من المجالس .

هو يقول لها : ان الرجل اسمى منزلة في الحياة من المراة ، وانه العنصر الافضل من هذين العنصرين المراة والرجل ، وانه حليف المنطق والمعقول في كل ما يقول ويفعل ، اما المراة ، فهي دون الرجل في كل شيء، وانها عنصر عاطفي لايفهم شيئا من المنطق .

وترد عليه زوجته : بان سمو المنزلة انما هو للمراة ، وان الرجل مكابر مغرور ، وان المنطق والمعقول عنده يقننه هو ، ويفرضه هو ،ويفيد منه هو ، ليس غير .

وكانا كلما فتحا هذا الحديث بمحضر بعض الاصدقاء ، والاهل لا يعدم كل منهما وجود ناصر يؤيد فكرته ، ويضيف الى ادلته ادلة جديدة .

وذات يوم كان جانب الجد في النقاش ابرز من جانب الدعابة والهزل قال لها زوجها :

— لم لا نحتكم ؟

قالت — يا حبذا .. ولكن عند من؟

قال — لا احسبك تشكين في نزاهة جارنا القاضي في المحاكم ، فلنقض سهرتنا في الليلة القادمة عنده ، ولنعرض هناك آراءنا عليه ، وليكن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حكمه خاتمة المطاف .

قالت — فليكن ذلك .

قال القاضي — انا رجل لن اخرج عن حدود الشرع فماذا تريانني قائلا وانتما تعلمان اننا ملزمون بالاخذ بمبدأ (الرجال قوامون على النساء) في الحياة الاجتماعية العامة ، وملزمون بالاخذ بالتشريع القائل : (فللذكر مثل حظالانثيين) في المواريث والحقوق الخاصة ، وبعد هذا — قال القاضي — فلكما انتما ان تحكما .

قال زوجها — أرايت كيفكان فضل الرجل على المرأة ؟ فلو لم تكن المرأة دون الرجل ادراكا ومستوى لما كان الرجال قوامين عليها ، ولو لم تكن المراة اقل شأنا من الرجل ، لما قل نصيبها عنه ، فلا تكوني بعد ذلك عاطفية ، وجدلية ..

قالت — ولكن هذا القاضي قد قال ما قال بداعي المفاهيم الشرعية ،وهي مفاهيم تخص العقيدة والطاعة الدينية ونحن في نقاش عن منزلتي الرجل والمراة في ميدان المنطق والمعقول ، فما قولك لو رجعنا الى صديقنا الصحافي الواقع بيته عند مدخل شارعنا ، وعرضنا عليه امرنا في احدىسهراتنا في بيته ، لاسيما وقد مر وقت طويل ونحن لم نرد له ولزوجته الزيارة .

قال الزوج — فليكن ذلك فانت مغلوبة انى اتجهت ..

قال الصحافي — اذا نظرنا للمراة كزوجة فقد جاء ان المراة التي تهز السرير بيدها اليمنى لتهز العالم بيدها اليسرى واذا نظر اليها كأم فقد قيل : (ان الجنة تحت اقدام الامهات) ولكما انتما ان تحكما من هو اسمى منزلة ، واعظم شأنا في الدنيا من هذين العنصرين .

قالت الزوجة — ارايت كيف كان فضل المراة على الرجل ؟ فلو لم تكن المراة افضل منه ، ولو لم تكن ذات فضل عليه لما كانت الجنة تحت اقدامها .

قال الزوج — ولكن هؤلاء الصحافيين سطحيون لا يأخذون بالقواعد والاصول ، وانما يرسلون احكامهم جزافا ودون مقاييس ، وضوابط .

وكان للزوجين ابن في العاشرة تنحنح هناك وقال : في الاسبوع الماضي قرانا ضمن دروس (المعلومات المدنية) شيئا عن (الاستفتاء)ومعناه فما قولكما : لو طبقنا الاستفتاء في موضوعكما هذا وطلبنا من جميع اولاد اسرتنا وارحامنا الذين هم بين العاشرة والخامسة عشرة بان يدلوا بارائهم فيمن يفضلون : الاباء ام الامهات ؟

ولقي هذا الاقتراح قبولا عند الابوين ، وفي يوم من ايام العيد وقد ضرب موعدا لاجتماع الاسرة واولادها ، كان الحاضرون من الاولاد ستة وثلاثين بين صبي وصبية ، وقد امتنع اربعة منهم من التصويت ، وصوت ثمانية الى جانب الاب ، بينما ضم اربعةوعشرون ولدا اصواتهم الى امهاتهم .

اما النتيجة ؟

لقد قال الرجل لزوجته — انا لم ازل عند رايي في ان المراة عاطفية ، وهي دون الرجل مستوى وادراكا .

وردت عليه الزوجة قائلة : وانا لم ازل عند رايي في ان الرجل مكابر ، وهو يريد ان يستظهر على المراة بمقتضى ما يصنع هو من القوانين والقواعد لا بمقتضى الحقيقة والواقع

اما الحقيقة والواقع فهي ان مثل هذه الامور لاتؤخذ بالاستفتاءوالتحكيم مما قد يرجع اليه الكثير في تعيينمنزلة الرجل والمراة ، ذلك لان العنصرين مختلفان ولكل عنصروظيفة غير وظيفة الثاني ، واذا اختلف العنصران في الوظيفة بطلت المقايسة وخصوصا في مثل الرجل والمراة .

بغداد — جعفر الخليلي

يصدر هذا الشهر

كتاب

"معالم الكتب والمجلات"

مقالات في الأدب والسياسة والاجتماع

★ ★ ★

تأليف :

عبد الله زكريا الانصاري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





"ياليلة ويانه"

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





تأليف :
عبدالله الرنان

عرض ونقد
عبدالرزاق البصير

كل من قدر له ان يعيش تجربة الغوص او ان يشاهد الغواصين يعرف ان لهذا الجانب من تاريخ الكويت اهمية عظيمة سواء كان ذلك من الناحية الاجتماعية او الاقتصادية ، لان الاقتصاد الكويتي بل اقتصاد الخليج كان يتأثر بالغا بالغوص ، فقد كان هناك اناس يتخصصون لصيد اللؤلؤ واستخراجه من البحر بطريقة بدائية جدا مما يعرضهم الى كثير من المخاطر والامراض . اضف الى ذلك انهم اصطلحوا على ان تكون تغذيتهم تغذية سيئة ، اذ كانوا يعيشون معظم النهار على التمر الرديء الذي تعيش فيه الديدان والماء الحار يغترفون منه باناء هو عبارة عن جوزة الهند او ما شابهها ، واذا

طبخوا الرز مع السمك فانهم يفعلون ذلك بطريقة سيئة لا يقبل عليه الا من انهكه الجوع والتعب ، وقل مثل ذلك في فراشهم فقد كان خشنا لا يستطيع النوم عليه الا المرهقون . وهم اذا رجعوا بعد اشهر من هذه الرحلة القاسية رأيتهم يتحدثون مفتخرين عما عانوه من مصائب . ثم انهم بعد هذا كله اذا قدر لهم ان يصيبوا اللؤلؤ لا يكادون ينتفعون منه الا بالقليل القليل وكأنهم في هذا الامر يشبهون الجنود في ساحات القتال يكون العبء عليهم ، اما الفخر والراحة فانها تكون للقائد، كذلك الحال في الغوص تكون المنفعة والراحة لصاحب السفينة ، الذي ربما لا يذهب معهم ، وللربان ولاربعة او لثلاثة يشاركونه قيادة السفينة . وتنتفع كذلك فئة ثانية تسمى « الطواويش » وهم يشترون اللؤلؤ من السفينة في البحر . وقد اصطلح هؤلاء على ان تكون رحلتهم الى البحر اشبه شيء بالنزهات البحرية .

وتشمل هذه الفئة جماعة من الفنيين مهمتهم صقل اللاليء وتشذيبها وتنظيفها من درن البحر وترتيبه ، وهؤلاء يعيشون في المدن كالكويت والبحرين وسائر مدن الخليج .

وللغوص والطواشة اي المتاجرة باللؤلؤ مصطلحات وادوات كثيرة لو اردنا تعدادها لطال بنا المقام وانما نريد ان نتحدث عن نقطة صغيرة هي مشاركة بعض البدو في الغوص وهو الموضوع الذي آثر المؤلف ان يجعله محور قصته هذه ويغلب على الظن انه كان محقا فيما ذهب اليه ، لان تصور الانسان يستبعد مشاركة البدو في الغوص للفرق الكبير بين حياة الصحراء وحياة البحر وللبون الشاسع بين ظروف البحر والصحراء . ولكنها الحاجة ترغم الانسان على كل شيء. فقد جرت العادة ان يذهبوا مضطرين اما الى الحجاز واما الى العراق واما الى الشام .طلبون الرزق في هذه الاقطار .

ولقد تخيل المؤلف قصة حب جرت بين فتاة بدوية تدعى سلمى وشاب شجاع جميل يدعى سالم . ولقد كان المؤلف واقعيا جدا لانه لم يطل في قصة الحب هذه فسرعان ما جعلهما يتزوجان ويغتبطان بهذا الزواج . وجعل سلمى تتمنى ان يكون في عنقها عقد من اللؤلؤ على اني اظي ان هذه الامنية ربما تكون بعيدة عن نفسية البدوي ، لان حياتهم الخشنة تجعلهم بعيدين عن مثل هذا التفكير . فعقود اللؤلؤ لا يلبسها الا غانيات لندن وغيد باريس ومن شابههن في الثراء في البلاد المتحضرة . والمؤلف لم يجعل هذه الامنية سببا لرحيل سالم الى الكويت وانما جاءت عرضا في حديثه ، لقد كان الجدب هو السبب الذي فرق ال رشيدات والفرحان وهما قبيلتان كانتا تعيشان في بقعة واحدة لم يسمها المؤلف والظاهر ان الذي جاء من قبيلة رشيدات هم خمسة اشخاص : سالم ابن راشد رئيس العشيرتين وزوجته وابناه وراشد وهو شيخ بدوي ديني يمتطون اربعة رواحل . ولقد استضافهم في الكويت ابن عم لهم يسمى خالد عبد العزيز . وكانت هذه الرحلة الثانية بالنسبة الى سالم ، لهذا تجده جاء الى دكان ابن عمه خالد بكل سهولة . وفي اثناء هذه الطريق يصف لك المؤلف ما كانت تحتويه اسواق الكويت في ذلك الحين، والحق انه كان موفقا في وصفه ، فالكويت لم تكن تعرف التنظيم في اسواقها في ذلك الوقت ، وانما كانت الاشياء مختلطة في الاسواق وكانت الشوارع ضيقة . ولقد رحب خالد العبد العزيز بابن عمه سالم وابنائه وابن عمه راشد ترحيبا جميلا ونقلهم الى بيته ولا بد انك سوف تحس وانت تقرا هذه الفصول بان للمؤلف قد تأثر بالقرآن الكريم لان السنين العجاف التي اصابت هاتين القبيلتين ليست خمسا ولا ستا وانما هي سبع كما في سورة يوسف كما تأثر بآراء بعض الفلاسفة ، يظهر ذلك في هذه الجملة مثلا وهي قوله : وانك لتعجب من هذه الحياة وما يحدث فيها من تقلبات لا تدرك لها معنى ، ولا تعرف لها كنهها (ص ١١) .

وتمضي القصة في تصوير ما كان عليه المجتمع الكويتي من اخلاق بسيطة غير معقدة ، تشيع فيهم الامانة ، وصفاء النفس . فالفرد منهم اذا ما عثر على نقود في الطريق يجتهد في ردها الى صاحبها . وبما ان الماء كان فيما مضى من اعز الاشياء واغلاها فان المتمكن منهم يرى ان اعظم شيء يتقرب به الى الله هو بذل الماء للناس . فخالد بن عبد العزيز الذي استضاف ابناء عمه يملك سفينة تأتي بالماء من البصرة الى الكويت فهو يتقرب الى الله ببذل حمولة سفينته من الماء للناس ، وتشاء مخيلة المؤلف ان يكون ابنه قد وجد خرقة « ملقاة » على ساحل البحر فيها شيء من النقود قد سقطت من ام حمدان حينما جاءت لتملأ قربتها بالماء، وكان الزحام شديدا . وهنا يصف لك المؤلف ما عاناه الكويتيون في تلك الايام من المصاعب بسبب قلة الماء .

وفي هذا الفصل تبدأ عقدة من عقد القصة ذلك لان نورة احدى بنات ام حمدان جاءت الى السيف تبحث عن نقود امها فتقع في حب عبدالله بن خالد ويكون الحب متبادلا بين الشابين لكن احدهما لم يصارح الاخر بما يجد في قلبه .

ويركب سالم مع راشد في احدى السفن التي تذهب الى صيد اللؤلؤ فنجد ان المؤلف قد بحث عن اسماء آلات السفينة لكنه لم يستطع معرفة اسمائها معرفة صحيحة ، بدليل انه سمى الشراع الصغير (بالغلم) واسمه الحقيقي بالقاف لا بالغين ، وسمى الفرمل واسمه الحقيقي فرمن وسمى احد المغاصات (بالمنادى) وعلى حد اطلاعي لا يوجد مغاص بهذا الاسم . لكن مخيلة المؤلف في هذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الفصل كانت خصبة اذ انها خلقت قضايا طريفة مؤثرة طالما حدثت مع البحارة المساكين وانا لا اريد روايتها هنا وانما ادعها للقراء . كما انه دعى اطراف السفينة او حافاتها (بالترتش) واسمها الصحيح (ترييج) وسمى مكان الطبخ في السفينة سربدان واسمه الصحيح سريدان .

ولقد حبب هذه القصة الى نفسي ان صاحبها صور ما يدور في نفوس وعقول البحارة تصويرا صحيحا بالرغم من انك تجد هذا التصوير قد صب في قالب فلسفي ولكنني حين قارنت بين ما قرأته في هذه القصة من صور وبين ما سمعته من احاديث الجيل الذي كابد شدائد الغوص وجلب الماء من البصرة الى الكويت وجدتها متطابقة كل التطابق .

لقد حاول بعض الكتاب ابراز هذه الصور ، لكنك حين تقف عليها تجدها بعيدة عما يجول في اذهان البحارة فهم لا يفكرون مثلا ان اللؤلؤ الذي يشقون في اقتناصه اعظم الشقاء سيصبح زينة في رقاب وصدور غواني لندن ، وباريس وان ذلك ظلم مابعده ظلم . لان امثال هذه الخواطر لاتكاد تدور في اذاهنهم ، ولا تذكر في احاديثهم فهم يرون الفخر كل الفخر في ان يتحدثوا فيما بينهم عن التغلب على شدائد البحر من عواصف عاتية وامواج عظيمة . وهذا ما فعله المؤلف في قصته هذه وان كنت اعتقد ان بعض الصور التي ابرزها مبالغ فيها مثال ذلك ان ربان سفينة فقد صرة لؤلؤ في البحر وانه قام برحلتين للبحث عنها . فليس من المعقول ابدا ان تجري مثل هذه الحادثة لكن المؤلف فيما اظن اراد من خلقها توضيح عقلية بعض البحارة وعدم اكتراثه بشدائد البحر . وقد رأى المؤلف ان يكون هذا الامر عقدة ثانية لهذه القصة .

ومهما يكن من امر فانك تجد في ثناياها بعض ما كان يعتقد به بعض الناس هنا في الكويت من ذلك مثلا عقيدة بعض النساء اللواتي لاينجبن فهن يعتقدن بان القفز من على السفن الجديدة يحل معضلتهن . وكم من مشاكل حدثت بسبب هذه العقيدة . فان اصحاب هذه السفن يعتقدون بان الشؤم سيصاحب السفينة اذا ما قفزت عليها امراة عقيم . وكنت اتمنى ان يضع المؤلف شروحا لبعض الالفاظ التي لا يعرف معانيها الا البحارة او بعض الكويتيين امثال النون ، سريدان ، البيوار ، الزيور والدشة وما الى ذلك من اسماء الاشياء والمفاصلات فانه لو فعل ذلك لانتفع به كثير من الناس .

على ان المؤلف لم يقصر حديثه في هذه القصة على البحر فقط وانما وصف ما يعتلج في نفس الانسان حين يقوم بتجربة عنيفة في حياته ، وكان وصفه دقيقا صادقا ينقل القارىء الى اعماق النفس البشرية كما انه وصف ما يلاقيه الغواصون من اهوال ومخاطر وصفا دقيقا ايضا ، ارجو ان يقرأها نشئنا الصاعد ليقفوا على ما عاناه آباؤهم واسلافهم من مشاق في هذه الحياة ، فانهم لو فعلوا ذلك سيعرفون ان اولئك الناس يستحقون كل تقدير واحترام لما بذلوه من جهد وصبر في سبيل ابنائهم . وربما تعلمهم هذه القصة بان لا يمعنوا في الترف لان المترفين لا يصلحون للحياة . فقد جرت سنة الله في هذه الدنيا ان تتألف من خير وشر ، وسعادة وشقاء . ولكل فترة من حياتنا مطالب وغايات تستدعي منا ان نجد كل الجد ، لاننا ان لم نفعل ذلك فسنكون غير صالحين لهذا العصر ، وفترتنا هذه لا يصلح فيها الا المتسلحون بالعلم . لكنني الاحظ مع الاسف الشديد ان اقبال ابنائنا عليه ليس كما ينبغي . بالرغم من ان الله قد قيض لهم ظروفا سخر لهم فيها كل طريق لطلب العلم ، فالحكومة بذلت لهم كل وسيلة لذلك فليس لهم من عذر في تقصيرهم . ان ابناءنا يحيون حياة سهلة يغبطهم عليها الكثيرون فعليهم ان يغتنموا هذه الفرصة الواسعة التي لا تكاد توجد الا في ارقى البلاد .

ونقطة اخرى لا بد من التنويه بها قبل ان اختم هذا الحديث وهي ان كاتب هذه القصة ليس كويتيا وانما هو عربي فلسطيني رأى ان يتعمق في دراسة هذا المجتمع العربي ليفهمه حق الفهم وهذه طريقة يسلكها كل جاد في هذه الحياة ، وفي اعتقادي ان هذه القصة تعد بحثا اجتماعيا وفق فيه مؤلفه كل التوفيق .

عبد الرزاق البصير

تبارك الله

وقفتُ مبهوت الرؤى حائرا ... كحيرة المحزون في كربه
أقلّبُ الطرفَ بلا آخرٍ ... أجوبُ هذا الشرق مع غربه
أبحثُ عن ذي خِبرةٍ عالمٍ ... يكشفُ لي المكنون من غيبه
أسألُه عمّنْ أشاد السّما ... منْ اوجد الكون على ما به ؟
مَنْ أحكمَ الأفلاكَ في سيرها ؟ ... مَنْ سيّرَ المخلوقَ في دربه ؟
مَنْ أنبتَ الأعشابَ في برّها ... منْ أطلعَ المكمومَ منْ حجبه
مَنْ فجّرَ الصخرَ فسالتْ به ... أوديةٌ تغرفُ من غربه ؟
مَنْ أنشأ السُحبَ ومنْ ساقها ... النازحِ المنسيّ من ركبه ؟
مَنْ ألهمَ الشاعرَ أشعاره ... فباحَ بالأسرارِ منْ قلبه ؟
مَنْ علّمَ الطيرَ تغاريدها ... مَنْ أكرمَ الانسانَ في لبّه ؟
أسئلةٌ طارَ بها خافقي ... وحارَ فيها الفكرُ منْ رُعبه
فصاحَ بي في غفلتي هاتفٌ ... يا أيّها المسحورُ في ريبه
انظرْ ، تجدْهُ اللهَ ، آثارُهُ ... ملموسةٌ تنطقُ عنْ قربه
منْ عالمٍ غادٍ ومنْ رائحٍ ... وثابتٍ ما حادَ عنْ سربه
فالشمسُ تجري في مداها الذي ... حدّدهُ ، والبدرُ في دربه
ما زاغَ عنْ خطٍّ لهُ كوكبٌ ... كلاّ، ولمْ يجنحْ على تربه
فالكلُّ يجري في مداهُ الذي ... قدّرهُ الرحمنُ في غيبه
تباركَ اللهُ بآلائه ... ليسَ لهُ منْ خالقٍ مشبه



شعر خالد سعود الزيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ديوان

"النور من الداخل"

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



شعر
محمد
الفايز



تعليق
على زكريا
الأنصاري

ارجو ان يعتبر الاخ محمد الفايز هذه الانطباعات تحية له وتقديرا على هديته القيمة التي لا تقدر بثمن ، ديوان « النور من الداخل » .. لقد كان املي ان ابادر بالشكر حال استلام الهدية بعد ان ابدي رأيي في الديوان وكان يجب ان يتم هذا منذ زمن طويل ، الا ان الحقيقة هي انني بعد ان مضيت في قراءة الديوان اكتشفت ان من الصعب اعطاء رأي سريع في شعر من وزن شعر الفايز .. وكلما تعمقت في القراءة كلما تبدت لي امور لم التفت اليها منذ الوهلة الاولى ، لذلك صرت اؤجل انطباعاتي منذ وقت الى اخر حتى اختمرت هذه الانطباعات في رأسي اخيرا واصبح لدي شيء من الاقتناع بها .. وارجو ان يعذرني الاخ الفايز بعد ذلك ان انا شططت عن الحق وجاوزت القصد فيما قلت ، فان فعلت فعزائي هو انني كنت مخلصا فيما ذهبت اليه .. واود

ان اشير هنا الى ان هذه الصفحات ليست دراسة ادبية نقدية بالمعنى المفهوم ، فانا لم اعتمد على المراجع ولم اعمد الى المقارنات الادبية ، وقد تهيأ لي ان هذه الطريقة اقرب الى الصدق والتجرد ، نظرا لان هذه الانطباعات او التفسيرات لشعر الفايز ليست مقيدة بنظرية ادبية او باتجاه ادبي معين ..

النقد الادبي التقليدي

ولعل من المفيد الاشارة الى ان الكثير من نقاد الادب عندنا يحبون ان يطلقوا على شاعر معين او اديب معين عبارات موروثة معينة .. فمرة هو كلاسيكي ومرة رومانتيكي ومرة حديث .. او ان الشاعر متأثر بالشاعر الفلاني او الاديب الفلاني .. فكأن مادة الشعر التي يقرأونها او يتأملون فيها هي مادة اثرية في متحف من المتاحف .. ولا ينظرون الى صاحبها على انه انسان يعي المجتمع الانساني وعيا عميقا ويتأثر بمتناقضاته ويتألم لها فينعكس كل ذلك في شعره تعبيرا عما يراه وما يحس به في اعماقه .. وهو حين يفعل ذلك لا يكون معنيا بمذهب معين او متأثرا بشاعر معين .. فهو ان فعل ذلك لا يكون شاعرا اصيلا صادقا ولكنه مقلد ، والخلود لم يكتب للمقلدين ..

ان كثيرا من النقد الادبي الذي نطلع عليه — في نظري — هو اجترار لقراءات الناقد واعادة لما تعلمه هذا الناقد من مذاهب نقدية او شعرية او ادبية بشكل او بآخر ، ومحاولة تطبيقها بالنص على ما يقرأ من شعر او ادب .. وهذا في حد ذاته لا يضيف الى الادب العربي شيئا ذا قيمة ، كما انه لا يفيد القارىء كما يجب .. ليست قيمة النقد هو ان ننسب ما نقرأه من شعر او ادب الى مذهب شعري بذاته او اتجاه ادبي بذاته ولكن ان نحاول وعي ما يريد هذا الشاعر او ذلك الاديب ان ينقله الى مجتمعه الانساني الصغير او مجتمعه الانساني الكبير .. وهذا يتطلب منا فهما عميقا لما يكتبه وتفسيرا قائما على هذا الفهم .. وهذا يستلزم ليس فقط ثقافة وعلما بل وادراكا متبصرا وشعورا صادقا .. كما يستلزم ايضا تجارب انسانية هي تثبيت لما نتعلمه وما ندركه وما نشعر به ..

اقول هذا الكلام وفي بالي ثلاثة كتب صدرت اخيرا عن شعر المرحوم الشاعر بدر شاكر السياب على اساس انها دراسات ادبية عن الشاعر .. وقد اقتنيت هذه الكتب علها تساعدني على معرفة جوانب من شعر هذا الشاعر ونفسيته واتجاهاته .. ولكني مع الاسف لم اخرج بطائل .. والشيء الوحيد الذي استفدته هو عرض مقتضب لحياة الشاعر الخاصة وما واجهه من صعاب مادية ومعنوية في مجتمعه .. وهي حقائق مستقاة من تاريخ الشاعر وقد كررت تقريبا في الكتب الثلاثة ، وليس بعد هذا شيئا ذا قيمة .. كأن هذه الكتب كتبت للظهور او للارتزاق فجاءت ناقصة سطحية ، ليس فيها جهد مخلص او عمق او تجديد، ومصيرها — فيما اعتقد — النسيان ..

ارتباطات الشخصية بالشعر ..

واعود الى شاعرنا الفايز واقول ان ما يميز شعره هو انه من النوع الذي يمكن ان يعتبر صورة قريبة واصيلة وصادقة لشخصية الشاعر .. اي ان هنالك ارتباطا تلقائيا وحقيقيا ومصيريا بين الشاعر وشعره وهذا امر نادر الوجود .. فالحاصل ان الكثير مما يقع تحت ايدينا من اشعار يمثل انفصالا — غير ظاهر ولكنه لا يخفى على البصيرة النافذة — بين الشخصية والشعر .. اعني ان العملية في كتابة الشعر هنا لا تعدو عن كونها احترافا او تقليدا او تصويرا لبعض مظاهر الحياة او المجتمع او النفس .. وبذلك يكون اغلب ما يتضمنه الشعر من افكار او احاسيس او هواتف خاضع للرقابة والتنقيح والغربلة الذاتية بحيث يتلاءم في اغلب الحالات مع احكام المجتمع وكل ما تشتمل عليه هذه الاحكام من تقاليد موروثة وقيم مرعية .. هذا بالاضافة الى التدخل الذاتي في تلوين هذه الافكار او الاحاسيس او الهواتف بلون ما يخزنه الشاعر من معلومات سابقة مكتسبة من قراءاته او من الاتصال الفكري بالغير سواء في المعهد الذي تعلم فيه او في الحياة العامة ، وهذا من شأنه ان يغير معالم الحقيقة النابعة في اغوار الضمير لتتلاءم مع متطلبات المجتمع والذات ، وهذا كله ينعكس على الكلمة وسيلة التعبير .. وهذا هو المقصود بالانفصال بين الشخصية والشعر .. اي ان الشعر ليس مرتبطا ارتباطا وثيقا بالشخصية بحيث يحمل كل حرف فيه صفات الشخصية وتقاطيعها الاصيلة .

ولا شك ان الاغتراف من النبع المتدفق في اغوار النفس السحيقة ، ومحاولة استخدام الكلمة لتصويره امر بالغ الصعوبة ان لم يكن مستحيلا .. وحتى اذا وصلت الشخصية الى درجة عالية من التجرد بحيث تنجو من قيود المجتمع وقيود الذات فان هناك الوضع الاجتماعي للشخصية والذي يتأثر صعودا وهبوطا بمقدار ما تحمله هذه الشخصية من مهادنة او معارضة لاحكام المجتمع والذات .. والشاعر بعد انسان كغيره من الناس ، وله نقط ضعفه ونقائصه البشرية .. وهو يحب نفسه ، فهذه غريزة متأصلة فيه ، ومن الطبيعي ان يكون في سعي دائم وراء السعادة ورخاء العيش والاستقرار ، وان يتحاشى بقدر الامكان بؤس العيش والتشرد والاسى .. وهذه كلها امور تحجز وصول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحقيقة او (النور من الداخل) كما شاء شاعرنا الفايز ان يعبر عنها الى الحرف ، او الكلمة ، او الشعر .. ان تخطي العراقيل الاجتماعية والذاتية امر صعب يتطلب شجاعة وارادة وتضحية .. بل انه يتطلب احتمالا قويا لكل ما يتعرض له الانسان من آلام العزلة الروحية في مجتمعه .والحرمان من المزايا الاجتماعية الدنيوية : المركز والجاه والاستقرار العائلي .. ان هذا الاصطدام بين جوهر الحقيقة القابع في اغوار النفس وبين ظاهر الحقيقة المحرف هو الذي يقرر مدى ارتباط شخصية الشاعر بشعره ، ومدى قدرته على التوفيق بين حقيقة احاسيسه وبين وسيلته للتعبير (الشعر) بحيث يكونان (الشخصية والشعر) مظهرين لحقيقة واحدة .. وقد كان شاعرنا الفايز غاية في العمق والصدق حينما عبر عن هذا الالتحام بين الشخصية والشعر بقوله :

في اضلعي الكلمات تولد كالقناديل الصغيرة

اي ان الكلمات تولد في اعماقه ولادة وكل ما يصاحب الولادة من الم وعذاب وخلق جديد ، فهي اذن تعبر عن الحقيقة الداخلية المجردة المتحررة من كل تأثير بيئي او ذاتي .. انها ليست مستعارة من كتاب وليست خاضعة لقيم خارجية .. انها نابعة من الاضلع ، فهي تحمل سمات شخصية الشاعر لانها من لحمه ودمه .. ثم ان الكلمات التي تولد في اعماقه او في اضلعه ، مشعة كالقناديل والقناديل رمز للنور او الحقيقة ..

اريد ان اصل من كل هذا الى ان الشعر عند الفايز ليس غاية في حد ذاته .. ان الشاعر هنا لا يكتب الشعر لغاية الشعر ، ولكنه يستخدمه كوسيلة لترجمة ما يدور في اعماق ضميره من صراع فكري في محاولات لالتماس الحقيقة واستشفاف النور من الداخل .. والحرف لا شك وسيلة ناقصة غير قادرة على تصوير الحقيقة ككل .. والانسان في حد ذاته ناقص ، ولا يمكن ان نتوقع الكمال من النقص .. جل ما يستطيعه الانسان هو ان يحاول بما في مقدوره ان يكون متجردا وصادقا واميناً في تجسيم محاولاته في البحث عن النور الداخلي بالكلمات او بالشعر ، وبذلك تكون للكلمات قيمتها الحقيقية لانها تنبت من الشخصية او انها تولد من الاضلاع .. تأمل كيف ينهي شاعرنا ديوانه :

سلام سلام فاني انتهيت
كغيم تجمع ثم انهمر
ستشربه يابسات الصخور
وتملى القراب به والجرر

كأنه يريد ان يقول بانه افرغ في كلمات الديوان نوره الداخلي ، او رؤيته الداخلية للحقيقة ولم يعد في جعبته شيء .. لذلك فانه ينتهي بانتهاء شعره ، يموت بموت شعره ، والموت هنا معنوي .. اي وجوده وعدمه واحد ما دام الشعر هو عنوان وجوده

وتأمل في قوله :

وقد احترقت مع الحروف وها انا
بقيا رماد اضالع ومفاصل

اي ان الانسان الذي يعيش بيننا ليس هو الشاعر الحقيقي لان هذا قد احترق مع حروفه ، وانما هو انسان اخر لا تربطه بالانسان الشاعر الا « بقايا رماد اضالع ومفاصل) ، ورماد الاضالع والمفاصل مظاهر مادية فانية .. وهذا كله يمثل اقصى ارتباط بين الشعر والشخصية ، ارتباط حتى الموت ..

ونحن طبعا لا يمكن ان نوافق الشاعر على الاغراق في التشاؤم الى هذا الحد ، ولعل الازمة التي يعانيها تنحسر فتعود الحياة الى (يابس العروق) بالعودة الى وسيلة الحياة (الشعر) .. وهذا هو الامر الطبيعي المتفق مع ناموس الحياة ، فان ينبوع الضمير في اغوار النفس لا يمكن ان ينضب ما دام في الانسان نفس يتردد .

التوازن العاطفي والعقلي في الشعر ..

ان شاعرنا الفايز اذن يعطي للحرف او للكلمة او اللفظ اهمية خاصة لانه يعتبرها جزءا من شخصيته وتحمل السمات الحقيقية لضميره الداخلي ، وهذا ما يعطي شاعرنا الامتياز والنبوغ والجدة .. فالملاحظ ان كثيرا من شعرائنا المعاصرين لا زالوا يهتمون باللفظ وتنميقه واثارته اكثر من اهتمامهم بنسبة ما يحمله هذا اللفظ من صدق وتجرد في التعبير عن الضمير الداخلي ليكون صورة صادقة لشخصية الشاعر .. والحاصل ان افكارا سطحية بديهية تفوح برائحة النفاق الاجتماعي تعرض باسلوب بالغ الاناقة مفرط الزخرفة ، فيه تلاعب بالالفاظ او فيه اختيار لعبارات زاهية لماعة تلفت النظر وتطرب النفس ، ثم بعد ذلك لا افكار عميقة في الانسان وفي مشاكله .. ويكفي الاشارة هنا الى شاعرين معاصرين شهيرين هما سعيد عقل ونزار قباني ، وليعذرني المعجبون بهما .. ان الشاعر عقل مثلا يذهب بالحذلقة اللفظية والسفسطة اللغوية حدا تختلط فيها الافكار وتضيع المعاني فلا تستطيع ان تحدد بذهنك الفكرة التي تدور في رأسه او الصورة التي تجول في خياله . كأنه بهذا الاسلوب اللامسؤول يعمد الى ان يخفي على القارىء سطحية الفكرة او صورتها المهزوزة الناقصة في ذهنه .. او كأنه يموه على القارىء قصور عقله وعجزه في تحديد تقاطيع الفكرة ومعرفة تفاصيل بنيانها ، فلا يزيدها التلاعب بالالفاظ البهلوانية الا نقصا على نقص وغموضا في غموض .. واسلوب التعبير في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كثير من الاحيان يكون صنوا لشخصية الشاعر او صورة عن عقليته وطريقة تفكيره ، وليس من المتوقع ان تصدر عن عقلية سجينة الذات والاقليمية والعنصرية افكار رحبة منطلقة متجددة متحررة تصلح للانسان اينما كان.. هنالك اذن سجن معنوي غير مرئي يمنع مثل هذا الانطلاق الى السماوات الانسانية الرحبة .. والمؤسي ان السجن المعنوي لا يدرك ولا يحس ، فبالرغم من ان صاحبه رهين جدرانه الا انه لا يعلم بذلك ولا يدركه وذلك لطول ما الف حياته في داخله وتعود عليها فلم يعد يشعر بوطأة القيد او الانحباس .. بل انه يعمد احيانا الى التباهي بان افكاره المتحجرة المقيدة هي افكار تحررية انسانية .. فالامل في تلمس الطريق القويم الى الحياة الطليقة يكاد يكون في حكم العدم ..

اما الشاعر القباني فانه يغرقك باللفظ الناعم الجميل المنتقى ذي الجرس الموسيقي الذي يطرب ولا يفيد ويهز النفس في حينها ولكنه لا يتأصل في اغوارها ، ويثير عواطف الانسان ولكنه لا يغني تجاربه ولا يغذي فكره ولا يملأ روحه .. ان الغاية الاولى التي يهدف اليها هذا الشعر هو اثارة العواطف او اهاجة المشاعر او دغدغتها وتخديرها .. ولذلك فان مثل هذا الشعر كثيرا ما يلجأ الى المبالغة في العبارة والتهويل في المعنى وهذا ما يجرح صدق الشاعر واخلاصه ويهز تجرده ، بل انه تجسيم للانفصال بين الشخصية والشعر .. فكأن الغاية الاولى هي دفع القارىء الى التأثر العاطفي المؤقت والانجراف في الخيال الملون والاحلام المزخرفة .. ومثل هذا الشعر ذاتي مغرق في ذاتيته ، شخصي المنحى اكثر منه انسانيا موضوعيا .. بل انه حتى المواضيع الانسانية التي يتطرق اليها تبدو دائما مغلفة بذاتية الشاعر الضيقة ومجالها المحدود ، حتى لكأن الشاعر لشدة تعلقه بذاتيته وانكماشه في اطارها المقيد منفصل عن العالم الرحب المحيط به ، لا يشاركه مآسيه ومحنه .. ان نفس دعوى الشاعر القباني الاخيرة بالكف عن التطرق الى مواضيع الحب الجنسي التي قامت بفضلها شهرته الشعرية وتكريس شعره في مقبل الايام الى العمل الفدائي العربي وان النكسة العربية الاخيرة هي التي هدته الى اتخاذ هذا القرار .. اقول ان هذه الدعوى نفسها تأكيد لاتجاه الشاعر الذاتي الضيق القائم على الافتعال والظهور والمبالغة والمزايدة .. وكلنا يعلم ان النكسة العربية ليست هي الاصل في المشكلة ، وانما هي نتيجة متوقعة وطبيعية لمرض عضال يشكو منه جسم الامة العربية .. وان هذا المرض ، وهو الاصل في النكسة ، موجود منذ زمن طويل ، وان هنالك الكثير من المفكرين العرب الواعين المتبصرين لحقائق امور الامة العربية من يعرف ذلك قبل ان تتدهور الامور الى النكسة .. وقد نبهوا الى وجود المرض واقترحوا وسائل العلاج ، ولو سارت الامور على مقتضى نصائحهم النيرة وتوجيهاتهم المخلصة لوقى الله الامة العربية شر الانتكاس .. بل انه ما زال كثير من مفكري الامة العربية المدركين للوضع الحقيقي لحال هذه الامة يشيرون الى وجود العلة واستمرارها حتى الان ، وان العرب اذا لم يتداركوها بالعلاج الناجع السريع فانهم معرضون لنكسات ونكسات .. ان النكسة العربية الاخيرة جديرة ولا شك بان تعمق احساسنا بوجود العلة وتستحثنا على المبادرة بالعلاج الا انها غير قادرة على ان تخلق منا امة جديدة اخرى بين ليلة وضحاها .. ولذلك يبدو لي ان هذا السلوك من الشاعر القباني هو قصر نظر وعدم تبصر بجوهر الاشياء .. ان التصرف نفسه فيه من المبالغة والذاتية والظهور والتهويل السلوكي — ان لم نقل النفاق الاجتماعي — ما يشكو منه جسم الامة العربية .. وهو ما ينطبق ايضا على شعره العام ككل .. هنا فقط يوجد شيء من التطابق في الظاهر بين السلوك والشعر يميزهما عنصر واحد هو المبالغة في التعبير عن الشعور ، ولعله الشيء الوحيد الصادق في شخصية القباني وشعره .. ان الدافع للانجراف في هذه المبالغة هو فرض التصديق بمشاعر الشاعر على القارىء .. ولا حاجة للتأكيد على ان الصدق كثيرا ما يضيع في غمار المبالغة في الانفعال .. ان هنالك ميزانا دقيقا بين العقل والعاطفة يجب ان يحترم حتى في كتابة الشعر .. وما غاية الشعر في نهاية الامر ؟ .. ان نعبر عما يعتمل في اعماق نفوسنا من احاسيس وافكار بصدق وتجرد .. ولا يمكن ان نكون صادقين ومتجردين اذا تدخلت العاطفة الذاتية ولونت افكارنا وتصوراتنا باندفاعها المتطرف الذي لا يقيده المنطق ولا يلجمه العقل .. اننا يجب الا ننسى عقلنا دائما ونحن نعبر عن عاطفتنا فاننا لا شك سنكون في مأمن من الشطط والانحراف .. ونكون قريبين بقدر الامكان من الواقع والصدق .. والحياة الانسانية بعد رحبة كالكون المحيط بنا .. ولا يمكن تقييد عواطف الانسان وتحجير افكاره اذا كان الاخلاص في التعبير عن هذه العواطف والافكار غايتنا ولا يمكن ان يدعي الانسان انه في حزن مقيم او فرح دائم في كل الظروف مهما بلغ شدة تأثره بالكارثة النازلة او الحادث المفرح .. فالانسان مزيج من المشاعر المختلفة التي تظهر وتختفي بحسب الظروف المتحركة دائما .. ولا يختلف انسان عن اخر الا باختلاف ما حددته له الحياة من نصيب في كل ذلك بتأثير من البيئة والخبرة والمعرفة .. وهذا في حد ذاته يمكن ان ينعكس في شعر الشاعر او في فن الفنان متى توفر الصدق بتوفر التوازن العاطفي العقلي ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولسنا هنا في سبيل الاشارة الى الامثال حتى لا يتشعب بنا الحديث فننسى الموضوع الاصلي الذي نحن بصدده .. ولكن يكفي الاشارة العامة الى ان الاصالة الشعرية — او الموهبة الشعرية الكامنة — هي التي تهيىء للشاعر اختيار الكلمة المناسبة التي تترجم عن احساسه العاطفي الحقيقي ترجمة امينة قريبة من واقع الحال .. يجب الا ينجذب الشاعر الى مغناطيس رنة اللفظ وجرسه وموسيقاه فيدفعه ذلك الى التخلي عن الصدق والابتعاد عن الواقع والمبالغة في التعبير عن كوامنه .. اذن فالشاعرية الصحيحة هي التي تستطيع ان تحفظ التوازن بين المعنى الحقيقي الذي يجول في الخاطر والعبارة الموسيقية التي تعبر بطريقة قريبة من الصدق وذلك بتدخل المنطق العقلي كلما اهتز هذا التوازن بطغيان العاطفة والتهور في اختيار اللفظ بحيث لا يميل جانب على حساب الجانب الاخر ..

وحفظ التوازن هذا يستلزم عدم التقيد بالالفاظ المتخشبة الجامدة التي لا جرس فيها ولا نغم ، ولا تثير انتباها ولا يكون لها في الاذن وقع ولا تهز في النفس عاطفة او تثير شجنا او تذكر بموقف انساني هو جزء من تجربة الشاعر وصورة عن ضميره كما قد يكون جزءا من تجربة القارىء وصورة عن ضميره .. ان غاية ما يتمناه الشاعر ان يوصل تجربته الانسانية وصورة ضميره بكل ما يستطيع من تجرد وصدق وموضوعية وانفعال واع الى نفس القارىء ويخلق تلك الصلة الانسانية والمشاركة الوجدانية معه ..

ولا شك اننا كبشر نختلف في تلقي هذه التجارب بقدر ما نطبع عليه من درجات الاحساس ودرجات الايجابية الانسانية .. بل وفي تشابه التجارب .. وهذا يفسر الى حد كبير استجابة البعض منا لابيات معينة من الشعر والتأثر بها والانفعال بما تحمله من معاني دون ابيات اخرى .. لماذا ؟ لاننا نكون قد مررنا بتجربة الشاعر وعشنا ما تحفل به هذه التجربة من انفعالات الفرح او الحزن او الالم او السعادة الخ .. بل واكثر من ذلك .. ان نفس استجابة الفرد للتجربة الانسانية تختلف من شخص الى اخر .. فبعضنا يمر ببعض تجارب غيره مرور العابرين فلا تخلف هذه التجارب الا ندوبا صغيرة في نفسه لا تلبث ان تختفي مع الايام .. بينما التجربة نفسها قد تترك حفرا كبيرة عميقة تستمر مع الايام عند البعض الاخر .. وهذا كله يعتمد على درجة ما يحمله هذا الانسان او ذاك من شعور نحو الانسانية ومشاركة ايجابية لمآسيها وآلامها .. وكلما زادت درجة هذا الشعور عمقا واستجابة وانفعالا كلما كانت النفس اكثر احساسا او شاعرية او انسانية .. فكأن شاعرية الشاعر هي صنو لانسانية الانسان ..

وعلى هذا الاساس يمكن ان يحدد شعر الشاعر بمقدار ما ينطوي عليه من انسانية بغض النظر عن تصرفاته الخاصة التي قد تعتبر انحرافا عن احاسيسه الانسانية كشاعر كما يحصل في كثير من الاحيان .. فان تركيب الانسان الجثماني الناقص وقدرته النفسية المحدودة قد لا تكون قادرة — بل هي في اغلب الاحوال غير قادرة — على التوفيق الكامل بين المبادىء السامية والمثل العليا التي يؤمن بها وبين سلوكه الشخصي المعرض دائما للهنات والمثالب ..

عمق العبارة مستمد من عمق الفكرة ..

والان وبعد هذا الاستطراد الطويل الذي لا بد منه للتوضيح بان الحرف في الشعر يكتسب قيمته واهميته واصالته بنسبة ما يحمله من صفات النفس الداخلية التي هي الصورة الصحيحة لشخصية الانسان ، نعود الى التعرض مرة اخرى للحرف في شعر الفايز .. ولا شك ان هنالك صراعا مستمرا في اغوار النفس البشرية بين مختلف القيم والافكار ، وان استخلاص الحقيقة او رؤية (النور من الداخل) مرحلة شاقة وعسيرة ، الا ان القدرة اللغوية في العثور على اللفظ المناسب والتعبير المناسب لتصوير ما يلازم هذا الصراع من آلام واحزان ذات طابع انساني عام امر اشق واعسر .. فالشاعر هنا يعبر عن اشياء لا يمكن ان تدرك بالحواس ثم توصف بالكلمات .. ولكنه يترجم نوازع وهواتف وافكارا من اعماق الداخل يصعب تحديدها وضبطها وتنظيمها ورؤيتها رؤية كاملة .. ومن هنا اكتسبت العبارة الشعرية عند الفايز عمقا وغموضا وشمولا ، واصبح تفسيرها يختلف بحسب الزاوية التي ينظر منها اليها .. وهكذا حقائق الوجود .. ولا شك ان عمق العبارة نتيجة طبيعية لعمق الفكرة .. وعبارة الشاعر الفايز تستوقفك لتتأمل فيها وتطيل النظر اليها وتقلبها على وجوهها المختلفة ، وتناقشها في فكرك ، وتزنها بميزان القيم الانسانية ، وتقارنها بما تخزنه في راسك من افكار وتجارب انسانية لتصل الى شيء مما ترمي اليه ، نظرا لان العبارة لا تعطي كل ما ترمي اليه .. ولا شك ان العبارة العميقة صادرة عن عقل باحث ، قلق ، فاحص ، طموح ، شكاك ، دائم التأمل ، دائم التقصي ، شديد الحساسية ، عميق الوعي ، مفرط الاخلاص .. ولذلك فانك كلما تأملت في عبارات الشاعر اكثر كلما تكشفت لك عن صورة جديدة او فكر او تجارب انسانية لم تكن لتدرك منذ الوهلة الاولى ، وهذا ما يضمن للشاعر البقاء والجدة .. فالمعنى ليس محدودا بصورة معينة او فكرة ثابتة ، وانما هو كالنبع تنهل منه فلا ينتهي ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واذا تفجرت الحـــروف باضلـــــع
فاضت باغدق منهـــل للنـــــاهل

وهكذا الطبيعة .. انها دائما قديمة جديدة متجددة، تختلف صورها في الذهن باختلاف زوايا الرؤية وبحسب ما نحمله في ذهننا من ذكريات وصور وتجارب عنها ، وهنا الاعجاز في الشعر ، ان يكون الشعر قطعة من الشخصية .. او قطعة من الطبيعة ، فيه من الوضوح ومن الغموض ومن العمق ومن البساطة ما فيها .. وفيه تشعبها الذي لا يحد وتجددها الذي لا ينتهي ..

والحرف هو العنصر الاساسي الذي تتكون منـــه العبارة ، وهذا هو السر في ترديد الشاعر الفايز كثيرا للحرف .. ان الحرف امر بالغ الاهمية لانه وسيلـــة التعبير عند الشاعر .. انه لبنة من لبنات بناء عالمه الشعري .. والحرف بعد جزء من الطبيعة وقطرة من مائها .. اليس هو من خلق الشاعر وابداعه والشاعر جزء من الطبيعة .. او الكون الاعظم ؟ ..

في اضلعي الكمات تولد كالقناديل الصغيرة

ولا بأس من الاشارة مرة اخرى الى هذا البيت.. فانه يشتمل على معنى فذ .. ان الكلمات تولد في اضلاع الشاعر ، اي انها جزء من كيانه العام ، وتحمل صفاته وملامحه .. وهي بعد ليست كلمات عادية .. فهي تتراءى لروحه كالقناديل الصغيرة المضيئة ، يستخدم ضوؤها الخافت في دياجير الحياة المدلهمة علها تعينه على تلمس الطريق الى الحق .. والولادة تمثل حياة جديدة تدب في الحرف بكل ما تتطلبه هذه الحياة من وجود ، ومعنى لهذا الوجود .. فالحرف لم يعد ذلك الشيء الميت الذي لا قيمة له ولا جدوى منه .. انه الان ينبض بالحياة والحركة .. ويفيض بالمعاني والدلالات .. انه يشع بالحقيقة الداخلية او (النور من الداخل) لان وجوده مستمد من وجودها ونوره انعكاس لنورها ..

الحرف والشخصية والكون ..

ولا يقتصر الامر في التعبير عند الشاعر على ارتباط الشخصية بالشعر ارتباطا مصيريا فحسب ، بل يتعداه الى ما هو اعم واشمل .. اعني ان عبارة الشاعر في كثير من الاحيان تعكس احساسه العام القابع في الاغوار بارتباطه بالطبيعة ، او بالكون ككل ، كانهما شيء واحد .. تأمل طريقته الفريدة الشـــاملة في تصوير صوت الدفوف في اذن البحار بعد اوبته من سفره البعيد ..

صوت الدفوف يرن في اذني فتشربه الضلوع

وهي — كما هو واضح — طريقة غير مألوفة في التعبير ، يميزها الاحساس العام بالارتباط بالكون ، كأنه والكون شيء واحد ، فلا يقتصر صوت الدفوف عـــلى الرنين في الاذن ثم يختفي في الهواء كأن لم يكن ، ولكنه ينتشر في الكيان الجثماني العام ليصبح جزءا منه ، كأنه التفاعل الكيماوي الذي يولد مادة جديدة طارئة هي التجربة المكتسبة الباقية في اغوار النفس كأي عضو من اعضائه .. وتأمل في اختياره المناسب لكلمة « فتشربـــه » ، فالشرب يطلب نتيجة للعطش ، فكأن الكيان العـــام متعطش لاصوات الدفوف ، فاصوات الدفوف بعد كل شيء رمز للنشوة المرتقبة والفرحة المتوقعة بعودة حميدة بعد سفر البحار الشاق الطويل المحاق بالاخطار ..

والامثلة على هذا الاتجاه الرائد الفريد في التعبير الذي يميزه الاحساس الشخصي العام بالارتبـــاط المصيري بالارض ، او بالطبيعة او بالكون والذي ينعكس على الحرف ، وسيلة التعبير فيكتسب منها ملامحهـــا وصفاتها .. اقول ان الامثلة عـــلى ذلك منتشرة في صفحات الديوان ، وليسمح لي القارىء اختيار نماذج منها للتدليل ..

رجل البحار على سفينته وفي يده منار
من نور عينيـــه يضاء كما النهـــار

★★

ومـــن التشرد في البحـــــار
سيشـــــع في روحي النهـــار

★★

ضوء الشموع من وهـــج عينيهـــا
فـــذوبي يـــا ضـــلوع

★★

يـــا عاشقـــــا عطر الجنوب
ليست عطورا مـــا نشقت بل العظام
لا لـــن يمـــوت
قلب كمصبـــاح يشع الى الجميـــع
اني اكـــاد اشـــم في تلك الرمـــال
مسرى خيولهم الاصيلة حين تذهب للقتال

★★

ضوء النجوم من العيون الحالمـــات
تحت الثرى . ومن الشفاه الذابلات
عطر البنفسج والورود القابعـــات

★★

الشمس في الافاق كالايمان في قاع النفوس
ومن القـــلوب المؤمنـــــات
بالارض والانسان تنبثق الحقيقة والحياة
زرقاء صافية كعين حبيبتي عند اللقاء

★★

المجتمع والعزلة الروحية ..

والحرف بعد هو الملجأ الوحيد الذي يستطيع ان يلجأ اليه الشاعر حينما تظلم نفسه وتقسو عليه عزلته

الروحية الكئيبة في مجتمعه .. عن طريقه يستطيع ان ينفس عن ضميره الداخلي فيستشعر شيئا من الراحة والسكون المؤقتين .. انه — اي الحرف — صمام الامان للشاعر والا فخطر الاختناق من جراء تضارب الافكار وشرودها وحيرتها — واقف بالباب يلوح بالتهديد .. استمع الى صرخته الصادرة من قاع اعماقه وهو يناجي الحرف — وسيلته في التعبير والترجمة والتنفيس عن افكاره الجريئة الاصيلة المكبوتة كأنه يستنجد به ويلوذ اليه ..

آه يـــا حـرف القصائـــد
لطخوا الاقمار بالطين ، وانوال العناكب
خنقت شمسي . وعبـــاد النجوم
اوقفوا الليـل عـــلى درب المدينـة

ما هي نجواه للحرف ؟ .. انه يشكو اليه جهل مجتمعه وعجزه عن فهمه وادراك ما يدور في راسه من افكار ..

لطخوا الاقمار بالطين

والاقمار هي قناديله المضيئة .. او افكاره .. لطخوها بطين العادات البالية والافكار العقيمة التي ورثوها وآمنوا بها على علاتها .. وكان يريدها قناديل تضيء لنفسه ولغيره عله او علهم يتلمسون في ضوئها سبيل الحقيقة .. وكما هو واضح ان شاعرنا يستخدم الرمز كثيرا في شعره وعلى الاخص حينما يتعذر عليه الكلام الصريح الواضح ..

ان القمر رمز للفكر النير الجميل .. فالقمر هو الذي يضيء الطريق للساري في الليل الداجي .. والمجتمع يعيش في ظـلام دامس من بالي المعتقدات وموروث العادات .. فلا يكاد يطل القمر ليضيء بضوئه الذهبي الهادىء الطريق حتى يتعرض له بعض افراد المجتمع المتعصبين ليلطخوه بالطين .. والطين كما هو واضح رمز للافكار الموروثة والمعتقدات البالية .. حتى لكأن المجتمع الف حياة الظلام .. ولا يريد النور عن طواعية واختيار ..

وانوال العناكب هي رمز لمحاولات الجـامدين والرجعيين .. وقد رمز اليهم بعباد النجوم .. اي عباد الفكر الجامد الموروث .. فالفكر مفروض عليهم وهم يتقبلونه تقبل العبد الذليل الذي يقبل بما يفرض عليه بخنوع ولا يحتج او يناقش او يعارض ما لا يستقيم مع تفكيره ومنطقه .. بل وامر من ذلك .. انه يؤمن وهو غير مقتنع ويقبل وهو غير راض ويعبد وهو غير مؤمن .. انه سجين فقد الحرية في الخروج من السجن الذي بناه له غيره .. فاطمأن الى الحياة بين جدرانه .. بـل انه يعارض كل رأي يدعوه الى التحرر من هذا السجن والانطلاق الى الحياة العريضة .. الى النور .. الى الفكر .. فكأنه بذلك يدافع عن عبوديته وذله .. والمؤسي ان (عباد النجوم) هؤلاء هم الذين يتبوأون الصدارة في المجتمع وان كلمتهم هي المسموعـة بسبب مركزهم الاجتماعي ومكانتهم الدنيوية .. وبذلك استطاع (عباد النجوم) ان يخنقوا الشمس رمز الفكر المشع الخلاق ، ويوقفوا (الليل) رمز الجهل والظلام والتخلف فـاذا بالمجتمع الانساني بسببهم في ليل مستمر وظلام دائب . حتى الفجر لا يكاد يلوح نوره حتى تتعرض له (انوال العناكب) فتمنع ضياءه الخافت على البصائر المغلقة فلا تعود خطواتها الضالة تعرف السبيل الى الطريق السوي ..

وعلى الشاطىء من امس سفينة
ابحرت تبحث عن مرسى وعادت
مثـــل افكـــاري حزينـــة
وعلى جدراننـــا الفجر يموت
قبل ان يولد في بيت ذبـــال
يا ليـــالي العنكبوت ..

ان هذه الهوة السحيقة التي تفصل بين شاعرنا وبين المجتمع الانساني هي التي عمقت شعوره المرير بالغربة والوحشة والوحدة .. وهي المسؤولـة في الدرجة الاولى عن هذه الروح اليائسة الحزينة التي تسيطر على شعوره .. فهو والمجتمع على طرفي نقيض .. ولا يمكن ان يلتقيا .. بل ولا يمكن حتى ان يقرب الفجوة بينهما ولا يستطيع شاعرنا ان يتغافل عما يمليه عليه ضميره الحي وينبهه اليه من متناقضات المجتمع ومفاهيمه المغلوطة عن الحياة فيعيش عيشته كغيره من افراده من اتباع (عباد النجوم) الراضين بسننه وقوانينه القانعين بعاداته وافكاره دونما مناقشة او معارضة او احتجاج .. وهذا شيء لا يمكن حصوله . وقد دعاه ذلك الى ان يحاول تقييم الحقيقة كما يراها في داخله ثم نقلها عن طريق كلماته الى مجتمعه عله بذلك يستطيع ان يزيل الغشاوة عن الاذهان فيستطيع غيره ان يرى الفجر — رمز الحقيقة المشعة في داخله — كما يراه هو .. ولكنه لم يعد بطائل .. فصب ثورته على الحقيقـة — او النور الداخلي — وعلى وسيلته في ترجمتها للغير (الحرف) .. ما قيمة الحقيقة اذا بقي نورها محجوبا ، وما قيمة الحرف اذا فشل في اقناع الغير بالرسالـة او بالحقيقة ؟ ..

لينطفي الفجر الـــذي انت واقده
ويفنى وجود انت بالحرف واجـده
قناديلك الزرقـــاء ذابت جميعهـــا
وما زال ليلا طـــال بالنوم راقده

اي ان افكاره المشعة بنور الحقيقـة والمجسدة بالحرف النابع من اضلاعه لم تلق بالا ولا استجابة من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المجتمع الذي لا زال يغط بالنوم ..

علقت كـــل شموعي في منـــازلكم
وفي دروبكم وزعت اقمـــــــاري
وكلمـــا عصفت ريـــح بســـاحتكم
آويتكم بضلوعي وهي كالنـــــار
حتى مضى جـــل ايامي وما كشفت
استـــار ليلكم الـــكهفي انواري

اذن لا امل في ان يصغي المجتمع لرايه المشـــع بالصواب بالرغم من محاولاته الطويلة ، ولا امل في ان ينتبه الى حقائقه المضيئة او (اقماره) .. ومع ذلك فهو مرغم احيانا على مسايرته ومهادنته والعيش معه لانه بعد كل شيء فرد من افراده ... ان هذا اليأس اذن من التلاقي مع المجتمع والرضوخ المفروض عليه له هو الذي افضى بشاعرنا الى روح تشاؤمية تذكرنا كثيرا بشاعر المعرة ... ولعل هذا ايضا يفسر اعجـــاب شاعرنا الفايز بتلك الشخصيات العربية البارزة في تاريخ الشعر العربي التي اوصلها احساسها الواعي العميق الطموح بالحياة الى نوع من القلق او الالم او الحزن او اليأس او التشاؤم او السخرية جعلها ايضا في شبه عزلة عما يدور حولها في المجتمع الانساني ... ولذلك نراه يهتم بالكتابة عن المتنبي شاعر الحكمة ، ذي النفس الطموحة الوثابة القلقة ، والشاعر الفيلسوف المعري بآلامه وانسانيته وتشاؤمه ، والشاعر المعذب فهد العسكر بروحه التحررية المنطلقة وثورته ضـــد المجتمع وجور عاداته وقيود تقاليده والشاعر بدر شاكر السياب ببؤس حياته الخاصة والعائلية وفشل مساعيه الدنيوية وظلم مجتمعه وانانيته واغفاله لانطلاقـــات ذهنه ومواهبه الانسانية ... انه وجد في هؤلاء جميعا النفس الحية الطموحة المرهفة التي ترفض الزيف وتبحث عن الحق ولكنها دائما تمنى بالفشل فيسيطر عليهـــا الحزن والالم واليأس ... انها نماذج بشرية شاعرة تشبهه في كثير من الوجوه ، ويرى فيها كثيرا مما يتردد في الاغوار السحيقة من نفسه المتألمة الحزينة اليائسة من حيرة ازلية امام شعاب الحياة المتوهة ومساكلهـــا التي لا تفضي الى شيء ترتاح اليه النفس وتسكن اليه..

خـــداع لعمري كل شيء وضـــلة
وضرب ســـراب مهلكـــات شـــدائده

يتبع في العدد القادم

"البيان" في ربيعها الرابع

مع عودة الربيع في كل عام ، يحل عيد ميلاد « البيان » .. التي ودعت في عددها الماضي سنة حافلة من عمرها المديد .. وها هي ذي تستقبل ، بهذا العدد الممتاز ، سنة جديدة احفـــل واغنى باطيب الاعمال .

ولا شك في ان قراءنا يتحسسون مدى التطور البعيد الذي استطاعت مجلتنا المجاهدة هـــذه تحقيقه في مجال الصحافة الادبية الجادة .. ولا شك كذلك في انهم ينتظرون منها المزيد من التطور والانطلاق والصمود ..

وهذا ما يبشر المستقبل به .. وهو مستقبل يدخر « للبيان » كل استقرار ، وكل ازدهار ، واوسع توزيع وانتشار .. كما سيحقق فيهـــا امل الادباء والمفكرين في وطننا العربي الكبير .

والله ولي التوفيق ،،

مدير التحرير

عصام عسيران

هؤلاء الناس الفقراء

قصة : لوليام ساروبان



ترجمة
السيدة أمل جراح

في صيف مضى ، عملت في محل للبقالة ، وكنت اعمل من الرابعة بعد الظهر حتى منتصف الليل ، ولكن لم يكن هناك عمل جدي بعد الثامنة ، بل كنت انظر من خلال النافذة ، او اتجول في المحل لاعد بعض الاشياء للطلب ، وكان محلا صغيرا في شارع جروف في الضواحي ، وكان كل زبائن المحل من الفقراء تقريبا .

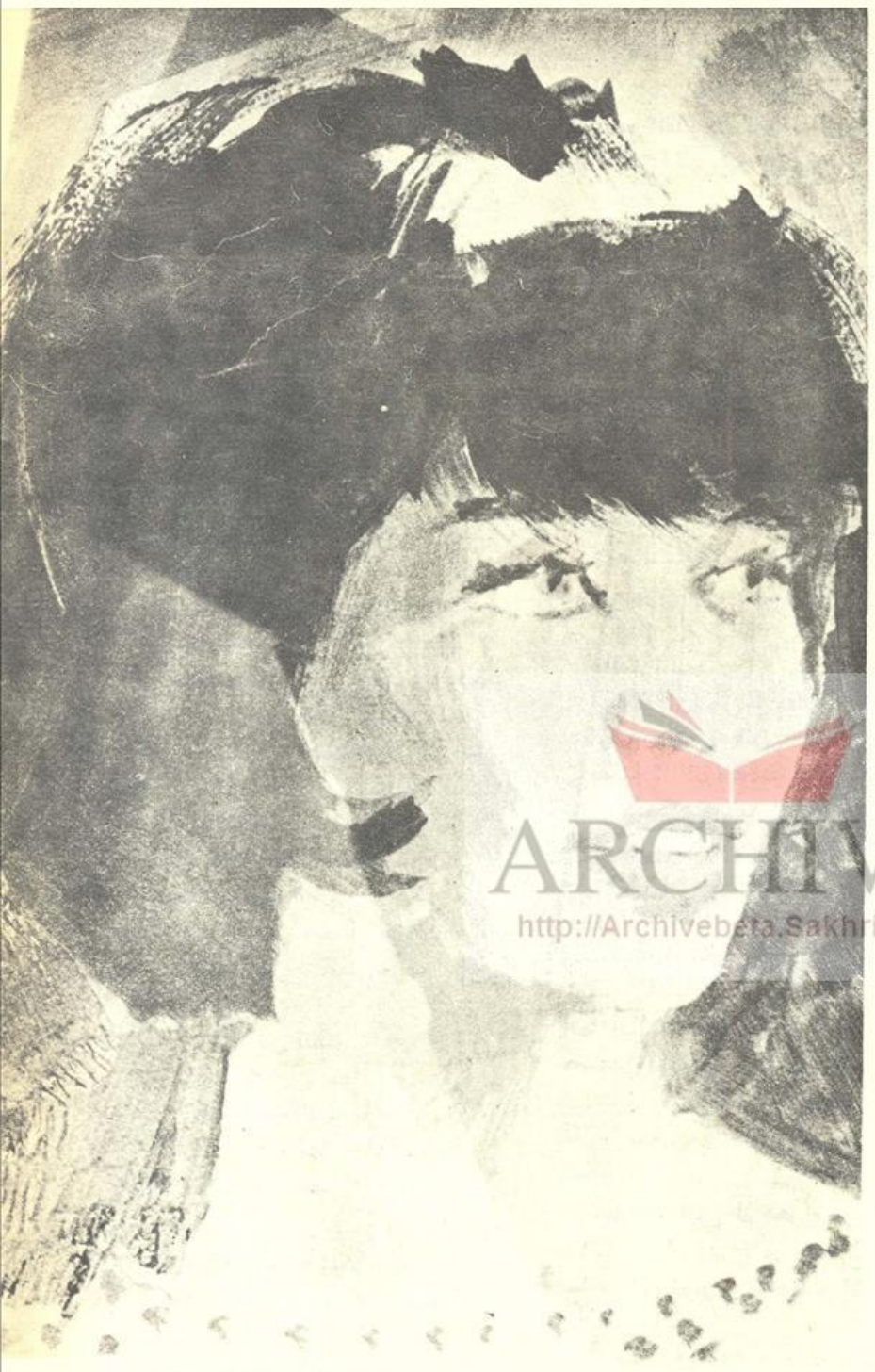
كانوا يسرقون الا البعض النادر منهم، فيما عدا الاطفال ايضا ، وكان البعض يسرقون اكثر مما يشترون تقريبا ، في الواقع ، كانوا يحتاجون اشياء ليس لديهم مال ليشتروها ، وكانوا عندما يشغلني امر ما ، يسرقون علب العلكة . او كعكة صغيرة ، او علبة من عصير الفواكه والخضار ، بالنسبة لي كنت اعرف كل شيء ، ولكنني كنت اتغاضى . انهم اناس خيرون ، لا علة فيهم سوى أنهم فقراء جدا .

وذات يوم ، في شهر اب ، حاولت احدى السيدات ان تخفي قطعة بطيخ في صدرها . كان ذلك من آلم الاشياء التي شاهدتها ، وهي امراة تقارب الخمسين من عمرها ، كان واضحا ان لديها ما تخفيه تحت خصرها ، ما يفوق احتمالها . واعتقدت انها تريد ان تسرق بطيخة فحسب . وفي ذلك المساء لم تشتر اي شيء. لا شك انها كانت مفلسة . وقفت في المحل زهاء خمس دقائق . وهي تسأل عن اثمان جملة اشياء ، وتتذوق مشمشا وخوخا وتينا ، وكنت اقول لها ان ثمن اثنتي عشرة تينة يساوي عشرة سنتات وانها مفيدة جدا ، فكانت تقول : من الواضح انها جيدة ، ولكن هل هي كذلك حقيقة ؟ فاطلب منها ان تذوق واحدة، فتتردد قليلا ثم ترفع ثمرة كبيرة من القفص وتنتزع قشرتها وتبتلعها . وهي تتذوقها بحذر وتفكير مبالغ فيه، لقد كانت سيدة دائما ، وبقليل من المال تصرفه على ملابسها كان يمكن ان تبرز بمظهر مؤثر وهي في المحل ، ولكن لم يبد انها تملك منه شيئا . وفكرت بمدى الذكاء الذي حصلت فيه على البطيخ دون ان تفقد هيبتها ودون ان تضطرب .

وكان احد القلائل الذين يأتون الى المحل ولا يسرقون شيئا ، اسبانيا صغيرا اسمه كاسال ، كان كاسال واحدا من اولئك الرجال الصغار ذوي الرؤوس الكبيرة والوجوه الحزينة التي تلاحظها حالا فتعجبك ، وقد اعتاد ان يأتي كل ليلة تقريبا ، في العاشرة ، ويظل نصف ساعة او نحو ذلك يتكلم ، كان يتكلم في هدوء ووقار وهيبة ، واذا ما حدث وكنت لا تزيد في العمر على الحادية عشرة ، وتزن حوالي اثنين وتسعين رطلا ، فليس من السهل ان تكون مهيبا .

لقد كنت احترم كاسال كثيرا ، وكان يبدو انه لا يعلم اي شيء ، ولا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



اعتقد انه قرأ جريدة طوال عشرة اعوام وما كانت له اراء او شكوى حول اي شيء ، لقد كان رجلا بالغ الصغر ، توصل الى ان يبقى ثمانية واربعين عاما حيا فقط ، وبالتدريج توصلت الى ان اعرف سبب هيبته وعدم شكواه .

لقد كان بسبب كونه ابا ، لقد كان له ابن في السادسة عشرة ، يبلغ طوله ست اقدام وكان رائع الجمال، انه ابنه ولا ريب ، له رأس كرأسه، وكاسال فخور به جدا ، وهذا هو ما جعله يستمر في الحياة ، وذات مساء قال : اتعرف ولدي ؟.. انه صبي لطيف . كبير جدا وصالح . اتعرف انني حينما اعود من العمل كل ليلة يقول لي : اصعد فوق كتفي يا ابي ، فاصعد حول كتفيه ويحملني حول البيت كله ، ثم نجلس ونأكل .

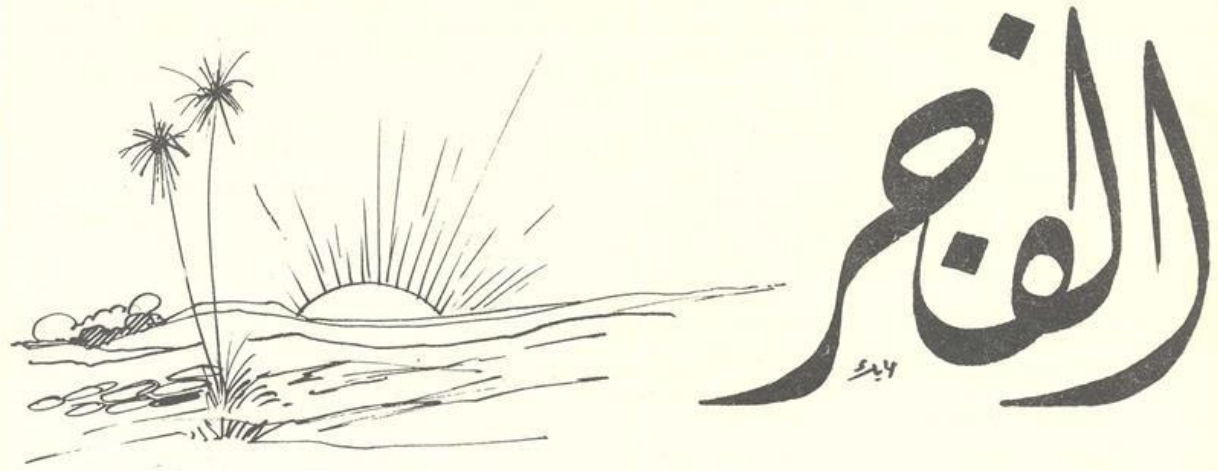
ماذا تستطيع ان تفعل ازاء شيء كهذا ؟ ذلك الاب الصغير وذلك الابن العظيم ، والابن يحمل الاب ويدور به فوق كتفيه ، هناك شيء ما ، كما اظن .

وفي ليلة اخرى قال كاسال: لسوف اخبرك لماذا صار ابني صالحا بالصورة التي هو عليها . لقد ماتت امه عندما ولد ، ذلك هو السبب . لم يعرف امه مطلقا . كان وحيدا دائما ، حتى عندما كان طفلا . اعتدت ان اذهب الى البيت ساعة الغداء لانظر حاله ، احيانا كان على وشك البكاء وهو ينتظر وحيدا ، ولقد اقلع عن البكاء منذ كان طفلا صغيرا تماما ، وقد تعلم ان يعرف كل شيء ، وحينما بلغ العامين كانت الحال بالنسبة لي وله اسهل بعض الشيء ، كان ينبغي لك ان تشاهد طريقة تربيته . هل تحبه .. ؟

فقلت : اعتقد انه فتى جميل .

قال : حسنا سأخبرك انه يريدني ان اتوقف عن العمل ، يريد ان يشتغل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





شعر
خليفة الوقيان

ما كل امر اذا ارضاك يرضيني ... وليس دينك فيما تبتغي ديني
يا حابس النور عن عينيّ من سفه ... ومسدل الليل كهفا كاد يطويني
هل أنت تبلغ نفسي حين تأسرني ... أم أنت تملك روحي حين تعميني
طورا اراك بسوط الجور تجلدني ... وتارة تبتغي ودي فتغريني
ان كنت تملك شيئاً لست املكه ... فان لي عنك كنزاً بات يغنيني
لي عن شموسك نور أستضيء به ... ومشعل في دروب العمر يهديني
يقودني لسبيل لست تعرفه ... وغاية من وراء الليل تدعوني

* ** *

يا زارع الشوك في دربي ليوهنني ... اني أرى الشوك بعضاً من رياحيني
لو كل درب بزهر الورد قد فرشت ... لما رأيت عليها غير مأفون
ان الرياح التي قد كنت تحجبها ... كي لا تلوث روحي وهي تغويني
قد هدهدت كل باب كنت توصده ... ومزقت في طريقي كل مكنون
فلا حصونك بعد اليوم تحبسني ... ولا سياطك عما رمت تثنيني
اني صحوت وبان الصبح في أفقي ... لما هجرت كهوف الذل والهون
وقد ملكت جناحا بات يحملني ... الى سماء من الآمال ترويني

* ** *

أكاد اسمع لحن الحب ، يغمرني ، ... خلف المسافات ، عن قرب ، يناديني
يرف كالحلم في جفنيّ يحملني ... لعالم من رحيق الفجر يسقيني
اني عشقت خيوط الشمس تنسجها ... سمر السواعد بين الماء والطين
اني عشقت الصباح العذب ترسمه ... فوق المحاجر صيحات المساكين
اني عشقت الغد المأمول تبعثه ... من مهمه التيه أنّات لمطعون
لتدفن الليل في اسمالـه مزقا ... وتجعل الأرض حبلى بالبراكين
وتطلق الطير تسعى في مساربها ... وتغرس الحب وردا في البساتين

الكويت — خليفة الوقيان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



هارون رشيد



محمود حسن اسماعيل



العوضي الوكيل

تعقيبات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

■ ملحمة هارون رشيد

من فوائد الشدائد هذا الشعر الذي نقرؤه لاخوتنا شعراء فلسطين، بل اكاد اقول ان مأساة فلسطين قد انقذت الشعر العربي الحديث من الركود فبعثته نشيطا حيا ، لا بكثرة ما قيل منه فيها وحسب ، بل بنوعيته وحيويته وصدقه .

ولقد انقذت مأساة فلسطين الشعر من شيئين كانا يضغطان على رئتيه حتى كادا يخنقانه : الرتابة التقليدية في ناحية ، والغرق في الضباب الذي لا يبين منه شيء في ناحية اخرى .

وقد اتسعت خطوة الشعر الفلسطيني في طريق البعث مع الحركة الاخيرة : حركة المقاومة التي خرجت عن الكلام والانين الى العمل بالسلاح، اذ صاحب الشعر هذه الحركة بخروجه من المهرجانات والاحتفالات وانطلاقه الى كل الميادين في النشر والتداول .

ولعل في هذا تعليلا لتحول بعض الشعراء — مثل هارون هاشم رشيد — من وزن القصيد المأثور الى الشعر الحر ، وكذلك بدء الشعراء المناضلين في الارض المحتلة بالتحرر من قيود البحور الى التدفق والانطلاق.

مما لا شك فيه ان القصيدة المحكمة الابيات بمأثور الاوزان والقوافي اطلح للالقاء واحسن وقعا في نفوس السامعين ، وخاصة في الجموع

بقلم عباس خضر



المحتشدة للسماع . ويبدو ان شعراءنا الجدد والمتجددين احسوا بالحاجة الى ميادين اخرى غير الاحتفالات والمهرجانات ، فانطلقوا مع المقاومة التي اخرجت الكفاح من سرادقات الخطب والصراخ ، المقامة على الارض الامنة ، الى ميادين القتال في كل مكان يحتله الغاصبون ، فصارت القصائد الجديدة تنطلق مع القنابل الجديدة : قنابل البازوكا .. هذه تدمر الاعداء ، وتلك تحيي الوجدان وتخصب المشاعر .

وهنا نجد مصداقا لما يقال من ان المضمون يستدعي الشكل ، فيأتي القول طبيعيا على خلاف ما يأتي به الباحثون عن الشكل لمجرد الاتصاف بالتجديد ..

طبقا لذلك رأينا الاستاذ هارون هاشم رشيد في مرحلته الشعرية الجديدة بديوان « سفينة الغضب » الذي صدر منذ شهور ، وبهذه الملحمة التي صدرت له اخيرا بعنوان « رسالتان » .

وشاعرنا « هارون » يعد مثالا حسنا لمن مارسوا الشعر العربي في شكليه : المأثور والجديد ، فنبتوا من الجذور العريقة ، ونموا وسمقوا ... ولا اقول بان هذا التحول يعد ثورة على الاوزان المأثورة او نسخا لها ، كما يذهب الى ذلك بعض الزملاء انما هو نماء وانبعاث منها ، وقد يعود اليها الشاعر عندما يجد صلاحها وملاءمتها لما يقول .

وارى من دواعي الشكل الشعري الجديد الاسترسال القطعي وما يصاحبه من تجسيد الشخصيات . وهذا يظهر لنا جليا في هذه الملحمة الصغيرة « رسالتان » او كما وصفها الشاعر تحت العنوان بانها « قصيدة طويلة » .

الرسالة الاولى من ام في الارض المحتلة الى ولدها الذي يطلب العلم في بلد اخر ، تحدثه عما يجري حولها من الحوادث المفجعة وما تعاني هي وبقية القوم — الاغراب في وطنهم — من المآسي ، وما ينزله المغتصبون بهم من الوان التعذيب والتدمير والتجويع والتقتيل والتشريد ، وتقص عليه مما يقع حكايات حزينة .. تقول الام لولدها في مطلع هذه الرسالة :

امك باعت ثوبها
لتشتري طحين
وعمك الذي تركته
منذ سنين
اغتيل امس ، برصاص المجرمين
وكل شيء ، عندنا بالموت يستعين
نصحو ننام كل ليلة مفزعين
يا ولدي ، يا قمري الحزين
ماذا اقول ،
كل شيء عندنا حزين

وتبث الام في خلال هذه الحكايات شوقها الى الابن الغائب البعيد وقلقها عليه — شأن كل ام — فتقول :

يا شوقي ، ويا وجدي عليك
كيف تنام ..؟ كيف تصحو ..؟
كيف ؟ قل لي ما لديك ؟
هل تعرف الدفء ترى ؟
وهل تغطي عارضيك ؟

وبمثل هذا يعطينا الشاعر لمسات ونبضات انسانية في مجرى التعبير عن المشاعر الوطنية .

ويذهب تصوري الى ان « الام » ترمز او تمثل « فلسطين » الدامية الحزينة التي ترنو الى ابنائها في كل مكان ، وتهيب بهم ان يستنقذوها من ايدي السفاحين ، وتدعو البعيد منهم الى العودة للمشاركة في النضال ، فلا شيء — حتى طلب العلم — اولى من النضال على الارض الاخيذة واستخلاصها من الاخذين ، النضال حيث تثبت الاقدام في الصخور وتنفرس في الوحول « وتدق مسمارا لآسرها وتزحف كالسيول »

ولا يسّع « الولد » الا ان يلبي النداء ، ويهرع الى امه « فلسطين » مرتميا في احضانها ، وما احضانها الا الكهوف والخنادق .. ويكتب « الرسالة الثانية » ويختمها بقوله :

اني فدائي
وحسبي
ان تكفنني ..
وتحضنني المرابع

ونصل ختام هذه الكلمة ببدئها ، فنرى في « الرسالتين » الوضوح والاشراق والنصاعة ، وهي السمة الثانية لهذا الشعر الذي يعرف طريقه الى الغاية الواضحة ، كما تعرف المقاومة المسلحة غايتها التي تشرق من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خلال دخان البازوكا ..

غاية واضحة مشرقة .. لا ضباب، لا غموض ، لا تمزق ، لا تفسخ .. والطريق اليها واضح وان حفل بالاشواك والمخاطر ، والانسان المقاوم — بالشعر او بالسلاح — يتجشم ويعاني ويقاسي ، وقد يموت ، ولكنه لا يتمزق ولا يتفسخ ... انه يدع التمزق والتفسخ لمن لا هدف له ،او لمن ابطرته الدعة والرفاهية ، ويمضي الى الهدف الماثل امامه .

تحية لهارون هاشم رشيد ، شاعرنا الذي يثري ادب المقاومة العربي بشعره القوي المتدفق في عذوبة ، ويبر بامه « فلسطين » فيقف عليها شعره ، كأنه اقسم الا يناجي غيرها حتى تبرأ مما اصابها ، وسلاما على المناضلين في احضان الام .. في كهوفها وخنادقها ..

عمل غير صالح

سعدت — غير مرة — بدواوين الاخ الشاعر الاستاذ العوضي الوكيل، التي اصدرها في مدى حياته الشعرية الطويلة العريضة ، وطالما رأيت في شعره ، كما رأت الحياة الادبية في هذا الجيل ، الوانا طريفة تستمد من الاصالة العربية ومن الحياة العصرية والاتجاهات الحديثة في مزيج او « مركب » له مذاق طيب وفيه غذاء ادبي مريء .

ولكني في هذه المرة غير سعيد .. غير سعيد بهذا « الديوان » الذي اصدره او الذي « اجترحه ! »اليوم.

ليس هذا اليدان ديوان شعر ، بل هو كتيب كتب على غلافه ما يلي :

الديوان
كتاب في النقد الحديث
يتم في عشرة اجزاء
لمنشئيه
عباس محمود العقاد
المحرر بجريدة الاهرام
ابراهيم عبد القادر المازني
المحرر بجريدة الاخبار
الجزء الثالث
بقلم : العوضي الوكيل

والى جانب ذلك — على الغلاف — عبارة تقول : « لم يؤلف العقاد والمازني الا الجزءين الاول والثاني اللذين طبعا اكثر من مرة سنة ١٩٢١»

ومعنى هذا ان العوضي يشرع في وصل ما انقطع .. حتى تتم الاجزاء العشرة ، اذ « اصبح الامر يتطلب عقادا ومازنيا اخرين ينهضان بما نهض به العقاد والمازني سنة ١٩٢١» كما قال في مدخل هذا الكتيب ..

عندما نشر العقاد والمازني كتاب « الديوان » قالا في مقدمته انه«كتاب» يتم في عشرة اجزاء ، موضوعه الادب عامة ووجهته الابانة عن المذهب الجديد في الشعر والنقد والكتابة ».

اما اخونا العوضي الوكيل فانه لا يبين في هذا الكتيب عن مذهب جديد في الادب ، ونغض الطرف عن هذا ، ونسير معه لننظر ما وجهته ، يقول انه لاحظ ، مثلما لاحظ العقاد والمازني ، ان ريح الادب راكدة وان المقاييس الادبية والفنية بحاجة الى التصحيح والتقويم ، فاراد ان يفعل مثلما فعلا .. ينشط الادب ويصحح المقاييس .. وهذا غرض لا بأس به ، ولكن هل اتجه اليه ؟

انظر ماذا صنع ..

« محمود حسن اسماعيل » شاعر منافق .. مزيف .. كاذب .. شحاذ .. بل هو ليس بشاعر .. لان الشعر والنفاق لا يجتمعان . وهو — اي محمود — يلوث جو الادب ويفسد مياهه ، ويملأ طرقاته بالاحجار والعوائق .. والدفاع عن شرف الادب يقتضي تطهير جو الادب منه .. الخ.

ذلك — اجمالا — هو موضوع الكتيب الذي اصدره العوضي باسم الجزء الثالث من « الديوان » والذي يختمه بقوله : « لقد كتبت هذا دفاعا عن شرف الادب بعد ان تلوث جوه وفسدت مياهه ، وامتلأت طرقا بالاحجار والعوائق »

وتلك هي الوسيلة الى تنشيط الادب .. وتصحيح المقاييس الادبية والفنية !

الست ترى معي انه خير للادب ان يظل راكدا مختل المقاييس ملوث الجو .. الخ من ان يطهر بمثل ذلك الكلام ؟ كنت اود ان يوجه العوضي « رشاشته » الى ناحية اخرى النواحي التي تحتاج حقا الى التطهير ولكنه — لسوء حظه — وجد في طريقه محمود حسن اسماعيل .

لقد هاجم العقاد والمازني « الديوان » وفي غيره من كتاباتهما — هاجما شوقي ووصفاه بأقل من ذلك فحشا واقذاعا ، فصار « امير الشعراء » .. فليت شعري ، ما يكون بعد محمود حسن اسماعيل .

اعتقد اننا وقراء العربية جميعا والشاعر المحمول عليه ، في غنى عن الدفاع عنه ، انما اريد ان اناقش المسألة كقضية ادبية في ذاتها ، اريد ان اخوض في البواعث التي حملت اخانا العوضي على هذه الحملة التي انفعل فيها انفعالا جرفه بعيدا عن الجادة ، ويكفي ان اشير الى انطباع من قراءة الكتيب بانها ليست في سبيل الادب وليست من تصحيح مقاييسه في شيء ..

المسألة التي يثيرها ويدور حولها هي ان محمود حسن اسماعيل ، الملك السابق « فاروق » بقصد نشرها في ديوان صدر سنة ١٩٤٦ ثم اغفل ذكر هذا الديوان في قائمة مؤلفاته التي صدرت بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ . وعلى قطع من تلك القصة يدور الكلام كله ، نقدا كما يسميه الكاتب ، وهجاء نثريا مقذعا فاحشا كما هو في الحقيقة .

نحن نعلم ، وكل قراء الشعر العربي يعلمون ، بامر هذا المدح الذي لم يكن سرا مطويا ، اذ كان كتابا منشورا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونعلم ايضا ان ذلك المدح كان في ظرف مختلف عما جد بعده ، ولم يكن شاعرنا وحده في مدح فاروق او من قبله من الملوك ومن عاصره من الوزراء والكبراء ، فما اكثر ما قيل في مدحهم من فحول الشعراء ، من شوقي الى العوضي الوكيل نفسه .. بل جاء لقب « امير الشعراء » من قول شوقي مفاخرا بانه شاعر عباس الثاني :

شاعر الامير وما بالقليل ذا اللقب

وكان فحول الشعراء يتنافسون في ذلك المدح ، ولم يكن ذلك في مصر وحدها ولا في العالم العربي وحده ،بل كان في كل مكان وزمان ، ولم ينقطع.

وليس كل شعر المدح كاذبا او منافقا او شحاذا قائله ، فكثير منه يصدر عن انفعال صادق ويستهدف اغراضا موضوعية غير مجرد مدح الشخصية المقال فيها ، بل انه احيانا يرسم مثلا انسانية عليا بتصوير قيم اخلاقية مثل الكرم والشجاعة والمروءة وغيرها . وفي العصر الحديث راينا كثيرا من الشعراء يطلون على الشعوب وقضاياها السياسية والاجتماعية من خلال مدحهم للملوك والامراء . وتفصيل ذلك يدعو الى تطويل ليس هذا مجاله .

وشاعرنا — محمود حسن اسماعيل — مدح فاروق عند ما كانت تتجه اليه الانظار راجية منه الصلاح، وقبل ان يظهر على حقيقته وتشيع فضائحه ، وكان طبيعيا بعد ذلك ان يسقط الشاعر ذلك الديوان من ثبت مؤلفاته ، لا مداهنة ورياء كما صور الامر مؤلف الكتيب ، بل شعورا بانه شيء صدر في ظرف جد بعده ما نقضه.

لماذا نمسك بتلابيب محمود حسن اسماعيل ؟

اننا لو اخذنا كل شاعر بمديحه للكبراء ، واتخذنا هذا المديح ذريعة لشتمه وسبه ولعنه وتجريده من الشاعرية ، لاسقطنا من عالم الشعر معظم الشعراء الفحول قديما وحديثا ، ورفضنا روائع شعرهم ، بل لامتد الرفض والنبذ — وربما اللعن والشتم — الى بعض عباقرة الغناء الذين غنوا في مدح الملوك والامراء !

ولكي نصحح المقاييس الادبية والفنية — طبقا لمنطق اخينا العوضي الوكيل — لا بد ان نسقط من عالم الادب والفن في عصرنا شوقي وحافظ والرافعي ومطران والجارم وصالح جودت وام كلثوم وعبد الوهاب ،لانهم قالوا او غنوا في مدح الخديوي او فؤاد او فاروق ..!

بل لكان في عداد المرفوضين والملعونين مؤلفنا نفسه .. العوضي الوكيل .. لانه مدح الكبراء والوزراء من اسرة « اباظة » وغيرهم بقصائد تشغل حيزا كبيرا من دواوينه ..

وما قولك ايها الاخ العوضي ... ان غضب منك او سخط عليك ، لاي سبب من الاسباب ، اديب — لا نعرفه الان — فاصدر الجزء الرابع من الديوان .. وقال فيك ما قلت في محمود حسن اسماعيل ؟!

لقد قرات طبعا ما كتبه اخيرا « رجاء النقاش » في موقفك من جائزة الدولة التشجيعية في الشعر ، مطالبا بتنحية « عزيز اباظة » عن رياسة اللجنة المؤلفة في المجلس الاعلى للفنون والآداب لفحص انتاج المتقدمين لهذه الجائزة ، وانت احدهم ، لانك مدحته ومدحت غيره من افراد اسرته بكثير من شعرك ، وسيكون هواه معك دون الاخرين ، والجائزة من الدولة لا من ماله الخاص .

يا اخي ، لقد تخلت عنك فطنتك في هذا العمل ، فلم تلتفت الى ايسر ما ينبغي ان تلتفت اليه ، اذ رميت غيرك بالاحجار وبيتك من زجاج ، طبقا لمنطقك الذي لا اتفق معك فيه، فلا ارى بيتك من زجاج لانك مدحت بشعرك هذا او ذاك .

القاهرة

عباس خضر



ساطع الحصري

مات القومي العربي الاول..

مات الانسان الذي كان يجسد ، بفكره وعمله وطراز حياته الفريد ، قضية الوحدة العربية وحتميتها بالاضافة الى ضرورتها الملحة والحيوية لكل ابناء هذه الارض المنداحة بين الخليج والمحيط .

مات ساطع الحصري ..

مات في بغداد التي احب ، والتي احبته مناضلا في الطليعة من الرعيل الاول ، كما احبته عالما مدققا يعرف ان العلم هو طريق الثورة وهو نهجها الذي لا بديل عنه ..

والحق ان ساطع الحصري قد احب كل عواصم العرب وبادلته حبا بحب ، بدءا بصنعاء التي شهدت ولادته قبل ٨٥ عاما ، مرورا بدمشق التي عرفته وزيرا لفيصل الاول ، ثم ببيروت وعمان ، والرياض ، والخرطوم وتونس وطرابلس الغرب والجزائر ومراكش ، وانتهاء بالقاهرة التي احتضنته ردحا من الزمن شانها في ذلك مع سائر المناضلين المخلصين المؤمنين بامتهم المجيدة والعاملين لغدها الافضل .

اليوم وقد انتهت رحلة هذا الرجل الكبير لا نملك ، نحن الذين وعينا ذواتنا وقضايانا وتراثنا بفضل ساطع الحصري، ومؤلفاته القيمة العديدة ، ما نودعه به غير عهد نقطعه على انفسنا : بان نظل على الطريق، وبان نكمل ما بداه حتى تتحقق لهذه الامة وحدتها ، وحتى تكون للانسان العربي الحياة الكريمة التي يستحق ...

بهذا فقط نكون قد حفظنا ذكرى ساطع الحصري واكملنا رسالته التي كان فيها رائدا ولا كل الرواد ...

"عبد الصياد"

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



رأي في شعر

عبدالله



انا سعيد جدا حين اكتب عن صديقي الشاعر المجيد عبدالله سنان المحمد ، لاني اريد ان اجلو مزية في شعره افتقدها في شعر كثير من الشعراء . الى جانب مزاياه الاخرى ، وما هي لدى النقد بشيء هين .

ان عبدالله سنان المحمد ، شاعر ثر الينبوع ، فياض القريحة وذلك اول ما يبادرك من دواوين شعره يبدو ذلك في طول نفسه ، وفي تنوع قوافيه بل يبدو في القوافي الجامحة يختارها احيانا ، فالضاد قافية صعبة المراس عصية على الناظمين ، ولكن عبدالله ينظم عليها قرابة العشرين بيتا فلا يهن ولا يضعف .

وهو يكثر من المفارقات في شعره، ليتخذ منها سبيلا الى السخرية وهذه هي مزيته الكبرى — يقول :

نهت عن معاطاة الخمور وشربها
وباعت اوانيها بشتى المعارض

وهي ملاحظة لم تفت فطنة الشاعر، فاتخذ منها هذه المفارقة التي مكنته ان يسخر من قوم يحرمون الشراب ويبيعون اوانيه في كل معرض وهي شبيهة بالمفارقة في قول ابي العلاء :

يحرم فيكم الصهباء صبحا
ويشربها على عمد مساء

وان تكن مفارقة المعري قد انتهت الى نوع من الموعظة في البيت الذي تلا هذا البيت . وهو يستمع الى دعاوة تدعو الى زيارة صخرة الروشة وهي صخرة الانتحار ، فتلهمه قريحته ان صخرة الانتحار لا يمكن الا ان تكون مسكنا لعزرائيل ، فالدعوة — اذن — هي دعوة لزيارة عزرائيل في مسكنه ! وبيناه في كرة القدم بيتان عجيبان ، يقول :

لا شيء اتعس حالة
في الدهر من كرة القدم
فكأن راكلها يكن
لها العداوة من قدم

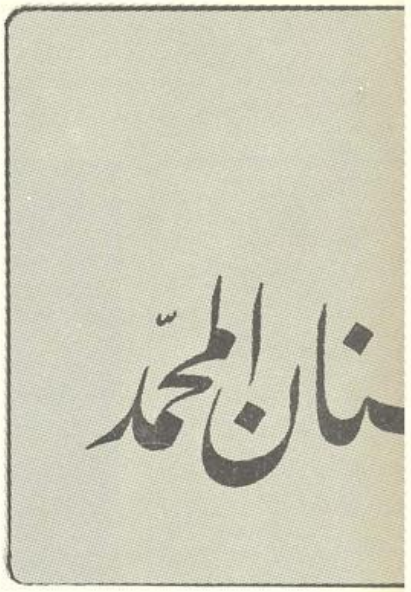
لاعب كرة القدم ، يحبها ، فيلعب، فيركلها ، والركل بالقدم عنوان الكراهية ، ففي هذا الركل يلتقي الحب والكره معا ، وهي لقطة من لقطات الفن الجميل ، لم تفت مصورة شاعرنا الذي يلتفت الى المفارقات فيصوغ منها صوره ومعانيه .



بقلم : العوضي الوكيل

مصورة صديقنا اذن مصورة دقيقة جدا ، لا تغفل عن ادق خصائص ما تصوره ، وهي تصوره من اكثر من جانب ، فتبدو المفارقات في الصورة من حيث هي صورة صحيحة لا افتعال فيها ولا تزييف ولا تزوير ، ثم لاافتراء.

المفارقات ولا شك تلذ الناس ، ولهذا يفتن الادباء والشعراء في ابرازها لهم في كل شيء ، يمكن ان تبرز فيه ، ولكن بعض الشعراء تفوته الملكة المصورة من اكثر من ناحية فيكملها صناعة حيث لم تكمل طبيعة ، فتجيء فهاهات من فهاهات التعبير والتفكير، ويبوخ المعنى وتبرد السخرية فلا تترك في نفس القائل او السامع الا السخرية من القائل نفسه ، حين يتحدث شاعر مثلا عن الثور في الريف ثم يصفه بانه عاهل القرية ، يظن انه قد اتى في باب المفارقات الفنية بما لم يأت به الاوائل والاواخر ، لان القول يجمع بين ثور وعاهل او هو يجمع بين حيوان يضرب به المثل في البلادة وفساد الجبلة حتى انهم في مصر يصفون الغبي



بانه ثور وبين انسان يعول غيره ويكفله بالقيام والرعاية ، ويعوز الجمع — اعني الجمع بين العاهل والثور — هنا ملكة فنية قادرة كملكة عبدالله سنان المحمد ، فيتساءل القاريء والسامع واين الفلاح الذي يقود الثور، ويدفعه الى العمل، ويمشي وراءه وهو يجر المحراث ، او يرقبه وهو يدير الساقية ، لقد الغى القائل هنا عنصرا من الصورة ، تساءلت هي عنه حين غاب عنها ، ولا تقبل اذن السامع ان تتجاوز عن غيابه ، فان غيابه هو غياب للصورة كلها ..

وتكشف مثل هذه المفارقة الغبية عن خواء المعنى ، وخلاء العبارة واهتزاز الفكرة وتردى العمل الفني كله في هاوية سحيقة من سماجة الصناعة وفساد الافتعال .

ومن هنا ، يبدو لنا ان الفطرة الفنية وحدها هي التي تستطيع ان تسوق الى السامع المفارقة الفنية التي تجعل من السخر شيئا طبيعيا ، وعملالا عمد فيه .

ما الشعر ؟

ان افضل تعريف للشعر في ظننا هو قول العقاد : « الشعر هو التعبير الجميل عن الشعور الصادق » وهو تعريف يهتم بالشكل والمضمون معا، ويدخل صدق الشعور الى جانب العرض اللفظي للفكرة او للخاطرة ، وفي راينا ان الاستاذ عبدالله سنان المحمد حين ينطلق في الشعر على سجيته يحقق احد هذين الركنين الاساسيين في الشعر ، وهو صدق الشعور ، وحين يعبر عما يريد في صورة شائقة تلذ سامعيها يحقق الركن الثاني من هذا التعريف .

لا يعيبه ان تجد له شطحة في النحو او الصرف هنا او شطحة هناك، فان صدق الشعور وبساطة التعبير تجعلها كانها شيء هين يمكن اصلاحه واجراء موازين سيبويه والاخفش عليه، وقلما قرانا له شيئا من ذلك الا كان تصويبه — بلا اخلال بالوزن والموسيقى والقافية — ممكنا سهلا ، وذلك في راينا آية على انه شيء عارض في هذه الطبيعة الفنية التي تعرض لها وهي طبيعة الصديق الشاعر عبدالله سنان المحمد. لان مداواته — ان سمي الامر مداواة — بهذه السهولة امر يؤذن بانه غير عميق في كيان العمل الفني، مثله مثل الجرح السطحي في الجسم يلتئم بأيسر الاسباب .

قوله مثلا في قصيدته الحب المختلق : —

فهي تهذي باغنيات عجاف
من مراض الافواه والمعيوبة

فيه كلمة المعيوبة اسما للمفعول يجري على غير ما قال الاولون ،ولكنك بايسر الجهد تستطيع ان تقول مثلا:

فهي تهدي باغنيات عجاف
من مراض الافواه جد معيبة

فلا تتجاوز معناه الذي قصد اليه ، ولا تكاد تتجاوز مبناه كذلك .

وما موضوعات الشعر ؟

زعم قوم ان للشعر موضوعات يجب الا يتجاوزها والا فقد الشاعرية وان له موضوعات يجب ان يتناولها والا فقد الفنية . ولعل ذلك متابعة لرايهم في الفاظ الشعر التي يجب ان تجمعها دفتا معجم واحد ، لا يمكن ان تزيد عليه شيئا .

ولست ادري كيف يمكن ان يكون هذا التقييد متلائما مع طبيعة الشعر نفسه ، ان الشعر هو ظل حياة صاحبه، فما تسعه حياته من الموضوعات لا بد ان يسعه شعره ، او بعبارة العقاد « ان من اراد ان يحصر الشعر في تعريف محدود لكمن اراد ان يحصر الحياة نفسها في تعريف محدود » فكل ما يستطيع من جوانب الحياة واحداثها ان يتخلل وجداننا وان يثير عاطفتنا هو شعر وموضوع للشعر لانه حياة وموضوع للحياة .

وعبدالله سنان ، يجعل حياته وخواطره موضوعات لقصائده ليؤكد بذلك الصلة الوثيقة بينها وبين نفسه، تلك الصلة التي تثبت وجوده في ديوان الشعر وتؤكد قيامه بما تفرضه عليه شاعريته ، ليكون هو وشعره مرآة وصورة او صورة ومرآة .ولست اريد ان اضرب للقاريء الامثال على هذا، وحسبه ان يفتح الديوان كيفما اتفق له .

ولصديقنا لمسات انسانية جميلة ، تصيب من نفس القاريء ما يصيبه الماء من ذي الغلة الصادي — كما يقول الشاعر القديم — من ذلك قصيدته الطفل التي اولها :

غط الصغير غطيط خشف هاديء
في حجر امه .

وكذلك قصيدته « البدوي والبحر » فانها واحدة من فرائد ديوانه — على قلة ابياتها — فقد صور احلام الطفل، وتقلب البحر فابدع واجاد . ولا سيما ختامها الذي يقول فيه :

ابي يا ابي فر نحو القفا
ر ولا تقرب البحر طول المدى
فاني لاخشى اقتراب البحار
ومنها اخاف عليك الردى

تحية للصديق الشاعر المبدع ، ودعاء له بالتوفيق .

العوضي الوكيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين الكتب ...

انسانيات محمد

تأليف الاستاذ خالد محمد خالد

بقلم الدكتور أحمد الشرباصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما الدافع الذي دفع المؤلف الى تأليف كتابه ؟

لقد سيطرت على المؤلف الاستاذ خالد محمد خالد روح الاعجاب بشخصية خاتم المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام ، وبخاصة الجانب الانساني في هذه الشخصية ، فأقبل على هذا الجانب يتعرف اليه ويدرسه، وفكر اولا في ان يتتبع احاديث الرسول الكريمة ومواقفه العظيمة ، ليختار منها ما يكون صورة محمد الانسان ، دون ان يمزج هذه الاحاديث والمواقف بشيء من الشرح او التعليق ، وانما يكتفي بالترتيب والتنسيق ، ولكنه ما كاد يمضي في هذا الطريق ، حتى وجد ان ذلك الفيض النبوي الكريم يلقى على فكره وقلبه الكثير من الافكار والخواطر،واذا هو يستجيب لهواتف هذا الفيض ، فاقتفى اثر هذه الاحاديث ، واستنبط منها معالم النموذج الذي يشكل انسانيات محمد الباهرة على نحو جليل ، واضاف الى ذلك ما افاءته هذه الاحاديث والمواقف من فهم ومعرفة .

وقد عبر المؤلف في صدر كتابه عن مدى اعجابه بشخصية امام الانبياء ، فاهدى اليه كتابه في هذه السطور :

« يا من جئت الحياة فاعطيت ولم تأخذ . يا من قدست الوجود كله ، ورعيت قضية الانسان . يا من زكيت سيادة العقل ، ونهنهت غريزة القطيع ، يا من هياك تفوقك لتكون سيدا فوق الجميع ، فعشت واحدا بين الجميع . يا من اعطيت القدوة، وضربت المثل ، وعبدت الطريق يا ايها الرسول ، والاب ، والاخ والصديق . اليك اهدي هذه الصفحات في حياء من يعلم انه يجاوز قدره بهذا الاهداء » ..

وماذا يقصد المؤلف بكلمة « انسانيات » في عنوان كتابه ؟..

ان كلمة «الانسانية» تدل في اصل مفهومها اللغوي على النسبة الى الجنس البشري ، ولكن الكلمة اكتسبت بعد ذلك مدلولا عرفيا يفيد

معنى الاتصاف بطائفة من الاخلاق الطيبة ، فاذا قيل : فلان هذا عنده نزعة انسانية ، فهمنا من ذلك انه غير اناني ، وانه يتعاون مع غيره ، وانه يخدم سواه ، وانه لا يضمر للناس حقدا ولا حسدا ، بل يعيش معهم بروح طيبة وقلب كريم ، وكذلك اذا قيل : فلان هذا انسان.

فالمؤلف اذن — حسب فهمنا — يقصد من كلمة « انسانيات محمد » الجوانب الخلقية والاصلاحية التي تجلت في شخصه النبيل ، فجعلته خدوما للبشر ، عطوفا على الانسان مخلصا في النهوض بالانسانية الى ارقى مراتب الاسعاد والتكريم .

ولقد قدم المؤلف لهذا كله بمقدمة تفيض شعورا بهذا الجانب العظيم في شخصية الرسول ، مع التعرض للجانب النبوي في هذه الشخصية الفريدة ، فيقول :

« لو لم يكن محمد « رسولا » ، لكان « محمدا » ، ولو لم يتلق الامر من ربه : « يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك » لتلقاه من ذات نفسه : « يا ايها الانسان بلغ ما يعتمل في ضميرك » .

ذلك ان محمدا الانسان جاوز نضجه وارتقاؤه كل تخوم الذات وحدودها . ولم يكن ثمة سبيل لوقف انتشار هذا النضج وهذا الارتقاء خارج الذات وخارج البيئة ، بل خارج كل زمان وكل مكان .

« وان عظمته التي فرضت نفسها ، ونادت اليها ولاء المؤمنين واعجاب المعرضين : عظمته التي لبثت زهاء الف واربعمائة عام ، وستظل دوما ترسل ضياءها وسناها وتبث في ضمير الزمن رشدها ونهاها .. هذه العظمة تنبع اول ما تنبع من انسانية محمد ، من الطريقة التي كون بها نفسه ووجدانه وعقله ، ومن الموقف الذي اختاره والتزمه تجاه الكون والناس والحياة .

« والحق ان محمدا الانسان شيء باهر ، فاذا التقى به محمد الرسول فان عظمته انئذ تجاوز كل حدود الثناء . ولكن ، لماذا اضع « الانسان » مقابل « الرسول » ؟ . او ليس الرسول انسانا ؟ بلى ان الرسول انبان ، وانما اريد بصفة « الانسان » هنا التنبيه الى انني اركز الحديث على الطابع البشري المحض الذي يشترك فيه محمد مع سواه من الناس ، والذي تفوق فيه على من سواه من الناس ، فهذا الطابع البشري بكل انفعالاته وبساطته وتلقائيته يبهجنا ويبهرنا ، لانه من صنع واحد منا ، واحد مثلنا ، ومن ثم فهو يمنحنا ثقة بانفسنا ، واحتراما عظيما لبشريتنا التي تنجب مثل هذا الطراز الرفيع من الخلق » .

وينبغي ان نلاحظ هنا ان الرسول الانسان ، او الانسان الرسول ، لا يكون نفسه بنفسه ، بل الله تعالى يصنع رسوله على عينه ، والله اعلم حيث يجعل رسالته ، فلا نسلم ان عظمة محمد عظمة بشرية صرفة ، بل هناك يد الله العلي الاعلى تهدي وترشد ، وتعصم وتقود ..

وما هي الموضوعات التي تعرض لها المؤلف من ناحية الجوانب الانسانية في حياة الرسول ؟

تكلم المؤلف عن الرحمة ، وكيف كانت منهجا للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذلك نراه يعبر عن نفسه صلى الله عليه وسلم بقوله : « انا رحمة مهداة » . والقرآن يقول له : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .

ورحمة الرسول لم تكن رحمة ضعف ، ولم تكن « رد فعل » ليتمه ، بل كانت رحمة الاقوياء الشرفاء الذين يعفون عما في ايدي الناس ، ويعطون الناس ما في ايديهم ، ولذلك قال الرسول : « ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » .

ولقد تجلت رحمة النبي في تخفيفه عن قومه ، ومحاربته للاسراف والارهاق حتى في العبادة ، وحثه على رعاية الطفولة ، ومطالبته باكرام الوالدين وبخاصة الام ، ورفقه بالحيوان ، ودعوته الى الرفق بالضعفاء والفقراء والمنكوبين ، والى امهال المعسرين في اداء الديون .

ومما يشير بجلاء الى رحمة الرسول انه يخبرنا بان مولاه وخالقه سبحانه ارحم بعباده من الام بولدها ، وهو مبلغ عن الله تعالى ، فلا بد ان يشيع الرحمة بين الناس ، وحتى المذنب يرحمه النبي فلا يجعله يضيق في قسوة بذنبه ، بل يفتح امامه ابواب المثاب والمغفرة ، وحينما يحاول بعض صحابته ان يقسوا على مذنب يقول لهم « لا تعينوا عليه الشيطان » .

★★★

ثم ينتقل البحث الى عدل الرسول الذي جعل العدل شعاره ودثاره ، حتى قال : « فمن يعدل ان لم اعدل » ؟ . وحق له ان يقول هذا لانه اولى الناس بهذه العدالة واحرصهم عليها ، ومحمد حين يقول هذا لا يقوله متباهيا ولا مختالا ، بل مذكرا الناس بحقهم في ان يتوقعوا منه اقصى فرائض العدالة ، وفي ان يحاسبوه عليها اذا عن لهم ما يقتضي الحساب .

فاذا لم يقم محمد بالعدالة كاملة فمن اذن يقوم ؟ . ان واجبه ان يفعل وقبل الواجب هناك طبيعته الخيرة النقية ، تجري الفضائل الكبرى خلالها ، كما يجري الدم النقي في العروق النظيفة . فاذا لم يعدل محمد كل العدل فقد اخل بواجبه ، واذا لم يعدل كل العدل فقد جافى طبيعته ، ومحمد ليس الانسان الذي يفرط في تبعاته ، ومحمد ليس الانسان الذي يجافي فطرته ويلوي طبيعته . هذا هو معنى قوله عليه الصلاة والسلام: « فمن يعدل ان لم اعدل » ؟ .

ومن حرص الرسول على العدل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انسانيات محمد

وعلى محاربة الظلم وجدنا له هذه الطائفة العظيمة من الاحاديث التي تشن حربا لا هوادة فيها على الظلم والظالمين :

« اتقوا الظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة » .

« اتق دعوة المظلوم فانها ليس بينه وبين الله حجاب » .

« دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها ابواب السماء ، ويقول الرب : وعزتي لانصرنك ولو بعد حين » .

« ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته » .

« افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » ..

★★★

ثم ينتقل البحث الى جانب انساني اخر من انسانيات الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم ، وهو جانب الحب الذي قال فيه النبي : « لا تؤمنوا حتى تحابوا » .

والحب عند محمد — كما يعبر المؤلف — ليس شهوة ، انما هو فطرة وفطرته تنساب الفة وتتفجر محبة ، هكذا كان طفلا وفتى وكهلا ، لم تقع عليه عين الا احبته ، واسلمت قلب صاحبها لهيام شديد . ذلك انه كان ينطوي على حب كبير ، بل كان هو الحب كله ، فاذا رآه مبغض ثلاب ذاب بغضه من فوره ، حين يمسه نفس واحد من انفاس حبه الجياش.

ذات يوم اقبل عليه رجل فظ ، لم يكن رآه من قبل ، غير انه سمع ان محمدا يسب آلهة قريش والقبائل كلها ، فحمل سيفه واقسم ليسوين مع محمد حسابه . وبدأ حديثه عاصفا مزمجرا ، والرسول يبتسم ، وتنطلق مع بسماته اطياف نور آسر ، وما هي الا لحظات حتى انقلب الغليظ المتهجم ، محبا يكاد من فرط الوجد والحياء يذوب ، وانكفأ على يدي محمد وقدميه يقبلهما ، ودموعه تتحدر في انشيال متدارك . ولما افاق قال : « يا محمد ، والله لقد سعيت اليك ، وما على وجه الارض ابغض الي منك واني لذاهب الان عنك ، وما على وجه الارض احب الي منك » .

والحب الذي يريده الرسول ليس حب الغرض ، ولا حب المرض ، ولا حب الفائدة والمنفعة ، بل هو الحب الطاهر الخالص لوجه الله تعالى ، ولذلك نجد في سنة الرسول عليه الصلاة والسلام قوله : « ان من عباد الله اناسا ما هم بانبياء ولا شهداء ، يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى . قالوا: يا رسول الله ، تخبرنا من هم؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم ، ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم لعلى نور ، لا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس » ، ثم تلا قول الله تعالى : « الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ».

ثم ينتقل البحث الى جانب السمو في شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام ، فاذا بنا نجده وهو صغير يقبل عليه اقرانه يعرضون عليه ان يشاركهم لهوهم وزمرهم وطبلهم ، فيقول لهم صلوات الله وسلامه عليه: « انا لم اخلق لهذا » . وحينما كلفه الله تعالى بالرسالة حرم نفسه الراحة والنوم ، ولما اشفقت عليه خديجة ، ورجته ان يأخذ حظه من النوم ، قال لها : « انتهى عهد النوم يا خديجة » .

وهو هو الذي قال في الحث على السمو والتحريض على الرفعة : « ان الله تعالى يحب معالي الامور ويكره سفسافها » .

ثم يختم الاستاذ خالد محمد خالد كتابه بفصل عن السهر لحل مشكلات الناس وخدمتهم ومعونتهم ، واذا بنا نجد الرائد في ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « احب الناس الى الله انفعهم للناس » ، وقوله : « ان لله خلقا خلقهم لحوائج الناس ، يفزع الناس اليهم في حوائجهم ، اولئك الامنون من عذاب الله » .

حقا انه رحمة الله للعالمين .. « انه انسان احتشدت خصائص الانسانية وفضائلها في نفسه احتشادا بلغ الغاية في القوة والاتساق ، ثم هو الى هذا رسول اختاره الله على علم ، وامده بكل مزايا الاصطفاء » . فعليه من ربه الصلاة والسلام .

— القاهرة — **احمد الشرباصي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الاستاذ الشاعر محمد احمد المشاري يودع بهذه القطعة الشعرية الرائعة «كينيا» حيث عمل فيها سفيرا لدولة الكويت فترة من الزمن ، ليعود الى مسقط رأسه الكويت .

وقد رسم لوحة هذه القطعة الشعرية الجميلة ، الزميل حمد سعيدان ، الذي يعمل سكرتيرا في السفارة ، وهي لوحة معبرة تماما عن تاريخ الكويت ، حينما كان ابناؤها يجوبون شواطىء افريقيا بسفنهم الشراعية .

البيان

وداع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هَذَا وَدَاعٌ وَتَبْقَى بَعْدَهُ ذِكَرُ
لَئِنْ نَعِمْتُ بِهِمْ فِي صُحْبَةٍ زَمَناً

وَلِلْبِلاَدِ التِي قَدْ شَاءَ خَالِقُهَا
فَلِلطَّبِيعَةِ فِي أَرْجَائِهَا مَرَحٌ

وَطِيبُ سَاحِلِهَا الشَّرْقِيِّ يَعْرِفُهُ
عَلَى الرِّمَالِ بِمُبْاسَا ، بِشَاطِئِهَا

وَقَفْتُ وَالفِكْرُ يُدْنِينِي وَيُبْعِدُنِي
بِهِ أُشَاهِدُ فِي المِينَاءِ أَشْرِعَةً

هَذِي مَرَاكِبُنَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ
مِنْهَا تَصَاعَدَتِ الأَصْوَاتُ هَاتِفَةً

لله دَرُّ بَنِي قَوْمِي وَقَدْ صَمَدُوا
كَمْ مَوْقِفٍ لَهُمُ شَابَ الشُّجَاعُ لَهُ

هُمُ الرِّجَالُ إِذَا مَا شِئْتَ تَسْمِيَةً
وَيَا شَوَارِعَ مُبْاسَا التِي قَدْمَتْ

كَمْ مَجْلِسٍ لَهُمُ يَزْهُو بِمُطْرِبِهِ
فَانَّنِي لَو سَأَلْتُ الرِّيحَ خَبَّرَنِي

يَكْفِيهِمُ أَنَّهُمْ مَرَّ الزَّمَانُ بِهِمْ
قَدْ تُؤنِسُ النَّفْسَ إِنْ لَمْ يَأْنَسِ البَصَرُ

أَيَّامُهُ وَهْيَ إِنْ طَالَتْ بِهِمْ قِصَرُ
حَتَّى تَتَابَعَ فِيهَا الشَّمْسُ وَالمَطَرُ

الطَّيْرُ وَالوَحْشُ وَالأَزْهَارُ وَالشَّجَرُ
مِنَّا الذِّينَ بِهِ بِالأَمْسِ قَدْ عَبَرُوا

وَفَوْقَهَا زَبَدُ الأَمْوَاجِ مُنْتَشِرُ
وَفِي خَيَالِي — أَمَامِي — تَخْطِرُ الصُّوَرُ

بِيضاً عَلَى زُرْقَةِ الأَمْوَاجِ تَنْتَشِرُ
تَرُوحُ بِالحِمْلِ إِذْ تَغْدُو بِهِ أُخَرُ

«هَيْلا وَهُبَّ» وَفِيهَا الأَنْفُسُ الصُّبُرُ
فِي لُجَّةِ البَحْرِ لَمْ يُرْهِبْهُمُ خَطَرُ

وَالبَحْرُ مُضْطَرِبٌ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ
حَقّاً فَمَا هَدَّهُمْ كَلٌّ وَلاَ خَوَرُ

قُولِي لَنَا كَيْفَ كَانَ الرَّبْعُ وَالسَّمَرُ ! !
وَالدَّفُّ يَصْدَحُ وَالمِزْمَارُ وَالوَتَرُ

عَنْهُمْ وَكَادَ بِهِمْ أَنْ يَنْطِقَ الحَجَرُ
وَلَمْ يَزَلْ ذِكْرُهُمْ بَاقٍ — هُنَا — عَطِرُ

محمد أحمد المشاري

كينيا

بين

البحر والصفير

قصة الاستاذ

رشاد دارغوث



يرتعب الكثيرون من التقدم .. في السن ، وبلوغهم مرحلة الشيخوخة. وهي ، عند اكثر الناس ، تبدأ في الاربعين . الا صاحبي « رضا » .. فقد كان يشعر ، وهو على مشارفها القريبة ، انه لم يبرح شابا ، بل ازهى شبابا واشرق روحا وابهى نفسا مما كان عليه في عنفوان شبابه . ويقول لي ، وهو لا يزهى ولا يفخر :

ـ تزوجت قبل بلوغي الثالثة والعشرين .. بل كنت ابا لولدين ، بنت وصبي ، وانا في سن الدراسة الجامعية ! فلما بلغت ابنتي السادسة عشرة ، وكانت بدورها ، طالبة في الجامعة ، تزوجت هي ، وانجبت صبيا .. قبل ان تبلغ الثامنة عشرة ! فانت ترى انني « كجد » لم ابرح صغيرا .. وربما اصغر الاجداد في العالم !

ونضحك معا هو وانا ، دون خبث ولا تهكم . «فرضا» من الرجال الذين تعودوا الرصانة والجد ، وان كان لا يرفض المزاح ، بل يتقبله بسرور ،

ولو جاء نقدا لاذعا .. في الوقت المناسب ، والظرف الملائم .

الا انه ، بعد هذا التوقف ،يستأنف رصينا ، وكأنه يبوح ببعض المكبوت في نفسه من آلام الرجل المفكر الحر ، في بيئة لاتتحمل عبء الفكر ولا ثقل الحرية :

ـ اذكر ذلك اليوم .. ولا انساه! فقد شعرت ان كنزا ثمينا .. سلب مني على الرغم من انني انا الذي عرفت ابنتي الى خطيبها ـ ومن ثم زوجها ـ بعد شهر واحد من تعارفهما وتفاهمهما ! تصور ياأخي ما اشد ما يلقى القلب الحنون ، والانسان الحساس ، اذا فقد كائنا عزيزا .. انسانا كان ذلك الكائن او حيوانا ! هذا الشعور الحاد ، العنيف كان يهزني يوم زفافها .. زفاف «بنتي» التي كبرت وظلت عندي .. كأنها لم تبرح ، كما كانت لخمس عشرة سنة خلت ..

ثم ، بعد صمت قصير اخر ، استدرك الفتى ، وكأنه لحظ على وجهي انطباعا ، او قرأ في عيني استغرابا :

ـ طبعا .. بقي الصبي ، ابني وولي عهدي .. وبقيت ام الولدين ، زوجتي التي احاول ان احترمها .. ولكن فراق البنت ياصاحبي .. فراق مر ، ولو كان بالصورة الشرعية ، الى منزل الزوجية السعيد !

هنا خيل الي ان دمعتين ترقرقتا في عيني رضا .. كأنهما قطرتا ندى ، حارتان ... فاحمرت اجفانه تحت وطأتهما ، والتهبت عيناه الذكيتان ! ثم ابتسم كطفل ، راودته رؤيا سارة مبهجة . وقال بعفوية آسرة :

ـ الا انني ـ حينما كنت افكر ـ كنت اجدني سعيدا بسعادة ابنتي ! لقد تزوجت ممن اعجبتها اخلاقه وعقله، وذكاؤه ، لا مظاهره ! تزوجت بعد ان احبت من احترمته .. وهذا كاف ... ضمانة ، اريد ان اقول ، للسعادة المستمرة !

وخطر لي ان اسأل صاحبي عن زواجه هو ، كيف تم وهو من جيل شقي بالحربين العالميتين ، او ما بينهما ، وبجهل الآباء والامهات،فضلا عن قيود الحجاب عند المراة ، والعادات البالية،عند الرجال والنساء معا . الا انني احترمت موقفه المنفعل ، وانا اعلم ان امثاله ، من جيلنا والاجيال السابقة ، قد حرموا حرية اختيار الزوجة ، كما حرمت التقاليد المراة من حرية اختيار رفيق العمر ! فعاشت الاسرة ، على مدى قرون تتفكك وتنهار فتنهار معها الامة ، وشخصية الفرد ونظم الجماعة ، وحضارتها ، كما ينهار كل ما بني على غير المحبة ، من الصلات البشرية والمجتمعية !

وتابع صاحبي بوحه ، وهو يشعل « غليونه » للمرة العاشرة ، منذ التقينا ، في نادي الخريجين ، حول فنجان قهوة ـ يحسن الغلام « ابو سعيد » صنعها ، وتقديمها ـ فيقول:

ـ خذ لك .. هذه الحكاية !الكلمة الاولى التي نطق بها « حفيدي » .. انها لم تكن ماما ، ولا بابا .. بل « جدو »!

قال رضا هذه الكلمات،وضحك حتى كاد يستلقي على ظهر المقعد الوثير .. فلفت اهتمام الغلام « ابو سعيد » .. الذي عاد ، في اللحظة ذاتها ، يسأل عما اذا كانت قهوته .. على ما يرام ، معللا بذلك تدخله،دون طلب . ولكنني كنت اعلم السبب الحقيقي لذلك التدخل . فهو ، ككل زملائه ، شغوف بمعرفة اسرار الزبائن الخاصة ، لكي يحدث بها الزبائن الاخرين .. وهو يقدم اليهم ما يشربون او يأكلون . الا ان رضا قطع الطريق على فضول الغلام ـ وهو في الواقع شيخ تجاوز الستين دون ان تنحني قامته ـ فتابع حديثه همسا في اذني :

ـ وقد علمت .. ان الذي علم الحفيد .. تلك اللفظة .. هي ام الاولاد .. الجدة ! اسامع انت ؟ انها ارادت ان تدمغني بطابع . الشيخوخة! صرت جدا ... فانزل عن جوادك! هكذا يقول الناس لمن بلغ هذه المرحلة ، ولو كان في اوائل العقد الخامس ، وفي ابان نشاطه ورجولته المنتجة !

ونضحك كلانا مرة اخرى دون قهقهة .. فان غيرة النساء ـ ولا سيما من يتزوجن رجالا اصغر منهن سنا ، واجمل تكوينا ، واذكى قلوبا ـ غيرة تصلح للتندر ، حين المزاح ، ولكنها ، في قلوب الذين يشوون بنارها اللاهبة .. مصيبة تهدم السعادة والبيت ، وتقضي على كل جميل في النفوس !

ومضت ثوان قبل ان يستأنف رضا حديثه الهامس :

ـ قلت لها : انا جد .. هذا فخر لي .. ولذة ! فلطالما قصر الكثيرون عن بلوغ هذه المرحلة .. وحفيدي صورة عني .. جزء من كياني الروحي ، اذا كان كيانه المادي عطية من ابيه .. ! وبذلك وضعت حدا لكل مزايدة او مضايقة !

الا انني لا اكتمك الشعور الذي ظل ينتابني .. كلما لقيت ابنتي وزوجها وابنهما ... انه شعور غريب : حب جارف كالذي يجذب كائنين ، يكمل احدهما الاخر . ولكنه شعور زئبقي، سرعان ما ينقلب الى نفور .. مانع، كالذي يدفع القطبين المتخالفين ! فهم عندي اعز المخلوقات ، وهذا الصغير احب الي حتى من امه .. ولكنهم كذلك ، كلما حضروا ، كابوس يضغط على صدري واعصابي ..

ثم افكر ، واحلل .. واقول لزوجتي : اسمعي ! انا لا ازال هنا ... الرجل الاول ، واود ان ابقى الحبيب الاول ! اعني معاملتك لي يجب ان تستمر كما في السابق . وتفضيلك اياي ـ على كل احد ـ يجب ان لا يحل محله تفضيلك بالعناية .. هذا الصغير الحبيب ، مثلا .. او اباه ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



صهرك العزيز ، مثلا اخر !

فلا تفهم زوجتي ما اريد ... ولا ما يبعثني على هذا القول الصريح ! بل تزداد اهمالا لشؤوني ، وعناية بغيري .. كل واحد غيري ! اتفهم علي ما اريد ان اقوله ، ما اعنيه يا صاحبي !

ويخيل الي ، بعد هذا الحديث المفتوح ، ان «رضا» قد عاد اليوم ، كما عرفته ، ونحن صبيان في المدرسة، ذلك الناشيء الطيب القلب ، الذي يثق بالاخرين لفرط ثقته بنفسه ، واستقامة سلوكه ، ونبل خلقه . فاهز راسي موافقا ، وانا استزيده من هذا البوح الذي يقرب بين الاصدقاء، ويزيدهم معرفة ، وبالتالي ، محبة متبادلة . فيقول ، بعد ان ينفض غليونه ، ويملأه من جديد بتبغ زكي الرائحة ، لا تتقزز النفس منها :

— حتى كان امس ... وقد صحبني حفيدي في نزهة .. دعوته اليها . وقد بلغ اربعين شهرا من عمره . فاصر على ان نمر اولا بمدينة الالعاب التي زارها معي للمرة الاولى، منذ سنتين ! ثم على المرور بالجامع. الذي دخلناه معا — منذ سنة — في المصيف المجاور . وفي الطريق الى الواحة الخضراء — في الولاية الشرقية — اخذ الصغير يحدثني عن مشاريعه :

— جدي ! هل تعطيني هذه السيارة متى كبرت ؟

— طبعا ! وحينئذ تأخذني انت معك .. مشاوير .. ونزهات ، اي تساعدني لانني سأصير شيخا ضعيفا . اليس كذلك يارضوان ؟

فيقول الصبي ، دون تلعثم او بحث عن الكلمات :

— ومتى صرت انا شيخا ... من يساعدني ؟

— ابنك !

— ومتى اصبح هو شيخا من يساعده ؟

— ابنه طبعا .. الكبار يساعدون الصغار . ومتى كبر الصغار يساعدون بدورهم الكبار .. هذه هي الحياة.. يساعد بعضنا البعض الاخر .

تبادلنا انا وحفيدي هذه الحوار ، بسرعة . ثم صمت الصغير ، مفكرا، بعض الوقت ، ليستأنف الحوار ويقول :

— انا .. افضل ان اشتري سيارة جديدة .. على ان يكون رقمها ٢٥ !

فاجيبه بدوري :

— هذا راي حسن . وحينئذ تصبح نائبا .. لان هذه الارقام الصغيرة مخصصة لسيارات النواب عندنا !

— نائب .. يعني مهندس او قاضي ؟

فاجيب ، وانا اعلم ان اباه قاض، وخاله مهندس :

— قل لي اولا .. ماذا تفضل ان تكون ؟

— مهندس !

— عال .. فاذن تكون سيارتك سيارة مهندس ..

وهنا يتوقف صاحبي بدوره ، عن السرد ، وهو يتطلع الى الافق البعيد — البعيد — كأنه يستقريء الغد واسراره ، بعد ان ادى رسالته وقدم للمجتمع خدمات يحسده الناس على ما بواته من منزلة واحترام ، وصيت حسن .

ثم يلتفت الي ويقول :

— هل عرفت او هل سمعت بمثل هذه « الرفاقة » — التي لا يملها واحد منا — بين الجد والحفيد ؟

وابتسم بدوري ابتسامة عريضة، نمت ، دون ان ادري او اريد — عن كل ما في نفسي من مرارات الرجل ، يشرف على السفح الثاني من هرم الحياة — دون ان يكمل نصفه ... بنصف اخر ، برغم عثوره على الانصاف الكثيرة الممتازة .. ،واقول لصاحبي :

— يهنيك ..!

ولم ازد .. فقد تهدج صوتي ، وترقرقت الدموع في عيني ، فرحا دون ريب ، لا غبطة ولا حسدا . ويزيد صاحبي قوله :

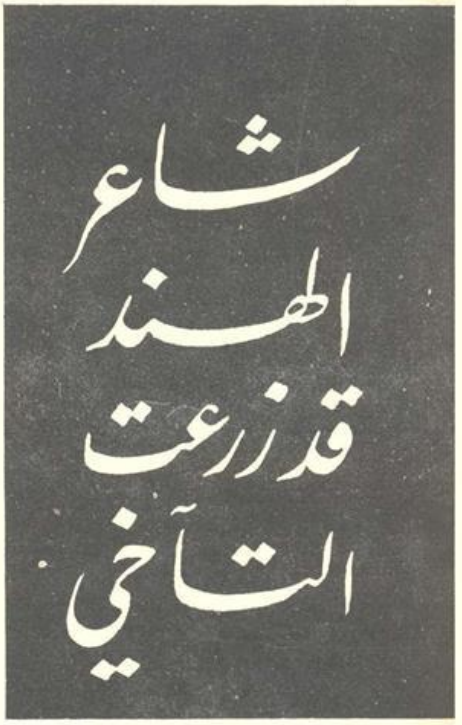
— وكان اخر فصل صدر عن هذا الصبي العجيب .. ساعة رآني اصلي .. توقف يتأمل ، كأنما هو مسمر في مكانه ، وفي عينيه آيات من العجب ، والاعجاب والاحترام ، والانفعال ، والمتعة ، بالصوت والحركة والمعنى والروحية المتجلية ... فلما انتهيت من صلاتي ... سألته عما اذا كان هذا العمل قد سره ... فهز راسه الجميل ايجابا، ثم اندفع نحوي وارتمى في احضاني، وهو يعانقني .. ويستنيم لقبلاتي فقلت :

— ياالله ! حتى الاطفال .. يدركون عظمتك ،ويخشعون لجلالك!

قال صاحبي هذا ، ثم وقف ودعني وانا مأخوذ .. مثل ذلك الطفل ، بما لا ادري كنهه من روعة وجمال :روعة هذا الشباب الدائم في الجد الصديق، وجمال هذا العقل النامي في الحفيد العجيب .

بيروت **رشاد دارغوث**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



شعر

عبد الله سنان

بمناسبة المهرجان الذي أقيم لمرور مائة سنة على وفاة المرحوم الشاعر اسد الله غالب شاعر الهند في ١٥ - ٢ - ١٩٦٩

مر قرن على زمان وفاته ... فأديري للقوم من ذكرياته
واعيدي لنا الزمان الذي ولّ ... وما كان من جميل صفاته
وأضيئي الشموع فوق ضريح ... طالما طاب عُرفه برفاته
خبرينا عن (غالب) الهنديا (هند) ... أزيحي الستار عن آياته
خبرينا عن الذي ملأ الدنيا ... قريضا ففاز في حلقاته
فلقد هز شعبه بالتراتيل ... فأصحاه من عميق سباته
فهو في المحفل الكبير خطيب ... وهزار يشدو على شجراته

• • ••

مر قرن عليه فاستمعوه ... بعد تلك السنين من انصاته
وهو يتلو مرتلا شعره السامي ويملي عليكم من عظاته
وقفوا عند قبره بخشوع ... واقرأوا ما أجاد من أبياته
كم أنار الطريق للشعب اذ تاه وضل الرشاد في ظلماته
يا الهي أين اختفى ذلك الصوت وأين الشجي من نغماته
فاجأته الأيام وهو جدير ... بالعظيم العظيم من عزماته
فاجأته الأيام بالموت لما هزها بالعنيف من كلماته
شاعر جاء بالروائع في القول وبالموقظات من نفثاته
كان كالشمعة المضيئة تهدى ... من أضاع الصواب في نزواته

• • • •

أيها الشاعر الذي ضمد الجرح وما زال من أجل اساته
عالم الشعر حين كرمت « ياغالب » لباك من جميع جهاته
جاءك الغرب مستجيبا وجاء الشرق يزهو بنيله وفراته
وجاك الدعاء كل فؤاد ... هل سمعت الدعاء في خفقاته

• • • •

شاعر الهند قم الى القدس وانظر ... كيف عاث اليهود في حرماته
كيف حلت به الخطوب وهدت ... ركن أمجاده فلول عداته
ينشد الأمن والسلام وقد ريع بما ريع من شرور غزاته
اين منه السلام والبغي يجثو ... فوق أركانه وفي جنباته
قد أهينت كرامة المسجد الأقصى وما انفك صارخا بأباته
اين كان الكمي كيف توارى ... عن حماه وكف عن هجماته
وأذلت كنيسة هي منا ... مثلما القدس في أجل سماته
لو رأيت الشريد والايم الثكلى ... وحال اليتيم في حسراته
لنفضت الاكفان عن جسمك البالي وآزرته للم شتاته
هكذا ثارت الحمية فينا ... فانبرى للفداء خير كماته
وبذلنا الدماء للوطن الغالي ... وجدنا بالنفس دون حياته
فحرمنا الدخيل من لذة النصر ... وكنا كالليث في أجماته
هكذا نحن معشر العرب نبقى ... مثلا للصمود في روعاته
كم زرعنا السلام في الأرض حتى ... يأمن الناس في حمى دوحاته
ومددنا للهند كأس وئام ... وهي أولى بعذبه وفراته
شاعر الهند قد زرعت التآخي ... في رمال التفريق في صخراته
فانعم اليوم ان في الهند شعبا ... جعل السلم من جميل هباته
فعليك السلام نم في جنان ... وحباك الاله من رحماته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحديد الفلسفة



بقلم الدكتور
كمال يوسف الحاج
رئيس الدائرة الفلسفية في الجامعة اللبنانية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اقوال بسكال ان الطبيعة لا تعرف ذاتها انها ساحقة اذ تَسحق لكن الانسان يعرف ذاته انه مسحوق اذ يُسحق . وعليه فان كل القدرات التي يتمتع بها اليوم ، في جميع العلوم ، تصدر عن كونه يعرف . لو لم تكن المعرفة لما ادرك الانسان ما ادرك في كل قطاعات الوجود . اذن الانسان معرفة .

صدق بسكال . الانسان ، اصلا ، معرفة . يبقى ان كل معرفة ليست من باب المعرفة . ان المعرفة ذات درجات ، اسماها المعرفة الفلسفية ، التي تعتبر معرفة عارفة، والتي تتميز بالشمولية ، والكينونية ، والعقلانية ، والتعميرية .

★★★

الشمولية ..

اول ما تطالعنا به الفلسفة هو طابع الشمولية . اعني ان الفكر الفلسفي يحيط بكل ما له علاقة بالانسان وغير الانسان . هذا الشمول يميز الفلسفة من باقي العلوم الانسانية . اذ لكل علم ، من العلوم، موضوع خالص يدور عليه ، ولا يتجاوزه . اما الفلسفة فموضوعها موضوعات العلوم كلها . وهكذا لا يخرج موضوع واحد عن موضوعها .

★★★

حددها افلاطون بانها علم الحقائق المطلقة المخبوءة خلف الظواهر . وحددها ارسطوطاليس بانها علم الكائن من حيث انه كائن . وحددها ديكارت بانها علم المنهج الذي يفضي بالانسان الى الحق الاكبر . وحددها كنط بانها علم الانا حيال اللا انا . وحددها كونت بانها علم العلوم . وحددها سبنسر بانها المعرفة وقد ارتفعت الى اعلى درجات التعميم .

★★★

يقينا ان الفلسفة هي اوسع المعارف . اي انها المعرفة التي موضوعها ما عداها من المعارف . اذ ليس مثلها انفلاش في ممدودات المطلق لذا كانت امدى العلوم بلا نزاع . فهي تشتمل الانسان الى فوق الفوق

حتى لا يعود بينه وبين اعلى العليات الا طول رمح او اقل . من هنـــاك من شاهق القمة ، ينظر الى التحتيات نظرة شاملة ، يلملم فيهـــا الشتيت المبعثر كثرة. من ذلك الراس المتغلغل في اقصى القصيـــات ، حيث تنحجب الفواصل بين الكائنـــات ، لا يرى العقل الفلسفي الا علائق متماسكة ، متلاحمة ، متداخلة ، يتدرج من ادناها الى اسماها حتى القمة المروسة ، التي يعود فيهبط منها نحو الوجودات المبعثرة ، هنا .

★★★

ليس مثلها شيء يغور في البواطن التي تتعرى بهـــا مـــن الغشاءات وتصفى من الرغوات . ذلك لانهـــا النظرة العميقة ، السابرة ، الكاشفة التي تتناول كل الامور ، دفعـــة ، بقبض من الحدس الجامع . انهـــا الفكر الذي يزخم بالنور الاكبر . انها الفاتحة الخاتمة ، التي مـــا اقمحت المعارف الا بها ، وما تقمر ليل شعب او تشمس تاريخ قوم الا بها . فهي التي تعطي لكل نشاطات الانســـان فحوى عابقـــا من وراء الارض . الفلسفة ، كتلك ، دليل رجولة عند الانسان في استشرافه الحق ، والخير والجمال .

★★★

لم يخطىء اوغست كونت عندما فرض على الفيلسوف ان يحيط بكل العلوم في تحديده للفلسفة انها علم العلوم . اخطأ من حيث الكم . اذ الاحاطة لا تتناول تفاصيل كل علم على حدة . لكنه اصاب من حيث الكيف . اذ الاحاطة تتناول جبرا وظيفة كـــل علم بالنسبة لغيره من العلوم . لـــذا لا خوف على الفلسفة من الافلاس ، اخر الامر ، عندما تقصى عنها جميع العلوم . ستظل اعلى محاولـــــة تفسيرية يعطيها الانسان عن مجمل الكائنات . الفكر مهووس في التحليل والتعليل كي يميط اللثام عن فحوى كيانـــه . عن مغزى وجوده . عن اللماذا والكيف والاين والمتى . جميع هذه اللماذات الناخعة لا يجيب عنها الا الذهن الفلسفي .

★★★

الكينونيـــة ..

الشمولية لا تحيط بالاشياء في ما لهذه الاشياء من خطوط تتبـــاين . احاطة كتلك هي من خصائص العلم لانها تتناول الاشياء في جزئياتهـــا . شمولية الفلسفة تحيط بالاشياء في ما لهذه الاشياء من عنصر مشترك يجمع بعضها الى بعض . انها الشموليـــة الصحيحة . والا اضطر الفكر الى ان يسلسل الاشياء ، الواحد تلو الاخر ، كأنها ارقام تتتابع بشكل كمي رتيب . هذا سرد للاشياء يرتكز على الذاكرة شمولية الفلسفة نظرة دينامية يقبض الوجدان فيها دفعة ، وبحدسه ، على كل الاشياء الموجودة وغير الموجودة. احاطة كتلك لا تحصل الا عندما ينفذ الوجدان الى النقطـــة التي تتلاشى فيها الفروقات . الشمولية كالمحبة . تتغاضى عن الجزئيات لتدرك العلة الاولى . اذ لا شمول بدون هـــذه العلة .

★★★

لذا يندفع ادراكنا البشري الى التساؤل عن العلة .. لا سيما العلة الاولى . مما يعني ان العقل الانساني هرمي البناء . الـــذي يتطور عبر الاجيال هو تفسير تلك العلة الام . اما طلب الانسان لها فانه شيء ثابت لا يتطور . فما هي تلك العلة الام ؟ او بكلمة اوضح ، مـــا هو العنصر المشترك ، فيما بين المواجيد ؟

★★★

نعرف ان تحديد الشيء هو الذي يكشف عن جوهر الشيء . ومطلق تحديد لمطلق شيء لا يتم بدون فعـــل **الكون** . كون الشيء كذا او كذا هو الذي يحدده . في العربية ، نستخدم الضمير « **هو** » ، الذي يترجم ، في الانكليزيـــة والفرنسيـــة ، بفعلي « To be و Etre » . تلك هي الهوية او الهوهو . يعني ان لمطلق شيء كائنا خاصا به . وهكذا يغدو كل ما يحدد ذا كائن . حتى اللا كائن يصبح كائنا لانه يحدد . مما يؤكد ان العقل البشري لا ينطلق من السلب الذي هو ردة فعل تابع لفعل الايجاب المتبوع . اذن الكائن او الكينونـــة عنصر مشترك فيما بين كل المواجيد. لذا دعيت الفلسفة بعلم الكائن .

★★★

ما الكائن؟ او ما كينونة الكائن؟ هـــو السؤال الاكبر الذي تحاول الفلسفة ان تجيب عنه . منذ ان تَيَوْنَنَ الفكر الانساني وهو يبحث في الكائن ذلك ان الكائنات كلها تشترك فيه . كلها كائنة . ههنا ، اي في هـــذا الكائن المطلق العام ، الشامل ، لا افضلية لشيء على شيء ، البتة . ان جميع الاشياء تتساوى كينونيـــا في الكائن .

★★★

العقلانيـــة ..

هـــذا **الكائن** الذات ، في **ذات** كل كائن ، بماذا يدركه الانسان ؟ يدركه بالعقل . من هنا طابع الفلسفة الثالث . انها عقلانية . عـــلى تلك الميزة تقوم الاعجوبة اليونانية . لقد رفعت الانسان ، في مروياته الماورائية من القلب الى العقل . فعلقنت كل شيء حتى اللا عقل .

★★★

افهم ان يكون ، في تـــاريخ الفلسفة ، فلاسفة ثاروا على العقل، سموا باللاعقلانيين . يبقى سؤال . باي شيء حاربوا العقل وبرهنوا عن اللا عقل ؟ الجواب صريح . لقـــد حاربوا العقـــل بالعقل . وبرهنوا بالعقل عن وجود اللاعقل . لماذا ؟ لان عمل الفلسفة ان تشرح ، وتناقش وتوضح ، وتدلل ، وهي كلها وجدنات لا يمكن ان تحصل ، جبرا ، الا عن طريق العقل . والعقل ذو حركتين :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حركة يحلل فيها ، وحركة يركب فيها. الاولى تجزىء الوحدة ، الثانيـــة توحد الاجزاء .

★★★

من غريب المصادفات ان تكون كلمة فلسفة ، في اللغة العربية ، تعني هاتين الحركتين. فهي تتألف من «فل» و«سف» معنى «فل» هو القلمُ اي التكسير . والتحليل تكسير . ومعنى «سف» هو العب اي الالتقـــاط . والادراك التقاط .

★★★

حتما لا اجهل ان كلمة«فلسفة» جاءتنا من اللغة اليونانيـــة . وان طاليس الفينيقي هو ابوها وجدها . لكن هذا لا يمنع من ان تخرج كلمـة «فلسفة» اليونانية الاصل وكانهـــا عربية المنبت . وعلى كل فاني اسوق هذه الملاحظة كي نفيد منها . المهم ، الذي رغبت في اظهاره ، كون العقل ذا حركتين متلازمتين ، تفضيان به الى الادراك الحقيقي : الحركة ، التي بها يحلل الموضوع ، فيجليه . والحركة ، التي بها يركب الموضوع ، فيدركه . والحركتان متواجبتان .

★★★

التعميريـــة ..

الانفلاش في القاعدة،والانكماش في القمة ، يمهدان للميزة الرابعـــة للفلسفة ، اي التعميرية ،التي تفرق بين الاديب والفيلسوف . من جهـة المبنى ، التعبير الفلسفي تحليـلي ، التعبير الادبي تركيبي . من جهـــة المعنى ، الفيلسوف قعدي ، ثابت ، ذو قرار . الاديب نقيـــل ، يجوب الافاق ، دون لحمة . لذا لا بـــد للفيلسوف من نقطة انطلاق في ضوئها يعيد بناء الخليقة . وهكـــذا يغدو معماريا . يعمر الكائنات كلها ، في شكل هرمي ، ذي قمة مروســـة تدور على العلة الاولى ، وذي قاعدة مفلوشة ، هي كثرة المواجيد .

★★★

بالتعميرية نعود الى الشمولية. اذ لا شمول الا بنظرة تحتضن الكون رمة بصورة بناء . فلسفة الفيلسوف عمارة . لهذا السبب يجوز لنا القول ان العمل الفلسفي لا يختلف اصلا عن العمل العلمي الذي يبتغي الهرميـــة ايضا . ذلك ان العمل العلمي يحلل ، ويفسر جزئيات الظواهر ، عـــلى اساس ارجاعها الى جوهر فرد . الا ان العمل العلمي جزئي . اعني ان كل علم يكتفي بموضوع واحد . اما الفلسفة في عملها ، فهي تشبح الى الاقصى ، الذي هو بداية كل فاتحة ونهاية كل خاتمة . وهكذا تتنـــاول الماورائيات .

الدكتور كمال يوسف الحاج
رئيس الدائرة الفلسفية في الجامعة اللبنانية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طيبة

شعر : يحيى علي



غضبت (طيبـــة) لمـــا سمعت
وهي تدري ان قلـــبي ملكهـــا
وحيـــاتي كلهـــا في يدهـــا
كيف ينساهـــا فـــؤادي ودمي
كيف تنأى عن وجـ دي وهي لي
أنها أنسي واحســاسي الـــذي
أنهـــا قصـــة يـــوم خـــالـــد

شعر (يحيى) في فتـــاة غيرهـــا
وبأني أرتـــوي مـــن ثغرهـــا
ونهـــاري قبس من نورهـــا
في عـــروقي ينتشي من ذكرها
بهجـــة الدنيـــا وباهي عطرهـــا
يمنـــح الدنيـــا معـــاني سحرها
قصة الحبّ الذي في سرهـــا

يحيى علي – الكويت

كلمة ولكنها ليست القرار الأخير!!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بقلم
سليمان الشطي

استكمالا لما بدأت به من ملاحظات على المسرحية ، والجوانب المختلفة التي تلمسنا بعضها ولا يزال البعض الآخر ينتظر الكشف والتقصي للوصول الى قيم المسرحية الخاصة والى قدرات المؤلف وتطوره من خلال مسرحياته الثلاث .. وهذه الملاحظات او بعضها قد لمسها الذين كتبوا عن المسرحية ومن هذه تلك الشخصية التي رسمها المؤلف فأحسن رسمها وقد حملها دورين مختلفين : الاول كونها شخصية تشارك وتشترك في احداث المسرحية .. والثاني كونها تعلق على حوادث المسرحية وتقوم بدور الكورس كما في المسرحية القديمة ..

وقد اهتم الذين كتبوا عن المسرحية بهذه الشخصية المبتكرة ، وعلقوا عليها معجبين بها ، ولكن احدهم لم يحاول ان يدرسها دراسة محددة تستطيع ان تعطينا جوابا مقنعا عن مقدار توفيق المؤلف في رسمها . وهذه هي النظرة الاهم بالنسبة لهذه الشخصية المبتكرة في المسرح الكويتي.

واول شيء يمكن ان نلتفت اليه في هذا الموضوع هو ان المؤلف في تقديمه لهذه الشخصية بهذا الدور جعلنا نحس وندرك انه يحاول الاستفادة من التجارب في الحقل المسرحي قديمها وحديثها ، وانه في عمله هذا قد قدم الدليل على انه يحاول ان لا يقف في مكانه ويقول

مكانك سر ، ولكنه يحاول ويجرب وفي المحاولة ومع التجربة يكون الصواب والخطأ ،ويكون — علاوة على هذا — التقدم والنضج ، ولهذا فليكن الناظر لهذه التجربة في مستوى طموح المؤلف ويحاول ان يدرك الصواب والخطأ . وهذا ما سنحاوله في وقفتنا امام هذه الشخصية ..

شخصية سامي كما لاحظنا شخصيتان الاولى ضمن اطار حوادث المسرحية وشخصياتها الرئيسية ، والاخرى تقف موقف المعلق . ونحن سنهمل الجانب الاول لاننا سنتخذ نموذجا منه يوضح بعض فن المؤلف ، وسنقف امام الجانب الثاني وهو شخصية المعلق ..

فكرة المعلق جيدة مبتكرة لا شك في هذا ، ونزيد فنقول ان المؤلف قد وضع الجمهور موضع المشارك حين تطرح عليه بعض الاسئلة او ينبه الى بعض النقاط .. هذه كلهاجوانب يحمد عليها المؤلف ، ولكن التعليقات التي كانت تقولها هذه الشخصية هل هي حقا تخدم المسرحية او حوادثها او نمو شخصياتها ، او تكشف حوادث تجري وراء الستار لم يتمكن حوار الشخصيات من نقلها الينا ؟!.

هذه الاسئلة التي تحدها علامة استفهام واحدة هي الجانب الاهم الذي يجب الوقوف عنده وهذا ما سأحاوله .. ولكنني انبه الى انني لا استطيع ان اعطي كل الاجوبة على كل الاسئلة ، ولكني ساحاول اعطاء بعض الاجوبة لبعض هذه الاسئلة ..

اما عن كون هذه التعليقات خدمت المسرحية فمن الظلم كل الظلم ان نقول نعم او لا ... فهذا الجواب القاطع قد لايؤدي الا الى اساءة فهم لامور لا نرجوها ، ولهذا فنقول ان هذه التعليقات خدمت المسرحية بدرجة من الدرجات والمؤلف قديطور هذا النموذج في المستقبل ليصل الى مرحلة النضج التي نرجوها ..وبعيدا عن هذا الكلام نحاول ان نستعرض الجوانب التي ظهر فيها التعليق ..

نستطيع حصر مواقف التعليق ، وهي كما نلاحظ مركزة في خواتم الفصول والمشاهد وفي بدايتها ، وعلى هذا الاساس فهي متصلة تبدأ وتختم لتبدأ مرة ثانية فهي في هذه الحالة اما ان تفسر ما فات ، او تشرح ما غاب قبل وبعد انسدال الستار ، او تلقي ضوءا على ما سيرتفع عليه الستار .. نجد مثلا في ختام المشهد الاول يعلق ببيت شعر قد لا يضيف الى معلوماتنا شيئا ، لان الحوار الذي كان يدور بين ثريا ووليد معبر بل انه شعر في كلماته ولمحاته ... اما بداية المشهد الثاني فيقول : —

سامي : (الى الجمهور) ... مشكلة ؟... صح ؟.. انتو تشوفون انها مشكلة ؟ انا افتكر المسألة فيها شي .. ابوي ينتظر وليد . طبعا وليد اخذ ثريا ووداها بيت اهله .. وابوي طلب مني اني اخبره اذا وصل وليد.. اذاً الوالد يدبر شي .. شنهو هالشي .. ما ادري .. ولكن حتما فيه قضاء على المشكلة ، ولو بطريقة فاسدة.. ولكنه حل على اي حال انا اتصور ابوي هذا .. والا بلاش اترك لكم تصور شخصيته .. ما يصير اعلمكم كل شيء ...

ان هذا التعليق قد يضيف لمعلوماتنا ، او بلفظ ادق يوضح لنا ، بعض الاشياء ، ولكن في الوقت ذاته نجد ان المسرحية ناطقة ومعبرة عن ذاتها من خلال الحوادث ، فاللقاء الذي تم بين وليد وابي سامي في هذا المشهد الذي يقدم له سامي ، هذا اللقاء معبر كل التعبير عن شخصية ابي سامي وليس هناك اية اضافة يمكن ان يزيدها لنا هذا التعليق ، فأبو سامي عندما يتصرف بهذا التصرف الغريب ، والذي يدعو فيه سامي الى تنفيذ رغبة ثريا مع وضوح عدم رغبته ، هذا التصرف بل ان حواره ينطق عن ما في شخصيته حين يقول انه غير موافق ولكن وعلى حسب تعبيره : — الحق العيار لبا الدار .. هذا الحوار وهذا الموقف ينقله لنا المؤلف دون حاجة الى ه التعليق من سامي .. ونلاحظ سامي يعود في نهاية المشهد يعر ليقول :

سامي : (يدخل .. يلبس القنا ... يقهقه بصوت صاخب) . فهمتو شي .. على فكرة ، انا سام كل شي .. عرفتوا ابوي الحين . ما افتكر .. على كل ...

ستبدي لك الايام ما كان خافيا
وتاتيك بالاخبار ما لم تزو

وهذه الملاحظة قد نقبلها كتنبيه ولكن ليس هناك اضافة على ما قال سابقا ... وتنعدم كذلك فائدة التعليق الذي بدا به الفصل الثاني.. لنستمع الى التعليق :

سامي : (خارج الستار — يلبس القناع — الموسيقى لا تزال) ثريا فرحانة بشقتها الجديدة .. عازمة ناس وعاملة حفلة ... موسيقى ومشغل عدل .. طبعا انا معزوم وانا طلعت علشان اتكلم وياكم شوي وابوي سواها واستوت ... كان الحفلة في نهايتها .. على كل انا اترك لكم الفرصة تشوفون باقي الحفلة ... اذا باقي فيها شي ..

لو لاحظنا هذا التعليق لما وجدنا زيادة على الاشياء المنظورة على الخشبة وهذه لا تحتاج الى تعليق فالمشاهد يستطيع تبين هذه بسهولة، بدون حاجة الى هذا التعليق وبذلك تنعدم فائدته .. وعلى هذا المنوال تسير التعليقات ، لا تنعدم منها الفائدة تماما ولكنها تحتاج الىدراسة وعمق من المؤلف اكثر بكثير مما قدم، ولكننا لا نستطيع الا ان نحمد له هذه المحاولة الجريئة ... وعلاوة على ما قلت فانني احب ان اوجه النظر الى ان بعض التعليقات كانت تصل الى المستوى المطلوب ، او بلفظ ادق تقترب من معنى التعليقات ومثال ذلك ما جاء في بداية المشهد الثاني من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفصل الثالث ، وكذلك ما جاء في ختام المسرحية ..

واحب قبل ان اغادر هذه النقطة ان اثبت نصا من المسرحية المقتبسة من قصة جون شتاينبك « ثم غاب القمر » ففيها نموذج طيب للتعليق على حوادث المسرحية في العمل الدرامي الحديث ، لعل في هذا النموذج صورة مقربة لما اهدف له من ملاحظاتي على هذا الجزء من المسرحية يقول المتحدث عن المسرحية :

(يخرج المتحدث من بين شقي الستار ويقف صامتا امام الجمهور .. ثم يبدأ في الكلام) .

المتحدث : — في الساعة الحادية عشرة الا ثلثا من هذا المساء — الاحد — تم كل شيء ... احتل الغزاة القرية بعد ان قضوا على كل مقاومة المدافعين عنها وهزموهم، وانتهت الحرب بالنسبة لهذه القرية. كان الغزاة قد احكموا خطة الغزو هنا ، على عادتهم في كل خططهم السابقة . كان مدير مكتب البريد ورئيس قوة البوليس قد خرجا للصيد في قارب اعارهما اياه (كوريل) التاجر هنا . وعندما بعدا عن الشاطىء رايا سفينة حربية صغيرة محملة بالجنود الاجانب تيمم جهة الشاطيء ، فادركا ان الامر خطير . واسرعا بتحويل قاربهما نحو الشاطيء ليجدا سفينة الغزاة قد ارست ، وطرح الجنود منها واحتلوا مراكز القرية الرئيسية ومكاتب الحكومة ، وعندما ارادا دخول مكتبيهما قبض عليهما المغيرون واعتبروهما اسرى حرب . وكانت القوة المحلية — وعدة رجالها اثنا عشر فحسب — قد خرجت لتقضي عطلة يوم الاحد في نزهة اعدها لهم السيد (كوريل) في مكان يبعد ستة اميال عن القرية . وعندما راوا الطائرات تنزل جنود مظلاتها على القرية من بعيد عادوا مسرعين ، ليجدوا العدو قد سد المنافذ ووقف بالمدافع الرشاشة دونها .. ودارت معركة صغيرة قتل فيها ستة من قوة القرية وجرح ثلاثة وفر الثلاثة الباقون الى التلال ببندقياتهم .. وفي تمام العاشرة والثلث كان المغيرون قد اتموا احتلال القرية ووقفت فرقتهم الموسيقية العسكرية تصدح بانغام رقيقة وسط الميدان الرئيسي للقرية. وحول الميدان وفي النوافذ وقف بعض سكان القرية ينظرون دون ان يفهموا شيئا .. كانت الدهشة تتجلى في عيونهم ، فوقفوا صموتا لا ينبسون بحرف . لم يكونوا قد علموا بعد ان مصير بلدهم قد تقرر وان الغزاة ذوي الخوذات الفولاذية قد احتلوا بلدهم.

وفي العاشرة والنصف كان السيد (كوريل) قد اخذ مكانه في القاعة الواسعة التي يملكها على الشاطيء كان قد اعدها سرا لاستقبال الغزاة. وفي الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين تلقى عمدة القرية السيد (اوردن) بلاغا من الكولونيل (لانسر) قائد القوة المحتلة يخطره فيه انه سيكون في مكتبه الساعة الحادية عشرة تماما ...)

نلاحظ ان هذا التعليق ، وهو تعليق طويل ، يلقي اضواء كاشفة على كل ما حدث من الامور التي لم يستطع ان يضعها على خشبة المسرح ... وهو من جانب اخر يمهد لما سيحدث في اللقاء الذي سيرتفع عنه الستار قريبا ، كل هذا بجانب اللمسات التي توضح لنا وتكشف شخصية (كوريل) وعلاقته بأهل هذه القرية التي احتلها الغزاة ... ولكن هذا النموذج قد لا يكون مثالا يحتذى في طريقة رسم المعلقين .

نموذج من الشخصيات :

وليد .. هذه الشخصية المحورية في المسرحية هي التي سأتخذها نموذجا لطريقة رسم الشخصيات عند المؤلف .. واجدني مسوقا الى ان انوه الى ان شخصيات المسرحية لكل منها طابعها الخاص الذي رسم بدقة وتفرد ، باستثناء سامي الدي يلتقي مع وليد في اكثر من جانب ، ولهذا قلت سابقا انه يختلف معه بالدرجة ، فكل منهم يمثل جيله من جانب ويتكاملان في رسم صورة هذا الشباب ... ولكني لا استطيع ان اقف امام هذه الشخصيات كلها فكل واحد منها يحتاج لدراسة خاصة منفردة ... ثريا في حلمها وواقعها.. العم في شخصيته المتفردة التي تمثل الخبرة والخبث والعمق الطبيعي والذكاء الفطري .. كل هذه عندما تدرس في خلال حوارها ومواقفها ستعطي فيضا من المعلومات عن هذه النماذج من هذه الشخصيات ..

والان لنقف مع وليد ... المحور الذي تكتسي حوله المسرحية بالحوادث والشخصيات ، والمنطلق الذي يبدأ معه ومنه وحوله كل عناصر المسرحية، وهو شخصية مفتوحة من جانب ، قلقة ومقلقة وثائرة وهادئة متناقضة وصارمة . كل هذه الامور تتحقق دون ان نلمس خللا او نشاهد ضعفا في المسرحية ، وهذا لا شك يدل على مدى تشبع المؤلف ومعايشته لهذه الشخصية ، بل انني استطيع ان اقول بتجاوز مني ان هذه الشخصية هي اقرب الشخصيات للمؤلف مع الاعتراف بحب المؤلفين لمجموع شخصياتهم ...

اذا اخذنا نبحث عن المدخل او المفتاح الذي ننفذ بمساعدته الى شخصية وليد ، نجد وليدا نفسه ييسر لنا هذا الامر .. فهو الذي يقدم لنا الخطوة الاولى التي نبدأ منها .. يقول مخاطبا سامي في الفصل الاول:

وليد : صبرك علي .. اسمع .. المشكلة اني مقتنع بكلامها ومقتنع بموقفي بنفس الوقت ...

يا ترى هل لوليد موقف .. استطيع ان اقول ان موقفه هو الحيرة، وعندما اقول الحيرة فانني اعني تلك الحيرة التي لا تستطيع الشخصية ان يكون لها موقف واضح ، فهو ريشة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلمة ولكنها ليست القرار الاخير

تعبث بها الارادات المتضاربة . اليس هو الذي يقول بعد سطرين من الحوار : —

وليد : — انا مشكلتي اني ما لي موقف . ماني عارف شلون اتصرف .. امي تقنعني بكلامها وزوجتي تقنعني بموقفها — وانا متذبذب — ما ادري اوافق زوجتي واستقل معاها في بيت .. او اقتنع بكلام امي واهين زوجتي واعودها الحياة مع اهلي .. ما ادري ..

ان هذه الكلمات تكشف عن ذلك النزاع الحاد داخل شخصية وليد ولا تقف هذه الكلمات وحدها ، بل ان هناك اكثر من موقف يكشف عن هذا الجانب الضعيف في هذه الشخصية ، فاذا كانت ثريا تعيش في حدود الارادة غير الواعية فوليد يعيش معها ضمن هذه الارادة ، بل انه يزيد عليها بانه يعيش بارادة ضائعة تائهة لا حدود لها ، فهو يسير في عالم ضائع يسيره الصراع الدائر فيسقط او يشرف على السقوط ضحية الضياع . واذا اخذنا المواقف التي يشارك فيها كعنصر صراع نجده دائما يخرج من الموقف مقتنعا ببلادة ، او بلفظ ادق ، منهزما ... فهو مع ثريا في اول المسرحية وفي وسطها يخرج دائما وقد اسقط في يده واستسلم للواقع مع ملاحظة انه دائما يثور ويتحرك ويصرخ ، واذا اردنا مثالا واضحا يكشف هذه المواقف فمن خلال موقفه مع ابي سامي حين اخذ يقنعه بالخروج من المنزل وان يستأجر له منزلا ، ففي هذا الموقف نجده لا يقتنع بكلام الاب اولا ويناقشه ويقول ان المسألة ليست لعبة او مجالا لتجربة النفس ، ومع ذلك يستسلم اخيرا وينفذ رغبة ابي سامي ويسقط ببلاهة في الشبك الذي وضعه هذا العم الخبيث ...

من خلال هذه المواقف نستطيع ان نضع اصبعنا على بداية الخيط الذي ننفذ اليه لهذه الشخصية الفريدة والتي تمثل العشرات من ابناء هذا الجيل الذين لم يستطيعوا ان يحددوا مواضع اقدامهم فعاشوا في حيرة تهدد حياتهم ...

ولكن ... هل ظلت هذه الشخصية متجمدة ضمن هذا الاطار طوال المسرحية ، ام انها تأثرت بما يجري حولها من احداث فحركتها الى الامام ، فتنمو وتتطور ؟ .. الذي لا اشك فيه هو انها تطورت ونمت خاصة في الفصل الثالث وان كان موقفها العام لا يكشف هذا التطور من خلال حوارها فهو نغمة واحدة طوال المسرحية وعبر فصولها الثلاثة ولكن ما كان كلاما يردده وليد فقط كمحفوظات عن الحياة الزوجية والقدرة نجده في الفصل الثالث قد تحول الى موقف واضح جلي ، وهذا يتضح في نهاية الفصل الثالث .

ابو سامي : خوش كلام ... مثل ما طلعتوا تردون ..

وليد : (ينهض غاضبا) .. وين؟

ثريا : (تنظر اليه بأمل)

ابو سامي : — لبيتكم ... مثل ما طلعتوا تردون .

سامي : (وكأنه منوم) — وكأنه يا محل لارحنا ولا جينا

ابو سامي : انجب انت

سامي : (ينتبه) انشاءالله

وليد : لا يا عمي — انا ما عندي استعداد ارد .. الا اذا ..

ابو سامي : شنهو ؟

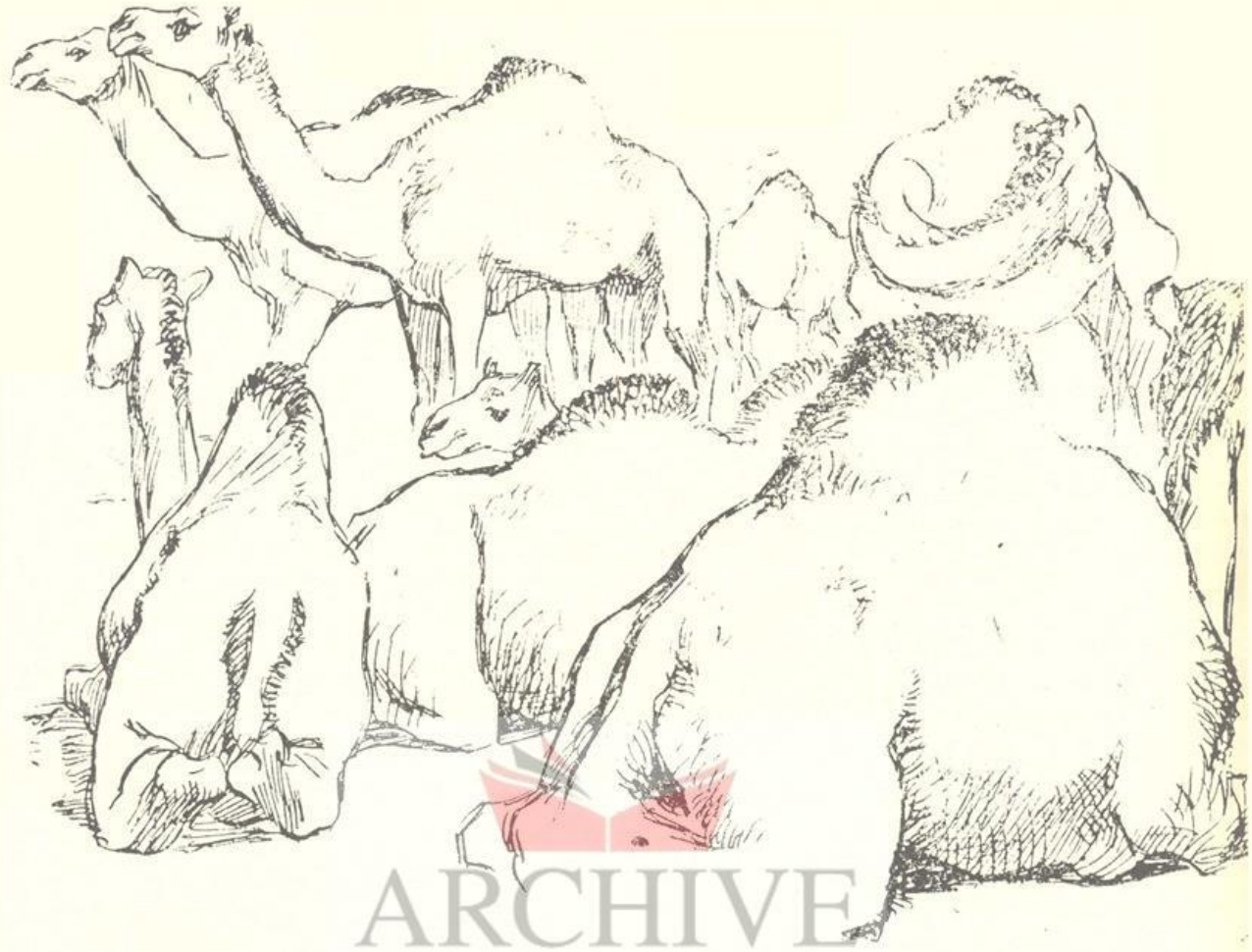
وليد : الا اذا ، استغفر الله صرت عزوبي .

ان هذا الموقف يضع وليدا في موقف ايجابي وحيد ويسير الى نهاية الشوط حتى يحقق مايريد ، وليس معنى هذا ان هذه الاقوال او ان هذا الرأي برز فجأة ولكنه كان ماثلا امامه طوال المسرحية ولكن هذه المرة الاولى التي تبرز فيه الايجابية وينعكس التطور الذي حدث لهذه الشخصية ، وهو تطور طبيعي لان الظروف القاسية قد حددت لهذه الشخصية مسيرتها وساعدت على نموها .. وهكذا يبرز الفهم العميق لفهم الشخصية المسرحية عند المؤلف ولكن هذا لا يعني خلو الشخصية من بعض الجوانب الضعيفة التي كان يستطيع المؤلف ان يتجنبها وان يحكم رسم الشخصين ومع ذلك نستطيع القول بان هذا النمط وهذه الطريقة في رسم الشخصيات قد تصل وتعطي نتائج افضل اذا عمق المؤلف دراسته لها قبل الكتابة وتشبع بمواقفها المختلفة وهذا ما نرجوه ...

اخيرا .. وبعد هذه الرحلة القصيرة مع مسرحية (لمن القرار الاخير ؟) للزميل عبد العزيز السريع ، وهي رحله قد لاتعطي كل ما في المسرحية من نضج وتطور ولكنها كانت محاولة بحث رائده الانصاف وهدفه عين الحقيقة وقد حاولت جاهدا الا اكون ظالما لاحد سواء المؤلف الزميل او الحقيقة الفنية ... انها محاولة ليس الا ..

سليمان الشطي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإبل

وأثرها في الفكر العربي والبيان العربي



بقلم
عبد السلام هارون

قد يبدو هذا العنوان غريبا في اول الامر ، ويقول بعض الناس : وما بال هذه الحيوانات العجم ؟! وكيف صار لها اثر في لغة يتناقلها النـــاس ، ويزيدون في حياتها ونمائها بما يتحاورون به ويتحادثون ؟؟

يقولون ذلك ، وفـــاتهم ان لغة كائنة ما كانت انما تخضع لعـــوامل شتى ، اهمها : البيئة ، بيئة المتكلمين بها . فالبدوي الاول تفتحت عينـــاه لنور الدنيا على بيت من الشعر او من اوبار الابل في صـــحراء مترامية الاطراف ، وكان طعامه وطعام ابويه من غيث السماء ، فاذا صوح النبت دفعه العيش الى الرحلة على ظهور الابل من بقعة الى بقعة لينتجع مربعا جديدا .. وكان صـــاحب حروب وغارات ، فاذا جد الجد اعتلى الابل هو ورهطه ودفعوها الى انتهاب العدو واستلاب اشيائه .

وكان ينظر الى ما حوله من ضروب الحيوان فلا يعجبه شيء مثل ما تروقه الابل ، فهي أجـــدى عليه من كل الحيوان واعظم فائدة . ففضلا عما كان يفيد من البانها ولحومها وشحومها وجلودها واوبارها كان يحمل عليها ما لا يستطيع غيرها من اثقال .. ولها مع ذلك الاحتمال الشديد والصـــبر البارع ، وانها لتصبر على الظمـــأ الطويل لا تسوم صـــاحبها في ذلك مشقة الري الرتيب . ومن المعروف عندهم انها تحتمل العطش ثمانية عشر يوما . كما ان الابل لا تشارك البدوي فيما يبتغي من ماء صاف نمير ، وانما يعجبها الماء الكدر الذي يعزف عنـــه الانسان . يقول الجاحظ : « الابل لا تحب من الماء الا الغليظ » . هذا الى استطابتهم البانها وتفضيلهم لها على البان سائر الحيوان ، واعتمادهم عليها في الغذاء ، فقد كان التمـــر والبان الابل هما الغذاءان الرئيسان لمعظم القبائل العربية الى يومنا هذا .

وهذه صورة ناطقة تدلنا على مبلغ الب البدوي للابل وتفضيله لها على سائر الحيوان . يروون ان ميسون بنت بحدل الكلبية ـــ وكانت بدوية ذات جمال باهر ـــ اعجب بها معـــاوية . فتزوجها وهيأ لها قصرا منيفا مشرفا على غوطة دمشق ، وزينه بانـــواع الزخارف ، ووضـــع فيه من اواني الذهب والفضـــــة ، ونقل اليه من الديباج الرومي الملون والموشى ما هو لائق به . ثم اسكنها مع وصائف لها. فجلست في روشنها يوما وحولهـــا الوصـــــائف . فنظرت الى الغوطة واشجارها . وسمعت تجاوب الطير في اوكارها . وتنسمت نسيم الازهار وروائح النوار والرياحين فتذكـــرت نجدا واهله. وحنت وقالت فيما قالت:

لبيـــــت تخفق الارواح فيـــه
احب الي من قصـــــر منيـــف
ولبـــس عبـــاءة وتقر عيـــني
احب الي من لبـــس الشـــفوف
واكل كســـيرة في كســـر بيتي
احب الي من اكل الرغيـــف
واصـــوات الريـــاح بكل فـــج
احب الي من نقـــر الدفـــوف
وكلب ينبـــح الطـــراق دوني
احـــب الي من قط الـــوف
وبكـــر ينبـــع الاظعان صعب
احب الي من بغـــل زفـــوف

فهي تمجد البكر من الابل وتنوه به، وترى انه آثر عندها والصق بنفسها من دواب اهل الحضر . وكان احدهم اذا ضل له بعير بكى عليه واســـرف في النحيب . ومما يروى في هذا الصدد ان الاسود بن عبد يغوث كان لهثلاثة بنين ، كلهم قد قتل في وقعة بدر ، فلما ناحت قريش على قتلاها نهض عقلاؤها فيهم وقالوا : « لا تفعـــلوا فيبلغ ذلك محمدا واصحابه فيشمتوا بكم » . وكان الاسود هذا يحب ان يبكي بنيه ، فبينا هو كذلك اذ سمع نائحة في جوف الليل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصره : « انظر هل احـــل النحيب ، وهـــل بكت قريش على قتلاها ، لعلي ابكي على ولدي فان جوفي قد احترق » . فلما رجع اليـــه الغلام قال : انما هي امراة تبكي على بعير لها قد اضلته ، فقال الاسود عند ذلك من ابيات :

اتبكي ان يضـــل لها بعـــير
ويمنعها من النوم الســـهود
فلا تبـــكي على بكـــــر ولكن
على بـــدر تقاصرت الجـــدود

ولحرص العرب على الابل ومنحها شيئا من القدسية ، جعلوا لها نظاما دينيا يحمونها به في بعض احوالها من ان تنالها شفار الجارز مطلقـــا ، او يسمحون بنحرها او عقرها بشـــروط خاصة ، او يحرمون البانها او ركوبها او استخدامها في العمل وذلك قول الله تعـــالى : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام . ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب». وليس هنا مقام القول في تفسير هذه الكلمات : البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي . فقد فسرت هذه الكلمات على اثنين وثلاثين وجها ، ذكرهـــا صاحب (بلوغ الارب) ..

فهذا التفكـــير الديني ينبيء عن سيطرة الابل على اذهان العرب في جاهليتهم القديمة .

وفي المعجزات النبوية تنطلق الابل لتحتل مكانا مرموقا ، ويقص علينـــا القرآن الكريم ان قبيلة ثمود طلبت من نبيها صالح عليه السلام معجزة تكون دليلا على صدق نبوته واجتهـــدت مخيلتهم ان تبدع اقوى صور التعجيز، فلم يجدوا فوق الناقة حيوانا ابـــدع آية واشد واعظم ، فطلبوا خروج الناقة من الصخرة ، فاخرج الله لهم من جوف الصخرة الصماء ناقـــة ، وشرط عليهم شروطا رضيها المؤمنون، اما المستكبرون فعتوا عن امر ربهم وعقروا الناقة ـــ اي قطعوا توائمها ـــ فأخذتهم الرجفة فاصبحوا في ديارهم جاثمين .

وقد ورد ذكر هذه الناقة في القرآن سبع مرات ، وضرب العرب المثل في الشؤم بعاقر تلك الناقة واسمه قدار، فقالوا : « اشأم من قدار » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وامر آخر يلقي ضوءا على اثر الابل في حياة العرب ، فلعظم شأنها عندهم جعلوا دية القتيل عددا خاصا من الابل يتراوح بين العشر والمائة والمئات، يساق الى اولياء القتيل ، اما بالنقد العاجل واما بنظام التنجيم والتقسيط . وهو ما سجله زهير بن ابي سلمى في قوله : —

تعفى الكلوم بالمئين فاصبحت
ينجمها من ليس فيها بمجرم
ينجمها قوم لقوم غرامة
ولم يهريقوا بينهم ملء محجم

وجاء الاسلام بعدذلك مؤيدا لقاعدة الدية من الابل ، وضم اليها في ذلك الذهب والفضة .

ومن عقائد العرب المتعلقة بالابل انهم كانوا يسمون «العَشَى» — اي عدم الابصار ليلا — « الهَدَبِد » ، فاذا اصاب احدهم ذلك قصد الى سنام البعير فقطع منه قطعة ، ومن الكبد قطعة اخرى وقلاهما وقال عند كل لقمة يأكلها بعد ان يمسح جفنه الاعلى بسبابته :

فيا سناما وكبد
الا اذهبا بالهدبد
ليس شفاء الهدبد
الا السنام والكبد

وكان العرب اذا كثرت ابل احدهم وبلغت الالف فقئوا عين الفحل ، فان زادت على الالف فقئوا العين الاخرى، وسموا الاول المفقأ ، والثاني المعمّى . وفي هذا يقول الفرزدق :

غلبتك بالمفقا والمعمى
وبيت المحتبى والخافقات

والناظر في الشعر العربي يلمح ظاهرة جديدة بالتأمل ، هي استعمال الابل في القسم واليمين ، ولا يكادون يقسمون بغيرها من الحيوان . قال شاعرهم :

اما والراقصات بذات عرق
ومن صلى بنعمان الاراك
لقد اضمرت حبك في فؤادي
وما اضمرت حبا من سواك

والراقصات هي الابل التي تسير



ضربا من السير يسمى الرقص . وذات عرق : موضع .

وقال اخر :

حلفت بهدي مشعر بكراته
تخب بصحراء الغبيط درادقه

البكرات : جمع بكرة ، وهي الفتية من الابل . واشعارها ان يجعل لها شعار بان تطعن في سنامها تمييزا لها لئلا يُستولى عليها ، لانها خاصة بالهدي . . ونحو هذا من القسم ، كثير في القول الاخر :

اني ورب الراقصات الى منى
بجنوب مكة هديهن مقلد

وقوله :

اما والذي حجت اليه العيس ترتمي
لمرضاته شعثا طويلا ذميلها

وشيء اخر حمل العرب على القسم بالابل وتمجيدها ، هو انهم كانوا جميعا يعظمون البيت الحرام ويحجون اليه ويسوقون معهم في ذلك هديهم الذي يتقربون به الى اوثانهم المنصوبة حول الكعبة ، التي بلغ عددها حين فتح مكة ثلاثماية وستين صنما ، وكانوا يحتفلون بذلك احتفالا ويرون في الابل انها هي التي تدنيهم الى آلهتهم وتحملهم اليها ، فكانها بذلك تشاركهم في نسكهم وتعينهم عليه ، فكانت لذلك جديرة بالتكرمة ، حقيقة بان تعرض في معرض القسم واليمين .

وهكذا نجد ان الابل سيطرت زمانا طويلا على تفكير البدوي . وفرضت نفسها امام عينه وعقله وعاطفته النفسية والدينية .

ونجد في القرآن الكريم آية تشيد بالابل اشادة عالية . وتستعلن عظم شأنها وعجيب خلقها . وهي قول الله سبحانه : « افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت » ، فقدم الابل على السماء وهي ما هي . لان الابل من اعجب الخلق في طول اعناقها التي ترفعها فتنال بها اعالي الشجر . وتخفضها فتجتث اصول العشب في باطن الارض. وهذا السنام الذي جعل لها ذخيرة حين يعز الطعام ويقل الغذاء . وهذه العين الحالمة الحليمة المعبرة . وذاك الخف الذي يتواءم مع رمال الصحراء التي لا تستطيعها الخيل ولا غيرها من الدواب في السفر الطويل والرحلة المسهبة ، الى الطاعة العجيبة والانقياد للصبي الصغير .

وحينما حث القرآن الكريم على الحج ، رسم الصورة الواضحة للاقبال على الحج وتجشم المشاق اليه ، فلمع جانب الابل التي تخترق فجاج الارض العميقة ، اي مسالكها البعيدة الاعماق المترامية الافاق ، وذلك قول الله عز وجل : « واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » .

واذا عرجنا على البيان العربي في الفاظه واساليبه ومعانيه ، وامثاله وتشبيهاته ونصوصه ، فان مجلدا او مجلدين لا يكفيان لبسط القول في ذلك . ومما يجدر ذكره ان المستشرق الالماني «دوهامر» جمع الالفاظ العربية المتعلقة بالابل حسب طاقته هو ، فوصلت الى خمسة الاف وسبعمائة واربع واربعين كلمة . والناظر في كتاب المخصص لابن سيده يجد مصداقا مذهلا لهذا القول الذي اعتقد انه مع ذلك لا يبلغ الاستيعاب

وان كان قريبا منه . وهذه ظاهرة فريدة لا نكاد نجدها في لغة اخرى .

فمن الالفاظ : القرين ، نفهمها بمعنى الصاحب والخليل ، ولا نكاد نفطن الى اصل اشتقاقها ، واصل القرين الجمل او الناقة تكون فيهما خشونة ، فيربط احدهما الى الاخر حتى يلين احدهما ، ويسمى الحبل الذي يجمع بينهما القَرَن . وهذا يطلعنا من زاوية جانبية على سابقة نفسية للعرب في سياسة الحيوان وتربيته. ومنها « الفحل » يطلق على الذكر من النخيل وكذا قولهم : استفحل الامر ، اي تفاقم واشتد ، وتفحل فلان اي تشبه بالفحل واصل هذا كله من الفحل ، وهو الذكر من الابل . ومن ذلك قولهم : تجمل في المصيبة ، اي اشتمل بالصبر وتكلف العزاء ، فصار بهذا شبيها بالجمل الصبور الذي لا ينزع الى شكوى ، ومنه قول امرىء القيس :

وقوفا بها صحبي علي مطيهم
يقولون لا تهلك اسى وتجمل

فهي نظير قولهم : تفحل / من الفحل ، وتنمر / من النمر ، وتدأب / من الذئب .

ويقولون : « حرب ضروس » اذا كانت مفظعة مهلكة وخيمة العاقبة، قال قيس بن الخطيم :

وانيَ في الحرب الضروس موكل
باقدام نفس ما اريد بقاءها

واصله من الناقة الضروس التي تعض باضراسها من دنا منها وذلك لسوء خلقها .

ومن ذلك : **المخضرم** ، واصله الذي ادرك عصري الجاهلية والاسلام، ثم اطلق من بعد على من ادرك عهدين متتاليين . واشتقاقه من الخضرمة، وهي قطع طرف الاذن ، وكان اهل الجاهلية لما دخلوا في الاسلام خضرموا آذان ابلهم ، اي قطعوا اطرافها لتكون علامة لاسلامهم ان اغير عليها او حوربوا ، فكانت هذه العلامة حماية لابلهم ان تصبح غنيمة في الحرب .

— ولا نزال نقول للرجل : ما حدا بك الى كذا . او نقول : يحدوه الى ذلك غرض شريف . واصله من حداء الابل . وهو سوقها بالتنغيم والتطريب .

— ونقرأ في كثير من القصص العربية قولهم : « ساق اليها صداقها » اي قدم اليها مهرها . وهذه العبارة تمت الى الابل بصلة وثيقة ، واصل معناه ان يجعل مهر المرأة من الابل ثم يسوق ذلك الصداق اليها . ثم استعملت من بعد في تقديم اي ضرب من ضروب الصداق كائنا ما كان .

حتى اسماؤهم كان للابل نصيب فيها ، فمنها الاعلم : اسم عالم اندلسي جليل ، واصله من البعير ، سمي بذلك للشق الذي في مشفره الاعلى ، قال الجاحظ ، « **وكل بعير فهو اعلم** » هكذا خلقة البعير .

ومنها الزفيان : اسم شاعر واصل الزفيان الناقة السريعة .

ومنها جران العود : اسم شاعر ايضا . والعود : المسن من الابل . وجرانه : مقدم عنقه ، ومنها «بكر» و «ابو بكر» في الكنية . واصل البكر الفتي من الابل .

ومنها «جرير» شاعر معروف . واصل الجرير الحبل يكون في عنق الدابة او البعير .

و « دعبل » الشاعر الرقيق ، اصل تسميته من الدعبل ، وهي الناقة القوية ، وكذلك مُصعَب هو الفحل من الابل . ومنه مصعب بن الزبير القائد القرشي المعروف ، الذي اجهد عبد الملك بن مروان زمانا طويلا في العراق .

ومن اعلام نسائهم « هند » ونحن نعبر بهذا الاسم دون ان ننظر في اشتقاقه او ننظر فنظنه يمت بصلة الى امة الهند ، وانما الهند والهنيدة اسم للمائة من الابل خاصة . قال جرير :

اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية
ما في عطائهم منٌّ ولا سرف

فالعربي يسمي بنته هندا ينظر الى انها له بمثابة مائة من الابل .

حتى شوال ، اسم هذا الشهر العربي ، سمي بذلك لان الابل كانت تشول البانها فيه . اي ترتفع وتقل .

وهنا ننتقل الى ينبوع فياض من ينابيع الثروة اهدتها الابل الى اللغة العربية ، ذلك الينبوع الذي يفيض بالتشبيهات والامثال .

فقد شبه العرب الشاب القوي الجسم بالفنيق ، وهو الفحل القوي من الابل قال : —

فيا ضيعة الفتيان اذ يعتلونه
ببطن الثرى مثل الفنيق المسدم

عتله يعتله : جره جرا عنيفا فحمله ، ومنه العتال . والمسدم من الابل : المسدود فمه خوفا من عضاضه . ورأى عنترة ان انبثاق الدم من فرائص غريمه له صوت شبيه بصوت شدق البعير ، فقال :

وحليل غانية تركت مجدلا
تمكو فريصته كشدق الاعلم

وحين ارادوا ان يشبهوا رجلا متعبا وجدوا له مثلا في البعير المحسم المجهد !

يعين نساء الحي ما يسنعنه
ويمسي طليحا كالبعير المحسم

وضربوا مثلا لمن عظم جسمه وضعف عقله فقالوا :

لقد عظم البعير بغير لب
فلم يستغن بالعظم البعير

وقد مثل الله عز وجل للشرر الذي يتطاير من نار الجحيم بالجمال الصفر الالوان فقال : (انها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر) شبه الشرر بالجمال الصفر في الوانها وفي تتابعها واختلاطها حينا اخر حين تنفر وتشرد .

واذا اراد العرب التسوية بين شخصين في الشرف والفضل قالوا « هما كركبتي البعير » فان احدى ركبتيه لا تقع على الارض قبل الاخرى .

وجعلوا من نبذه الناس واولوا سخطهم وجفوتهم شبيها بالجمل الاجرب الذي يعالج بالقار ، ومن ذلك

قول النابغة الذبياني للنعمان :

فلا تتركني بالوعيـــد كانني
من الناس مطلي به القار اجرب

وقالوا في امثالهم : « احقـد من جمل » و « اصول من جمل » وهـذا يفسر لنا تلك الدهشة العصبية التي لحقت ابا جهل عندما حمل الحجـر الثقيل يريد ان يضرب به رسول الله وهو ساجد حتى اذا دنا منه نكص على عقبيه منهزما ، مذعورا منتقع اللون ، قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده . وقامت اليه رجال قريش فقالوا : مالك يا ابا الحكم ؟ قال : « قمت اليه لافعل به ما قلـت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل ، لا والله ما رايت مثل هامته وقصرته ولا انيابه لفحل قط فهمّ بي ان يأكلني !» فأبو جهل لم يعرض له جني ، ولا تعرضت له غول تخيفه وترهبه ، وانما غلب على مخيلته شيء اقوى من ذلك : هو صورة الفحل الصائل قد فغر فـاه ليأكله . ولا غرو فالعقل الباطن يجتهد في اظهار اقوى المؤثرات السالفة لدى الشخص عندما يتغلب على القـوة الواعية .

ومن امثال العرب قولهم للرجل لا يحكم امره ولا يسير على هدى وحزم : « يخبط خبط العشواء ». والعشواء الناقة لا تبصر ما امامها، فهي تخبط ما مرت به بيديها، لانها ترفع راسها ولا تتعهد مواضع اخفافها ، فيقعن حيثما وقعن .

ومن امثالهم الخالدة : « لا نـاقة لي في هذا ولا جمل » يريد انه بريء كل البراءة بعيد عن التهمة ، وانه لا دخل له فيما وقع القوم فيه من شر وفتنـة .

ويقولون : «القى حبله على غاربه» اي تركه يذهب حيث يشاء او اهمله. كما يقولون « هذا من باب القاء الحبل على الغارب » . وليس للرجل حبل يلقى على غاربه ، وانما هو مأخوذ من الابل اذا ارادوا ارسـالها الى المرعى القوا حبالها على غواربها ولم يدعوها ساقطة على الارض فتمنعها الرعي. وغارب البعير : ما بين سنامه وعنقه .

ومن الكنايات التي كان يستعملها العرب في الفاظ الطلاق قولهم للمراة: حبلك على غاربك ، اي اذهبي حيث شئت فانت طالق ، وقد جعل الاسلام هذا النوع من الالفاظ موجبا للطـلاق البـائن.

وقد ضرب القـرآن الكريم دخول الجمل في سم الخياط مثلا للاستحـالة والبعد فقـال : « ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنهـا لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنـة حتى يلج الجمل في سم الخياط » وسم الخياط هو ثقب الابـرة . ودخول الجمل وهو ما هو في العظم في ذلك الحيز الضيق هو منتهى الاستحالة .

ولم يخل الحديث الشـريف من التشبيهات المستمدة من وحي الابل، فمن مشهور الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : « تجدون الناس بعدي كابل مائة ليس فيها راحـلة » . والراحلة : البعير النجيب القوي على الاسفار والاحمال ، يريد انه يندر منهم المستوى الصالح الممتاز في الخلق والدين ، كما ان الراحلة النجيبـة الممتازة تكون نادرة قليلة في الابـل الكثيرة .

وفي الخطـب نلمح في خطبـة الحجاج في اهل العراق كلمـات مستوحاة من الابل ، اذ يقول في بعض القول : « اما والله لالحونكم لحـو العصا ، ولأعصبنكم عصب السلمة، ولاضربنكم ضرب غرائب الابل » . ويقول في خطبة دير الجماجم : « اذ وليتم كالابل الشوارد الى اوطانها، النوازع الى اعطانها » .

وفي اغراض الشعر المختلفة كان للابل نصيب كبير . ولعل في وصـف طرفة في معلقته للناقة في نحو ثلاثين بيتا ، اي في نحو ثلث معلقته ،شاهدا ينبيء عن ايغال العرب وعنـايتهم العجيبة بالاخيلة والصور التي تتعلق بالابل وتناول اعضائها بالتصـوير الدقيق ، ومعلقة طرفة من الشهرة بحيث لا يجمل هذا الحديث الموجز ان نذكر نماذج منها في هذا الصدد. وليت شعري اذا عمد طرفة الى صفة انسان او انسانة اكان يستغرق قوله مثل هذا العدد من الابيات ؟!

وفي فن المديح لم يكن للشاعر العربي القديم مندوحة عن ان يصف النـاقة التي امضى عليها الرحلة الى الممدوح. وفي شعر الاعشى والنابغة من ذلك نماذج كثيرة معروفة . وكان العرب يؤثرون الناقة على الجمل في اسفارهم، لان الناقة بطبيعتها مطواعة سلسة القياد ، وكانوا يستغلظون البعـير ولا سيما في السير الطويل ، لصلابة جسمه وصلابة سيره ، ومن شواهد ذلك ما رواه ابن اسحاق من قـول ابي جهل لعباس بن ابي ربيعة وهما في سفرهما : « والله يا اخي لقـد استغلظت بعيري هذا ، افلا تعقبني على ناقتك هذه.» اما نساؤهم فكن يحملن على الجمال ، لان السـوق بهن يحتاج الى الرفق ، فلا تلائمهن سرعة النوق الهوجاء ، وكان الجمل اثبت واضبط سيرا فخصّوهن بذلك حرصا عليهن . وهذا هو سر قول امريء القيس :

تقول وقـد مـال الغبيط بنا معا
عقرت (بعيري) يا امرأ القيس فانزل

حيث قال (بعيري) ولم يقل «ناقتي».

ودخلت الابل في الهجاء كما دخلت في المديح ، يهجو احدهم صـاحبه بسمن ابله ، لان الابل لا يظهر سمنها الا اذا بخل بها صاحبها فمنع لبنهـا ضيفه وجاره .

لقد سمنت قعدانكم آل حـذيم
واحسابكم في الحي غير سمان

ويهجو احدهم قبيلة بانها لا تسقي ابلها الا بعد انصراف النـاس عن سقي ابلهم وذلك لضـعفها وقلة سطوتها ، وانها لا تستطيع مدافعـة الناس والخروج الى الصف الاول ،

وذلك قوله :

ولا يردون المـــاء الا عشـــية
اذا صـــدر الوراد عن كل منهل

وفي الغزل نجد نماذج تذكر فيهـــا الابل ، منها قول امريء القيس :

تقول وقد مـــال الغبيط بنا معا
عقرت بعيري يامرأ القيس فانزل
فقلت لها سيري وارخي زمامـــه
ولا تبعـــديني من جناك المعلل

ويقول عروة بن حزام مسجـــلا تضارب ما بين هواه وهوى ناقته :

هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى
واني وايـــاها لمختلفـــان
هواي امـــامي ليس خلفي معرج
وشوق قلوصي بالفدو يمـــان

وفي شعر الحنين نرى عمـــرو بن كلثوم يعلن ان وجده على رحـــلة صاحبته ومفارقتها له فوق وجـــد الناقة التي فقدت ولدها ، فيقول :

فمـــا وجدت كوجـــدي ام سقب
أضلتـــه فرجعـــت الحنينـــا

ويقول اخر في ذكر حنينه وحنـــين ناقتـــه :

وحنت ناقـــتي طربـــا وشـــوقا
الى من بالحنـــين تشوقيـــني

ويقول اخر في ذكر حنين ناقتـــه ، وهو بلا ريب اشارة الى حنينه هو ايضـــا :

تحن الى اهل الحجـــاز صبابـــة
وقد بُتَّ من اهـــل الحجاز قرينها
فيا رب اطلق قيدهـــا وجريرهـــا
فقد راع اهل المسجدين حنينهـــا

هذا قل من كثر ، وصورة مصغرة نلمح بها اثر هذا الحيوان في لغـــة العرب ، وهو اثر خالد سيبقى بقاء الدهر ، ما دامت الدنيا ، وما دامت الصحـــراء ، ولن يمحوه عجيج السيارات ولا ازيز الطائرات .

عبد السلام هارون

جامعة الكويت

صداقة الكتاب

شعر

رياض معلوف

كتـــابي وهـــو لي خيـــر الصحـــاب
وفيٌّ لا يخـــون ولا يُحـــابي !..
فـــأقـــرأهُ وعيـــني فيـــه تلقـــى
نفـــائس كلهـــا للاكتســـاب
فسطـــرٌ قـــرب سطـــر بانسجـــام
وحـــرفٌ قـــرب حرف بانسكابِ !..
وألقـــى فيـــه مـــا أصبـــو إليـــه
وأطلـــب مـــن أمـــان أو رغـــابِ
يحـــدّث دون ثـــرثـــرة وأفـــك
وينطق وهـــو أخرس بالصـــوابِ !..
فأسمـــع مـــا يقـــول بـــدون قـــول
وأقـــرأه بجـــوٍّ مستطـــابِ ...
ففيـــه غبطـــتي ونعـــيم عيشـــي
رفيقـــي حيثمـــا حلَّت ركابي !..
أقلّـــب صفحـــةً منـــهُ بـــرفـــق
وأطـــويهـــا ... لأقـــرأ غير باب ..
فهاتيـــك الصحـــائف خيـــر كنـــز
جـــواهره مـــن العجب العجـــابِ !..
فخـــذ كـــل الذي ترجـــوه مـــني
ودعـــني في مصـــاحبـــة الكتـــابِ ..
صـــديـــقٌ لا يمـــلُّ المـــرء منـــه
وأصدق مـــن عرفت من الصحاب !..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بدر شاكر السياب

في

الشعر العربي المعاصر



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الرابع والعشرين من كانون الاول ١٩٦٤ ، وفي المستشفى الاميري بالكويت ، توفي الشاعر العراقي بدر شاكر السياب بعد مرض عضال عانى منه اكثر من سنتين . ولعل من اهم ما قاله النقاد في تأبينه : « بموته ولد لنا شاعر كبير » .

عرف بدر في الخمسينات كرائد في التجديد في عمود الشعر العربي التقليدي الذي وضعه الخليل بن احمد الفراهيدي . واشتهر بين الشعراء المحدثين بانه شاعر « انشودة المطر » وهو عنوان قصيدته الكبرى التي اطلقت عنوانا لمجموعته الشعرية التي فازت بجائزة مجلة « شعر » في لبنان عام ١٩٦٠ ورغم انه اصدر عدة مجموعات شعرية بعد ذلك ، منها : (منزل الاقنان ، والمعبد الغريق ، وشناشيل ابنة الجلبي ، واقبال) الذي صدر بعد وفاته بقليل الا انه بقي يعرف بشاعر « انشودة المطر » .

كسب بدر شهرته الشعرية عند تخرجه في دار المعلمين العالية ببغداد عام ١٩٤٧ وقد نشر في اواخر ذلك العام قصيدة في مجلة بيروتية ، طور فيها عمود الشعر العربي الذي يلتزم تفعيلات محدودة ورويا واحدا مع المحافظة على الوزن والقافية ولكن باسلوب يغاير الاسلوب التقليدي . وفي نفس التاريخ نشرت زميلته في الدراسة (نازك الملائكة) ديوانها الاول « عاشقة الليل » وفيه ثلث مجموع القصائد بهذا الاسلوب الجديد في العمود الشعري ، وقد اطلقت عليه نازك اسم (الشعر الحر) .

لقد درس بدر سنتين بقسم اللغة العربية وسنتين بقسم اللغة الانكليزية ، وكان قد اكب على دراسة الشعر العربي والتاريخ كما يظهر في قصائده ، واعجب بالمتنبي

بقلم : الدكتور عبد الواحد لؤلؤة

استاذ مساعد في الادب الانكليزي ، بجامعة الكويت

بصورة خاصة ، ومن الشعراء المحدثين بالجواهري . وفي قسم اللغة الانكليزية اهتم بالشعراء الانكليز في القرن العشرين على الاخص ، رغم ان هؤلاء لم يكونوا موضع اهتمام اساتذة القسم الانكليزي في ذلك الحين . ولكن بدرا ، بسعيه الخاص ، حاول ان يستوعب تي. اس. ايليوت ، وباوند ، وايدث سيتويل وستيفن سبندر . كان اهتمامه بصورة خاصة بقصيدة « الارض الخراب » لايليوت وقد تعلم منها الكثير من الفنون الشعرية الحديثة مثل التضمين والاشارة الى كتابات الغير واستخدام الاسطورة والرمز الديني . وباطلاعه على ترجمة الاستاذ جبرا من كتاب « الغصن الذهبي » للسير جيمس فريزر ، نجد ان بدرا قد وجد في تلك الترجمة معينا غنيا بالاساطير البابلية والفينيقية مثل اسطورة تموز وعشتار واضاف الى ذلك الرموز المسيحية كالمسيح ، والصليب، والجلجلة ، والعازر وغيرها كثير . كل ذلك نجده في ديوان « انشودة المطر » اهم دواوين بدر والذي يمثل فترة العطاء الشعري الغزير في اوائل الخمسينات لدى هذا الشاعر المجدد الذي سرعان ما تأثر به شعراء عديدون في البلاد العربية امثال صلاح عبد الصبور واحمد عبد المعطي حجازي وغيرهم كثير .

كان بدر في هذه الفترة بالذات يلتزم واقع الامة العربية ، فنجد بين قصائد « انشودة المطر » قصائد فخمة حول (بور سعيد ، في المغرب العربي ، الى جميلة بو حريد ، قافلة الضياع) يعبر فيها جميعا عن ثورة الانسان العربي على الظلم ويمجد فيها البطولات العربية كل ذلك بحرص جزل يعيد الى الذهن جزالة الشعر العربي القديم ، كما في مطلع قصيدة (بور سعيد) حيث يقول :

يا حاصد النار من اشلاء قتلانا
منك الضحايا ، وان كانوا ضحايانا

وفي قصيدة (قافلة الضياع) نجد اروع تصوير لمأساة اللاجئين حيث يصور حكم التقسيم بلغة في منتهى البساطة ولكنها بساطة تقطر الما ومرارة حيث يقول :

هذا ، لكل اللاجئين
وكل هذا ، لليهود

والى جانب التزام بدر بقضية الانسان العربي نجده يلتزم قضية الانسان عموما . فنجده يهتز لاصابة « فوكاي » بالجنون . و« فوكاي » هو كاتب البعثة اليسوعية الذي شهد هيروشيما غداة ضربت بالقنبلة الذرية . نجد بدرا في قصيدة « من رؤيا فوكاي » يستعمل اسطورة صينية تدور حول ملك اراد ناقوسا ضخما من الحديد والنحاس والفضة ، ولكن العرافين اخبروه ان هذه المعادن لن تجتمع الا اذا امتزجت بدماء فتاة عذراء . فما كان من ابنة الملك « كونغاي » الا ان رمت نفسها في القدر الضخمة التي كانت تصهر فيها هذه المعادن ، فتم الاختلاط وكان الناقوس وتمت ارادة الملك . في هذه القصيدة نجد بدرا يقلد اليوت في « الارض الخراب » بكثرة الاشارة للاساطير والرموز ، ويضمن ابياتا لايدث سيتويل واخرى لغرائيا لوركا واخرى لشكسبير في « العاصفة » وهكذا نجد انه في هذه التجربة ينجح في رفع الشعر العربي الى مستوى يتحرر فيه من قيود المحلية وقيود اللغة ويجعله سائغا للقارىء الاجنبي اذا ما ترجم ، وهذه في رأيي ، اكبر خدمة يمكن ان يؤديها شاعر الى الشعر العربي المعاصر .

في اوائل حياة بدر الادبية ، نجده ينتمي الى اليسار السياسي املا بان هذا الانتماء سيحمل الحل لمشكلة الانسان العربي في ثورته على الظلم والاستعباد . وفي ذلك لم يكن بدر اول اديب فعل ذلك ، ولكنه كان من الادباء القلائل الذين سرعان ما وجدوا ان ذلك اليسار كان يغازل احلام الجماهير ولا ينطوي على خدمة مخلصة بل يسعى الى مكاسب فردية ولذا فقد خرج بدر على انتمائه السياسي وفضح ما عرف عن كثب وبقي مخلصا لايمانه في الانسان الثائر المتجرد عن المذاهب السياسية. نجده يسجل احداث العراق الدامية عام ١٩٥٩ في لغة تتفجر ثورة على الظلم الفردي واستغلال المنصب . وربما كانت قصيدة « سربروس في بابل » اروع قصيدة كتبت ضد طاغية فرد . وسربروس هو كلب الجحيم في الاساطير الاغريقية ، له ثلاثة رؤوس ، دائم العواء اثناء حراسته باب الجحيم ليمنع الارواح الملعونة من الهرب . وبابل هي المدينة الملعونة :

ليعو سربروس في الدروب
في بابل الحزينة المهشمة
ويملأ الفضاء زمزمة ..

وهو في معايشته ازمة الانسان العربي في العراق كان يتنبأ بثورة عاتية ، وكأنه المقصود بقول الرومان عن الشاعر انه نبي . وهو في ذلك يعيش التاريخ العربي ولا يغفل عن الاسطورة العربية :

أكاد اسمع العراق يذحر الرعود
ويخزن البروق في السهول والجبال
حتى اذا ما فض عنها ختمها الرجال
لم تترك الرياح من ثمود
في الواد من اثر ...

وفي شعر الباب المتأخر في فترة مرضه نقرأ نماذج من اروع ما كتب في العربية من شعر التفجع ورثاء النفس وسيبقى شعر السياب شاهدا على مرحلة بالغة الاهمية من التطور في شعرنا العربي المعاصر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أضواء على شاعر مغمور ..!!

علي ابن مقرب العيوني

بقلم
مقبل العيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هل لحظ الشـــاعر تأثير على انتشار شعره في الآفاق .. ومعرفته بين الناس ..؟! هذا السؤال خطر لي بعد ان قرات ديوان شاعر عاش في القرن السادس من الهجرة غير انه لم يكن معروفا لدى القاريء العربي الا منذ سنوات قليلة .. فاذا كان في هذا التســاؤل ظل من الحقيقة ، فاني اعتقد انها تنطبق على الشاعر الهجري : « **علي بن مقرب العيوني** » الذي لم يلق العناية الكافية من المهتمين بشؤون الادب قديما وحديثا .. بالرغم من وفرة انتاجه الشعري وبلوغه المستوى الرفيع من الجودة التي تؤهله لان يكون مشهورا منذ زمن بعيـد ..!!

فالشاعر الذي سأتحـــدث عنه كان يعيش في القرن السادس (٥٧٥ ــ ٦٢٩) اي في عصر الـدولة العباسية الثاني .. غير انه لم يكن معروفا لدى الكثيرين، ولم يرد له ذكر في الكتب الادبية التي تتحدث عن الاعمال الشعرية لشعراء كانوا معاصرين له في العراق وبعض الاقطار العربية الاخرى ..

ولست هنا بصدد بحث وتقصي العوامل والظروف التي ادت الى ذلك . غير انني هنا اريد ان القي لمحـة سريعة علي حياة هذا الشاعر ، وان ازود القـاريء بلوحة شعرية من انتاجه الذي اعجبت به ..!!

وهناك ملاحظة عابرة اريد ان ابديها للقاريء .. وهي ان شعر (ابن مقرب) تدر له البقاء بعد وفـاته فترة طويلة من الزمن دون ان ينقرض او تمتد اليه يـد النسيان .. فأعماله الشعرية قد بقيت ثمانية قرون دون ان تطبع ، وهذا بلا شك دليل على جودة شـــعره واصالته .. واعجاب سكان المنطقة التي كان يعيش فيها بشعره . فهم قد حفظوه كتابة ونقلوه رواية ، جيلا بعد جيل ، حتى قدر له ان يطبع لاول مرة عـام ١٣٠٨ هجرية ..!! فقد ورد في مقدمة ديوانه الذي بين يدي ان ديوان الشاعر قد طبع لاول مرة في مكة المكرمة عـام ١٣٠٨ هـ والطبعة الثانية كانت في بومباي عـام ١٣١١ هـ .. وان الذي قام بجمع شعره هو احد افراد اسرته الشيخ حمد بن خليفة العيوني .. غير ان الناشر لم يذكر السنة التي تم فيها جمع شعره .. فهل كانت قريبة من العام الذي طبع فيه لاول مرة .. ام انها قبل

هذه السنة بوقت طويل ..؟؟

ولكن من هو ابن مقرب ..؟؟

ترجم ناشرو ديوانه الذي طبع على نفقة سمو الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني حاكم قطر سابقا بان شاعرنا هو علي بن مقرب بن منصور العيوني الربعي.. من قبيلة ربيعة التي كانت تسكن في شرق الجزيرة العربية ومن اسرة كانت تحكم جزءا من المنطقة (الاحساء وما جاورها من القرى) ، وذلك بعد ضعف الدولة العباسية في بغداد .. وقد ذكر في مقدمة ديوانه انه كان طموحا يتطلع الى المنزلة التي يستحقها امثاله من النابهين .. غير انه لم ينل من ابن عمه (الحاكم)حظوة او تأييدا بسبب حسد حساده ووشاية خصومه ..!!

بل كان نصيبه التشرد والنزوح عن وطنه خوفا على حياته ومصادرة ممتلكاته مما سبب له جروحا عميقة في نفسه ظهرت جلية في شعره الذي نحن بصدد الحديث عنه .

لمحة سريعة على شعره :

ذكرت سابقا ان (ابن مقرب) لم ينل حظا من الشهرة مثل غيره من الشعراء الذين عاصروه في الاقطار العربية الاخرى او الذين عاشوا بعده .. بالرغم من وفرة انتاجه الشعري وبلوغه المستوى الرفيع من الجودة والاصالة . فمن يقرأ ديوانه يتذكر بعض الشعراء الذين ملأوا سمع الدنيا دويا كأبي الطيب المتنبي ، وابي فراس الحمداني والشريف الرضي . فهو في قوة تعبيره عن المعاني الشعرية ، وفي اسلوبه ومعطيات شعره ، يذكرك بهؤلاء الشعراء .. اي ان تجاربه الشعرية تتشابه الى حد كبير مع تجاربهم الشعرية .. بل ان شخصيته تكاد تكون قريبة الشبه في بعض الجوانب مع شخصية الشعراء الثلاثة او بعضهم .. فهو في حسبه ونسبه .. وفي طموحه الى مركز اجتماعي مرموق ، وتفاخره بشجاعته والتغني بامجاد اسلافه ، وتردده على مجالس الخليفة وبعض الامراء مادحا لغاية في نفسه ، وفشله في امانيه ، وفي تمزقه النفسي وثورته على الحياة بسبب هذا الفشل .. كل ذلك يذكرك بالشعراء الثلاثة ..

ولعل من ابرز سمات هذا الشاعر : صدق عاطفته في ثورته على الظلم الذي لحق به .. وانتقاده لاخلاقيات مجتمعه الذي كان يعيش فيه .. وتذمره من تدهور الوضع السياسي في وطنه .. ويبدو ان نزوحه عن وطنه ، وتشرده في الافاق ، قد اثر في نفسيته فجعله يصور الجانب القاتم من الحياة .. والجانب المظلم من عواطف الاخرين ..

فالقصائد الموجودة في ديوانه تبلغ احدى وتسعين قصيدة ، وموضوعاتها تدور حول الفخر والهجاء والمدح والشكوى من جور الحياة .. اما الغزل والتغني بالجمال او الصور الشعرية الجميلة المتفائلة ، فالقارىء يفتقدها في شعره .. ولا اعتقد ان البيئة التي كان يعيش فيها متزمته لا تستسيغ الاشارة الى الحب او التغني بالجمال انما نفسية الشاعر التي كان يسيطر عليها الشعور بالمرارة ، هي التي صبغت شعره بلون الثورة العاطفية القاتم ..

اما شعر ابن مقرب في مادته اللغوية (اي الكلمات) فهو مزيج من الحضارة والبداوة والطابع المحلي والانطلاق الى اجواء مجتمعية وثقافية في البلاد المجاورة لموطنه .. ففي شعره كلمات لا تجدها الا في الشعر الجاهلي ، غير انها قليلة . اما اغلب شعره فكلماته سهلة ، قريبة الى ذهن القارىء .

واما تعبيره الشعري فهو فريد في نوعه اذ يختار له المعنى الذي يكاد يكون حكمة او مثلا سائرا ، في عفوية محببة الى نفس القارىء ، دون تكلف او افتعال كما يتردد في شعره ذكر الاماكن في وطنه والحوادث التي وقعت في الجزيرة العربية قبل الاسلام وبعده . مما يدل على ان الشاعر كان فوق موهبته الشعرية ، مطلعا على الثقافة العربية ..

لوحة من تجاربه الشعرية ..

اغلب التجارب الشعرية لابن مقرب تدور حول الفخر والمدح وبعض الهجاء والشكوى من جور الحياة وقسوة القدر .. ولعل موقف ابن عمه العدائي منه له تاثير كبير في تفاخره واعجابه بنفسه وفي شكواه من اخلاقيات مجتمعه . ففي قصائده : سواء كان موضوعها مدحا او قدحا او افتخارا ، يبدو ثائرا شاكيا .. غير ان اسلوبه الشعري قوي ، ومعانيه مشرقة ، وتصويره لتجارب الحياة وتأملاته فيها تأسر القارىء وتوافق هوى في نفسه ، لان المعاني التي يصوغها شعرا تنطوي على ما يشبه الحكمة والمثل السائر . فهو في قصيدته التي يمدح بها والي القطيف : الامير فضل بن محمد ، قد بلغ القمة في تمكنه من ناحية الشعر اسلوبا ومعنى ، حيث يقول :

تجافى عن العتبى فما الذنبُ واحدُ
وَهَبْ لصروف الدهر ما انت واجدُ
اذا خانك الادنى الذي انت حزبه
فواعجبا ان سالمتك الاباعد !!
ولا تشكُ احداثَ الليالي الى امرئٍ
فذا الناس اما حاسدٌ او مُعَاندٌ
وعَدِّ عن الماءِ الذي ليس وِرْدُهُ
بصافٍ .. فما تعمى عليك الموارد !!
فكم مات في البحر المحيط اخو ظما
بفُلْتِه .. والماءُ جارٍ وراكد !!

وانّ وطنٌ ساءتكَ اخـــلاق اهلـــه
فدعــهُ ، فما يُغضي على الضيْم مــاجدُ
فما « هَجَرٌ » (١) امٌّ غَذَتْكَ لبانهـــا
ولا « الخطُّ » (٢) ان فارقتها لك والد
فَبُتَّ حبـــالَ الوصـــلِ ممن تـــوده
اذا لم يَرِدْ كـــلَّ الـــذي انت وارد
ولا ترهب الخطبَ الجليلَ لهولـــه
فطعم المنايا كيفمـــا شئت واحـــد
وقل لليـــالي كيف ما شئتِ فاصنعي
فان على الاقدار تجري المكائـــد
فليس بصَعَّاد الى المجـــد عـــاجزٌ
نؤوم تنـــاديه العُلىٰ .. وهو راقـــد

★★★

خلياليَّ ، كم اطوي الليـــالي وعزْمتي
تُنَوِّلني الجوزاء .. والمجد قاعـــد
وكم ذا اناجي همـــةً دون همهـــا
نجوم الثريا .. السُّهَا والفراقـــد
وتقعدني عمـــا احـاول نكبـــةٌ
جرت .. وزمانٌ عـــاثرُ الجد فاسـد

الى ان يقول :

ابا الفضل ، قد طـــال انتظاري ولم اقم
شتاء وصيفـــاً عند مثلك وافـــد
وقد زالـــت الاعذار لا (الغوص) بائر
ولا (البحر) ممنوعٌ ولا الدخل كاسـد
ولا انت محجور التصرف في النـــدى
عليـــك رقيب في لوائـــك راصد ...

فالشعور بالمرارة مما الم به من متاعب ونكبات بسبب تشرده ونزوحه عن وطنه ، يبدو واضحا في اغلب قصائده . غير انه بالرغم من احساسه بالمرارة وشعوره بالاضطهاد ، فان له عزما يناوله الجوزاء ، وقوة ارادة لا تزعزعها النكبات .. وفي معاناة شعرية اخرى ، نراه يخاطب نفسه باعتداد واعتزاز حيث يقول :

رِدي مـــرَّ الحتوف ولا تُراعـــي
فمـــا خوفُ المنيـــَّة من طباعي !!
وعزمـــا صادقـــا ، فلكم مضيقٍ
بصدق العزم صـــار الى اتســـاع

ومنهـــا :

ذَريني والملوكَ بكـــل ارض
أُكايلهـــا الردى صاعـــًا بصـــاع
فمـــا اَيْمَانهم تعـــلو شمـــالي
ولا اَبْواعهم تعـــلو ذراعـــي
فلستُ اذا الهموم تـــأَوَّبْنـــي
الاقيهـــا بآراء شـــعاع
ســـاطلبُ حقَّ آبـــائي وحقـــي
ولو من بين انيـــاب الافـــاعي

وفي قصيدة اخرى يخاطب ابنة القوم — والشعراء كثيرا ما يلجأون الى مخاطبة ذواتهم في قالب حوار من الجنس اللطيف — يبثها احزان قلبه وشجونه في كبرياء وانفة محببة الى النفس ، فيقول :

امارات سر الحب مـــا لا يكتم
وابـــين شيء مـــا يجن المتيـــم
ظننتِ نحولي واصفراري من الهـــوى
وذلك ممـــا يقتضيـــه التوهم

ومنهـــا :

لعمرك مـــا بي من هوى غـــير انني
بفر المعـــالي يا ابنـــةَ القوم مغرمُ
اذا خطـــة انكرت من ذي عـــداوة
اتـــاني من الاحبـــاب ادهى واعظم
الا انني النـــدب الـــذي يكتفي بـــه
اذا غالهـــا كعب مـــن الدهر مبهم
وعندي لشانيهـــا سيوف ثلاثـــة
لسـانٌ ورأيٌ لا يُفَـــلُّ ومخذمُ
ولست بهجَّامٍ عـــلى ما يسوؤهـــا
ولا نـــاطق بالعيب مني لهـــا فم
ولا قـــابض فضـــل الغنى عن فقيرها
ولا باسط كفـــا لهـــا حـــين اعدم
واني لاقصاهـــا اذا ثـــاب مغنم
واني لادناهـــا اذا نـــاب مَغرم
ولي في الغنى سهمٌ اذا مـــا افدتـــه
وللدفع عن احسابهـــا منـــه اسهم
ويمنعني كيـــد العدو احتقـــاره
وكيـــد المداجي عفتي والتـــكرم

الى ان يقول :

تقولين عقبى الصبر حـــلو مذاقهـــا
ومـــا هي الا مـــرة الطعم علقم
الصبر ، امـــا شاكيـــا متعتبـــا
الى شـــامت ، او باكيـــا اتظلم
سارحلهـــا (٣) امـــا لداعي منيـــة
واما لعز ، حوضـــه لا يُهـــدم !!

نعم .. انه سيشد رحل مطيته اما لداعي منية يدعوه..او يعود الى بلده عزيز الجانب موفور الكرامة!! وفي قصيدة اخرى نراه يخاطب نفسه ويدعوها الـــى نبذ الخنوع والاستسلام ، وهي قصيدة طويلة اسلوبها سهل ممتنع ، والمعاني فيها جميلة تثير اعجاب القارىء .. فالشاعر في كل تجاربه الشعرية يعبر عن معاناة نفسية حادة ، وحساسية مفرطة تجاه قسوة الحياة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واليك بعض ابيات هذه القصيدة حيث يقول :

خليـــاني من وطـــاء ووســـاد
لا ارى النوم عـــلى شوك القتـــاد
واتركاني من اباطيـــل المنـــى
فهو بحر ليس يروى منـــه صـــادي
انمـــا تدرك غـــايات المنـــى
بمســـير او طعـــان او جـــلاد

ثم يتساءل بحزن وكآبة قائلا :

من نصيري من زمـــان فاســـد
جعل الامر الى اهـــل الفســـاد
كنت قبـــل اليوم ابـــكي بشجىً
هـــمَّ نفسي وطريفي وتـــلادي
ثم قـــد اصبحت ابـــكي بأسىً
شجوَ اخواني ورهطي وبـــلادي
زوبعتٌ في جوهـــا عاصفـــة
ذاتُ اعصـــار تضاهي ريحَ عـــاد
مـــا نجـــا من نارهـــا غيرُ امرىء
عـــاذ منهـــا بمضلٍ غير هـــادى
تركت عاليَهـــا .. سافلهـــا
والرَّعـــان القود نعـــلاً للوهـــاد

الى ان يقول متحسرا في سخرية مرة :

يا لقومي مـــن أراكم حسنـــاً
بيعَنـــا بالبخس في سوق الكســـاد
آه واشقواه .. اربـــاب العـــلى
هلك المجـــد الى يوم التنـــاد
يا بُغـــاثَ الطير .. طيري وانظري
هَرَبَ الاجدل من كلب الجـــراد !!
وارتعي يـــا بَقَرَ الحرث فقـــد
ظفر الضيّون بالاســـد الـــورّاد

ثم يقول معبرا في عفوية ممتازة عن يأسه وقنوطه :

طبت يـــا موت وان شئت فـــزر
ليس عيشٌ الـــذل يومـــا من مرادي
قبـــح الله حيـــاة .. قرنت
بشقـــا الضيم واشمـــات الاعـــادي
غـــيرُ مُخطٍ لـــو تمنيتُ الـــردى
دولـــة الاوبـــاش من سقم الفؤاد
كم تقاضاني المعـــالي عزمـــة
يهتف الشـــادي بها في كل نـــاد
فـــاذا رمت نهوضـــا قعـــدت
بي امور انا منهـــا في جهـــاد
قلـــةَ المـــال وكُثْرٌ في العـــدا
وابن عم رأيـــهُ غيرُ الســـداد

غير ان الشاعر يستيقظ من دوامة يأسه وقنوطه، فيثور في كبرياء وانفة قائلا :

يـــا جفوني طلقي عنـــك الكرى
انمـــا طيب الكرى بعد السهـــاد
احـــذار الموت ابقى هكـــذا
لا ومجرى المـــاء رزقـــا للعبـــاد
ان تـــرى شخصي لامر ساكنـــا
فلعمري .. ان قلبـــي في طـــراد
رب ذي هـــم تـــراه مطرقـــا
وهو في اطراقـــه حَيَّـــةُ وادي
فارمِ بي مـــا شئت واعـــلم انني
ليثُ غـــابٍ، وشهابٌ ذو اتقـــاد
لست بالترعيـــة الغـــمر ، ولا
واهنَ العزم ، ولا كابي الزنـــاد
منصبي في المجـــد اعـــلى منصب
وعمـــادي في العـــلى ، اعـــلى عماد
لا يَطيبُ العزّ مـــا لم تجنـــه
بالِلدانِ السّمرِ والبيض الحِـــدَاد

وبعد .. هذه لوحة شعرية ، او مقتطفات من شعر شاعرنا ابن مقرب .. اما نقد ومقارنة اعماله الشعرية ومعرفة الجوانب الخفية من حياة هذا الشاعر المغمور ، والقاء الاضواء على الاحوال السياسية والاجتماعية في وطنه حينذاك ، وبحث الاسباب التي ادت الى تشرده ونزوحه عنه لجملته متشائما في نفسه ثائرا على اخلاقيات مجتمعه ، فاحسب انها تصلح لان تكون مادة لدراسة ادبية واسعة تسد نقصا في المكتبة العربية عن الحياة الادبية في منطقته التي كان يعيش فيها في القرن السادس الهجري ..

قد يكون هناك الكثيرون ممن قرأ شعره واعجب به .. غير ان حظ شعره من الانتشار ضئيل جدا ، لا يتناسب مع مكانته كشاعر ممتاز .. واعتقد ان دولة الكويت ، لما لها من جهود مشكورة في احياء التراث العربي ، تستطيع ان تقوم بمثل هذه الخطوة ، اي بدراسة شعره وحياته الخاصة — وطبع ديوانه — ليكون في متناول القارىء في العالم العربي . ذلك لان اعماله الشعرية جديرة بالعناية .. كما ان الشاعر قريب موطنا ونسبا من الشعب الكويتي .. واحسب ان **جامعة الكويت ورابطة الادباء في الكويت** لن تدخرا وسعا في بذل مثل هذا المجهود ..

١ — هجر : مدينة الاحساء حاليا . ٢ — الخط : مدينة القطيف حاليا . ٣ — اي ساضع الرحل على ناقتي .

دراسات في الادب المعاصر

بريد السباعي

جولة سريعة في أدبه ..

يقلم
عبد العزيز الدسوقي



عبد العزيز الدسوقي

- ولد عام ١٩٢٥ في قرية من قرى المنوفية بمصر .
- تعلم في الازهر ومعهد الدراسات العربية العالية وتخرج فيهما.
- حصل على ماجستير في الادب العربي المعاصر .
- عام ١٩٥١ ، اشتغل مدرسا بالمدارس المصرية . ثم نقل الى العمل في الصحافة والنشر في الحكومة .
- اشترك في الحركة الوطنية قبل الثورة، وحارب الفساد والرجعية والطغيان .
- الف في مجالات ثلاثة : المجال التاريخي ، والمجال القومي ، والمجال الادبي .
- من كتبه التاريخية :

١ ــ البطل الثائر (احمدعرابي) ١٩٤٧
٢ ــ الحركات الجديدة ١٩٥٢

- ومن مؤلفاته القومية :

٢ ــ الامة العربيةوجيشها الموحد١٩٥٦
٤ ــ فجر العرب ١٩٥٨
٥ ــ الكيان العربي ١٩٦١

- ومن مؤلفاته الادبية :

٦ ــ جماعة ابولو واثرها في الشعر الحديث ١٩٦٠.
٧ ــ احمد زكي ابو شادي ١٩٦١
٨ ــ تاريخ النقد العربي الحديث ١٩٦٨ تحت الطبع

- وعبد العزيز الدسوقي .. ناقد وشاعر.. وله ديوانان مخطوطان هما :

١ ــ شاطىء العمر .
٢ــ من سفح الحياة .

منذ عشرين عاما بدأ ضابط شاب يرتاد آفاق التجربة الفنية والادبية ، واختار القالب القصصي يبثه ابداعه الفني ، ويصب فيه تجربته ويودعه ما يدور في نفسه من اهواء وهواجس وما يحتدم في قلبه من آمال واحلام .

وقد رأيته مرة او مرتين حوالي عام ١٩٤٨ وهو يدخل دار«مسامرات الجيب » (١) يرتدي حلته العسكرية وتتلألأ على كتفه ثلاث نجوم لامعة حسبتها ذهبية لشدة تألقها . وقد كان شابا وسيما مشرق الوجه منتصب القامة مسرع الخطو ، يحمل في يده مظروفا صغيراويندفع كالصاروخ الى حجرة رئيس التحرير ، وما كنت اظن ان هذا الضابط الوسيم يمكن انيكون قصاصا . ولست ادري لماذا تكوّن عندي هذا الانطباع السريع الظالم ،



ولكنني اعترف انني كونت حكما سريعا في فن يوسف السباعي من خلال هذا الانطباع السريع واكتفيت بذلك ولم اقرأ له شيئا ولكنني ظللت اغمز ادبه وفنه في المقالات التي كنت اكتبها — حينذاك — في الصحف والمجلات ، او في الاحاديث التي كنت اجريها مع بعض كبار الادباء ولحسن حظي ان يوسف السباعي لم يكن يقرأ هذه المقالات ، وتلك الاحاديث ، والا لما بقيت على قيد الحياة حتى الان . فقد علمت انه الف جمعية سرية لقتل النقاد ، وهي غير جمعيته الشهيرة « لقتل الزوجات » .

ذكرت هذا التاريخ — لا لاندم على خطايا شبابي المبكر ولكن — لاؤكد ان معظم النقاد الذين تناولوا فن يوسف السباعي بعد ذلك وصلوا الى احكامهم من خلال انطباع شخصي مثل انطباعي ، مع فارق بسيط : هو انني كنت يائسا وهم نقاد « دارسون مثقفون ..»

وقد اتيح لي — فيما بعد — ان اعيش في نتاج الاستاذ يوسف السباعي كله ، واقرأه قراءة درس واستيعاب ، فهالتني اشياء كثيرة وقفت عليها وانا ادرس تجاربه الفنية المبشرة بالثورة .

لقد كنت اعتقد ان يوسف السباعي ، لا يمكن ان يصور في فنه الا التجارب الوجدانية واهواء القلب ونزوات العاطفة ، ولكنني اكتشفت انه منذ وقت مبكر يمتلك رؤية ثورية محددة ، وعجبت وهو الضابط في الجيش، وقد كان الجيش قبل الثورة بعيدا عن هذه الاهتمامات ، عجبت ان يبشر بالثورة ، وان يصف حياة الناس البسطاء المطحونين بين براثن الفقر والاذلال ، ويحضهم من خلال ابداعه الفني ، على الثورة .

ارض النفاق منشور ثوري

وتكاد تكون روايته الطويلة «ارض النفاق » منشورا ثوريا ، او مشروعا للثورة . وقد صدرت هذه الرواية في عام ١٩٤٩ وتمكن — خلال الظلام والفساد والتعفن التي كانت تعيش في ظلالها البلاد — من ان ينتقد هذه الاوضاع الظالمة انتقادا مريرا ، وان يسخر منها ويبشر بالثورة عليها .. انتقد الفساد السياسي والظلم الاجتماعي وصور كيف كانت تدار البلاد ، وتمكن بعينه اللاقطة ان يلمح فساد العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة حينذاك ، على انه في نقداته الاجتماعية والسياسية كان يملك دائما روح السخرية مما يضفي على نقداته لطفا وخفة وعمقا فلقد كان يحول اعظم المآسي الى مشهد ضاحك يثير الفكاهة والسخرية ، ولكنها سخرية تفيض بالاسى وفكاهة تفيض بالدموع !..

صحيح انه توصل الى هذه النقدات الساخرة الذكية من خلال حيلة فنية بارعة ، ولكنه في نهاية القصة اعترف

بانه كان يستهدف النقد الاجتماعي ، ويبشر — حقا — بالثـــورة على الاوضاع الفاسدة التي وصلت اليها البلاد .. يقول :

« هذه (٢) قصة النفاق والمنافقين وارض النفاق ، قصة قد يكون فيها بعض الشطط وبعض الخيال ولقـد كنت انوي ان اختمها كما يختم كتـاب القصة عادة قصصهم الخيالية عـلى انها حلم ، وعلى اني فتحت عيني فوجدت نفسي راقدا على الاريكة في الدار ولكن يخيل الي ان ما بهـا من حقائق قد طغى على ما بها من خيال حتى بت اربأ بها — وهي صيحـة خالصة منطلقة من اعماق صدري — ان تكون مجرد حلم ، فاعذروني اذا ما ختمتها عند هذا الحد واعذروني اذا ما ادعيت انها حقيقة واقعة ، وان خاتمتها امنية تجيش في صدري» .

ولقد تحققت بالفعل امنية يوسف السباعي التي تمناها عندما قـامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ واحدثت اكبر تحول في تاريخ العرب الحديث ،وعلى ضوء احداث هذا التاريخ يمكن ان نقول ان هذه الكلمات التي سجلهـا يوسف السباعي في ارض النفاق لم تكن مجرد امنية تجيش في صـــدره وتحتدم في وجدانه ولكنها رؤيـــة ضابط شاب يعيش في جيش كانت تحتدم فيه تيارات الثورة كالميـــاه الجوفية ولكنه على اي حال تمكن من ان يعكسها من خلال شكل فني جميل سماه « ارض النفاق » .

فنيـــة الرواية ...

ولكن ما هي هذه الحيلة الفنيـــة التي اتخذها يوسف السباعي — في ارض النفاق — ليتوصل من خلالها الى النقد الاجتماعي والسياسي ؟ لقد حدد نقطة روايته — بعيد الظهر — على حد تعبيره وقد انتهى بطل الرواية من تناول وجبة دسمة (٣) شـــهية عمادها الارانب والملوخية واركانهـا ورق العنب المحشو وطبق من الدمعة ... وحواشيها كميـــة لا بأس من سلطة الطحينة والخيار المخلل ... وخاتمتها شقة مثلجة من بطيخـــة « شليان بلاك اصلي » .

وكان من الطبيعي بعد هذا الغداء ان يتحول الى انسان « خائر القوى مسترخي الاطراف طريح مكـدود خامل الحس متبلد الذهن فلقـد صرعته الطباق بعد ان افناها وهزمته بعد ان كدسها في بطنـه » ويدو ان المؤلف اختار هذه البداية لانه كان ينوي — والله اعلم بما في نفوس المؤلفين — ان يجعل احداث روايته هذه هاجسا الم به بعد هذه الوجبة الدسمة ، ثم يستيقظ فـــاذا هو في البيت ولكن احداث الرواية — فيما يبدو — قهرت المؤلف ، وطغى الواقع على الخيال ، فضن بها على دنيا الاحلام واختـار حيلة اخرى يصور من خلالها هـذه الاحداث ، التي حدثنا في نهاية روايته انها امنية تجيش في صدره وتتحرك في وجدانه .

وان كان من الحق ان نذكـر ان الحيلة التي اختارها اغرب من كل خيال يطوف في عالم الرؤى والاحلام فقد قرر المؤلف ان يخرج بطل الرواية من داره التي تقع في احد اطراف المدينة (٤) « في اول طريق قد تناثرت في بدايته بضعة منازل صغيرة وامتدت على جانبيه اشجار « البانسيانس » التي تتكاثف اوراقها صيفا تكســو هاماتها اكداس من الزهور الحمـر المشتعلة » .

وبعد ان اصبح في الخلاء راي في هذا المكان الموحش المقفـر دكانا غريبا عجيبا يحمل لافتـــة اغرب واعجب « تاجر اخلاق بالجمـــلة والقطاعي » ورأى صاحب الدكان(٥) وقد قبع بين كوم من « الشوالات » المنتفخة وأطرق براسه واســتغرق في صمت عميق .. وهو كهل قد وهن منه العظم ورق الجسد وغطى شيب راسه « بطاقية » بيضاء وتـدلت لحيته الطويلة على صدره .. وبدت عروقه الخضـــر بارزة تحت جلده الابيض الرقيق وغطى جسمه بعباءة سوداء ودس قدميه في « مركوب » احمر . هذا الرجـــل يملأ دكانه بمساحيق تملأ الجوالات كالعطـارة التي تجدها في محال العطارين ولكنها كما يقول « اخـلاق » « تضحية » « مروءة » « اخلاص » شـــهامة ، شجاعة ، صبر ، الى اخر قـــائمة الاخلاق ثم نعرف من حوار يدور بين الرجل وبين بطل قصة ارض النفاق ان الذي يريد شيئا من هذه المساحيق يمكنه ان يأخذ منها مثلا : ثلاثة ايـام شجاعة،او مروءة او تضحية، ما عليه الا ان يشرب الكمية التي يعطيها له الرجل مع بعض المـاء ليتحول الى رجل شجاع او ذي مروءة وتضحية. وقد اخذ بطل رواية ارض النفـاق جرعة من مسحوق الشجاعة تجعله شجاعا لمدة عشرة ايام ، وقد حذره الرجل من مغبة هذا العمل الا انـه توكل على الله واخذ المسحوق وتحول بالفعل الى رجل شجاع وانطلق في الحياة العامة والخاصة يقول رايه في شجاعة واقدام .

وبهذه الحيـــلة تمكن يوسف السباعي من ان ينتقد في شـــجاعة وقسوة الاوضـــاع السياسـية والاجتماعية والاخلاقيـة التي كانت سائدة في مجتمعنا قبل ثورة يوليـو ١٩٥٢ وتمكن في وضوح ان يدعو الى الثورة ويبشر بها ولا اريد ان اقول ان يوسف السباعي حول رواية ارض النفاق الى مقالات نائرة عابسة تدعو الى الثورة وتبشر بها ولكن الحق ان هذه الرواية تضم صفحات فنيـــة مشرقة تدل عـــلى وعي فني عميق وتتجلى فيها دقة الوصف وتعـكس روح السخرية التي يتميز بها المؤلف ، كمـا ذكرنا آنفـا .

على ان بطل الروايـــة تحمل من شجاعة يوم واحد شيئا كثيرا يبعث الاسى ويثير الاشفاق ، وقد صوره لنا المؤلف على طريقته السـاخرة وهو « راقد (٦) بلا حراك وارم العـين مشجوج الراس تعـــارك في اربع وعشرين ساعة مع حماته ومع سائق

الاوتوبيس ومع باشجاويش القسم ومع رجل يضرب امراته ثم قبض عليه بتهمة الصهيونية واعتدى على رئيسه بالاهانة والسب وتقدم الى الوزير بمشروع كانت نتيجته ان طلب الكشف على قواه العقلية ثم تعارك مع بعض الرعاع فأكل منهم علقة لم يذق مثلها في حياته » ولكن في هذه الرحلة التي ذاق خلالها الامرين تمكن من ان يعطينا ثروة ضخمة من النقدات الاجتماعية الساخرة الذكية .

وبعد رحلة الشجاعة هذه يتحول البطل الى مسحوق اخر، مسحوق المروءة ويبدأ رحلة جديدة يرى فيها الاهوال التي شهدها في الرحلة الاولى ، ونستمتع نحن بجو فني ساحر ساخر ونحظى بعدة نقدات ذكية للمجتمع وظروفه السياسية والاجتماعية .

مشروع للثورة

وتقودنا هذه الرحلة الثانية الى رحلة اخيرة في ارض النفاق وهي الرحلة التي تمكن فيها بطل الرواية من ان يستولي على كيس به مسحوق الاخلاق المركز الذي تكفي بضع ذرات منه لأن تحول اي انسان الى احسن الاخلاق مدى الحياة وهو «يكفي لو صب في نهر لأن يجعل البشر كلهم على خير خلق يكفي لابادة ما في الارض من نفاق وغش وخداع ورياء وجبن ولؤم ودناءة وسفالة ، يكفي لأن يجعل ارضنا ارضا نموذجية » (٧) ومن الحق ان نؤكد ان فكرة جعل الارض نموذجية كانت تسيطر على المؤلف طوال هذه الرواية وتلح عليه بل لعلها كانت رؤية للمؤلف وموقفا اجتماعيا حدده لنفسه لتغيير الحياة ، ولهذا فاننا اعتقد ان بطل الرواية وهو يسرق كيس الاخلاق المركز ويلوث به النهر ويحدث انقلابا كبيرا في الاخلاق ، كان يرمز لفكرة كبيرة تعيش في وجدان الضابط يوسف السباعي وهي فكرة الثورة ولهذا فمن الممكن ان نقرر ان رواية ارض النفاق كانت مشروعا للثورة .

المقامة الثورية ..

وتشبه رواية ارض النفاق المقامة في الادب العربي القديم او على الاقل تسبح في الجو الذي كانت تسبح فيه الروايات الحديثة التي نسجت على منوال المقامة العربية من امثال « حديث عيسى بن هشام » لمحمد المويلحي ، وليالي سطيح لحافظ ابراهيم .. ويمكن ان نطلق عليها المقامة الثورية ، فهي تستعير من تكنيك المقامة تلك المقدمة الخيالية او الحيلة الفنية التي لجأ اليها هؤلاء الرواد لنقد الواقع وتصوير الحياة التي يعيشون في ظلالها . وكما بدأت رواية حديث عيسى بن هشام من خلال حلم في صحراء الامام بين القبور والرجام ، ولقاء بين الباشا وعيسى ابن هشام ، تمكن خلاله محمد المويلحي من وصف ما عليه الناس في مختلف طبقاتهم من النقائص التي يتعين اجتنابها والفضائل التي يجب التزامها على حد تعبير المويلحي في المقدمة .

وكما بدأت « ليالي سطيح » في ظلال الاهرام حيث التقى احد ابناء النيل بسطيح وتكرر بينهما هذا اللقاء في سفح الاهرام مع رجل اخر ، واجرى حافظ على لسانهم نقدات كثيرة للمجتمع وما يسوده من عادات وتقاليد فاسدة وخرافات وهاجم الامتيازات الاجنبية وتناول قضية السفور والحجاب وحياة او دالنوادي وغيرها من الموضوعات التي استطاع حافظ ان ينتقدها من خلال هذا القالب كذلك بدأت رواية ارض النفاق في الخلاء بعيدا عن العمران حيث التقى بطل ارض النفاق بالكهل القابع في دكانه يتاجر في الاخلاق بالجملة والقطاعي وتناول منه مسحوقا حوله مرة الى شجاع ومرة الى رجل ذي مروءة وبذلك استطاع يوسف السباعي — كما استطاع هؤلاء الرواة — ان ينتقد المجتمع ويبشر بالثورة عليه ويمكن ان نلمح في ارض النفاق بعض القصور الفني — كما نجد ايضا في هذه المقامات — مثل عدم نمو الاحداث وتطورها تطورا طبيعيا او بعض الاستطرادات الكثيرة في وصف الفساد الاجتماعي ، او للاستشهاد بالاشعار والحكم والامثال كما صنع حافظ في روايته .. الا انني اعترف ان ارض النفاق شدتني بعمق فعشت في احداثها ثلاث ليال ، استعيد خلالها جو الاحداث التي عاصرتها ، وأشهد لقد استمتعت كثيرا متعة فنية ملأتني غبطة روحية ورضا ، وحسب الفنان هذا.

وفي يقيني ان هذه بداية مشرقة لفنان اصيل ، وان كانت نائب عزرائيل التي صدرت في عام ١٩٤٧ تعتبر اول رواية ليوسف السباعي ، ولكنني اعتقد ان ارض النفاق هي البداية الحقيقية ليوسف السباعي ، حيث اكتملت فيها مقوماته الفنية وقدرته الابداعية وتجلت فيها رؤيته الثورية، وهذه العناصر جميعا تجعل منها — كما قلت — بداية حقيقية اصيلة.

على ان هناك اثرا اخر من بواكير نتاج **يوسف السباعي ، يحدد قدرته** على تصور حياة الشعب العادية ويتناول نفوس هؤلاء البسطاء الذين يعيشون في احط المستويات ويدرك بحدسه الفني العميق ، ما وراء هذه الحيوات التعيسة المطحونة من اصالة وطيبة وسمو ، وسنلبث عنده قليلا لانه هو الاخر ، يصور جانبا من جوانب تجربة يوسف السباعي الفنية المتعددة الزوايا والجوانب .

(التتمة في العدد القادم)

(١) مجلة اسبوعية مصورة كان يصدرها الاستاذ عمر عبد العزيز امين في الاربعينات من هذا القرن ، وعلى صفحاتها بدأ الاستاذ يوسف السباعي ينشر اقاصيصه بطريقة منتظمة .

(٢) يوسف السباعي — ارض النفاق ٤٨٧

(٣) المصدر السابق ص ١٤

(٥) المصدر السابق ص ١٦

(٦) المصدر السابق ص ١٥٠

(٧) المصدر السابق ص ٣٢١

بقلم : محمد المهيني

■ نحن وعلم النفس



«الحش» كلمة كويتية الاستعمال، بمعنى (الغيبة) وهي احد المظاهر التي تدل على وجود مرض نفسي لدى من يقوم بهذه العملية .

والحش يأخذ صفات كثيرة ومتعددة تبعا لتأصل المرض النفسي في الانسان، فهناك الحش « الصادق والكاذب » ومنه « الهزلي والجدي » وبعضه الواضح والغامض ، وبعض يسرد على شكل شفقة على الغير ، واخر كحقد .

وايا كانت الصفة التي يتخذها الحش فهو بلا جدال ، يدل على وجود نوع من الامراض النفسية التي اصيب بها هذا الشخص ، وغالبا ما يكون الشعور بالنقص هو الذي يدفع صاحبه للقيام بهذا الاسلوب لكي يعوض مافقده حتى يحظى بمركز اجتماعي مرموق يكون له الدرع الواقي مما يعانيه من انخفاض بمنزلته الاجتماعية ..

الدافع للحش :

هناك دوافع متعددة للحش . وعلى نوعية هذا الدافع يتحدد نوع الحش ايضا . ومن اهم الدوافع :

اولا : دافع حب الظهور ،
ثانيا : دافع التنفيس ،
ثالثا : دافع التعويض ،
رابعا : دافع المشاركة والانتماء .

وجميع هذه الدوافع توضح ان الشخص الذي يزاول هذه العملية مصاب بامراض نفسية.

فالدافع الاول ، اي حب الظهور، يبرهن على ان هذا الشخص يريد ان يظهر امام الآخرين بمظهر يشرفه، وهو لا يدرك انه في هذه الحالة يحط من قيمته الاجتماعية ، على عكس ما يصبو اليه ، اذ يتصور ان كشفه لعيوب الغير او خلقها دليل على العلم والمعرفة ، فلذلك يباهي بهذه الحقائق وسردها ، مع ان الواقع عكس ذلك تماما ، لان ما يعبر به الانسان وما يخوض به من احاديث هو لا شك دليل قاطع على مستواه الفكري . وهذا الاسلوب احط المواضيع اطلاقا.

واما الدافع الثاني ، وهو التنفيس، فهو يشير الى ان الفرد يعاني من المصاعب والآلام النفسية ، ويعجز معها ان يعبر عن نفسه باسلوب واضح مباشر ، لذلك يلجأ الى نوع من الاسقاط او يحاول ان يتعرض الى تجريح غيره والتشهير بهم ويبعده قليلا عن مصدر الآلام ويتناسى مرارة ما يعانيه من صراع نفسي ، فقد نلاحظ بعض الاشخاص وقد بدت عليهم الفرحة والانبساط اثر مشاركة اعضاء المجموعة الى سرد اقاويله ، واخباره وتعليقاته ، وهو بذلك يحاول ان ينفس عما يختلج بنفسه ..

ثالثا : دافع التعويض : وهو محاولة الفرد ان يعوض ما فقده نتيجة لعدم كفاءته الشخصية في اي مجال كان، وعندما يقوم بهذا الاسلوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يكون عوضا له واسترجاعا لهذه المكانة ، كما انه قد يزاول التبرير باسلوب غير مباشر ، كما يحاول ان يوضح للسامعين انه اكثر كفاءة مما يبدو عليه .

رابعا : دافع المشاركة او الانتماء:

وهنا يكون الفرد مشدودا الى هذه الجماعة فهو لا يحاول ان يكون سلبيا، بل يريد ان يشارك بأي صورة كانت ، ونظرا لانه لا يستطيع ان يساهم المساهمة الفعالة لضحالة فكره وضيق ادراكه ، يلجأ الى هذا الاسلوب الذي يعتبره وسيلة للوصول الى مركز يشار اليه بالبنان كلما شوهد مشاركا ومساهما في جزء كبير من نقاش المجموعة .

ولا يقتصر الموضوع على هذه الدوافع ، ولكنها الدوافع الابرز وضوحا . وهي في الواقع متداخلة بعضها ببعض ، فقد تكون جميع هذه الدوافع موجودة لدى الشخص او بعضها او احدها ، كما ان هناك دافع الانتقام او الحسد او الغيرة والكراهية ...

الجو الملائم للحشد :

قبل التحدث عن انسب الاجواء للحشد ، يجب ان نفرق بين نوعين رئيسيين للحشد ، احدهما متأصل بالفرد حيث اننا نراه يزاوله في اي مكان وعند اي جماعة كانت ، بصرف النظر عما اذا كانت هذه المجموعة تحبذ مثل هذا الاسلوب او تمقته .. والنوع الاخر هو ذلك الذي تحث عليه جماعة معينة وهو غير متأصل بالفرد، ويقوم به بدافع من هذه المجموعة حيث انه لا يريد الخروج عن الاطار الذي رسمته هذه الجماعة ، ولكي يحظى بأكبر قسط من الاحترام والتقدير في هذه المجموعة .. ومن هنا نرى بان هذين النوعين مختلفان اختلافا كبيرا ، ولذلك كان من الضروري ان نؤكد على ان هذا الاختلاف يرجع بالدرجة الاولى الى نوع المرض النفسي الذي اصيب به هذا الشخص، فالاول يرجع الى وجود امراض نفسية متعددة بالفرد كالوسواس والقلق ..

واما النوع الثاني فمرجعه الى الضعف العام بحيث يكون معه الفرد سريع التأثر بالايحاء ، ومن هنا يكون الجو المناسب للنوع الاول هو اي جماعة كانت وفي اي مكان ويفضل ان تكون من الجماعات الصغيرة ..

اما النوع الثاني : فيقتصر على الجماعات التي قامت بينها الالفة وعرف افرادها بعضهم البعض معرفة جيدة بالاضافة الى وجود الفراغ والضحالة الفكرية وضيق افق الثقافة، اذ يكون هذا الاسلوب متنفسا عما تعانيه هذه الجماعة من انحطاط في المستوى الفكري العام . ولهذا نرى بان هذه الجماعة غالبا ما تتأرجح بين اقتراب وابتعاد عن مزاولة هذا الاسلوب تبعا للتشكيلة التي تتكون منها المجموعة ، ففي كل تشكيلة معينة من الافراد يكون هناك مستوى معين من الحشد اي ان هذا الاسلوب يتغير تبعا لنوع التشكيلة .

انواع الحشد :

هناك انواع كثيرة من الحشد ، ونوع الحشد يشير الى درجة من الثقافة والوعي ، فالحشد الذي يبرز على شكل اظهار للعيوب ومحاولة الضحك والاستهزاء يختلف في مدلوله عن ذلك الذي يحاول ابراز العيوب والحسنات بشكل متكافىء ، وبمقارنتها لاظهار اي النسب تتفوق على الاخرى ، وهذا بدوره يختلف عن ذلك الذي يحاول ان يتقصى الحقائق سواء كانت تمس اشخاصا موجودين او غائبين ، واما اخطر الانواع فهو الذي يحاول به صاحبه ان يبرز عيوب الغير ولكن يبرزها على شكل شفقة واستعطاف ، وانه لا يريد الا الاصلاح والنصح ، فلذلك يظهر كل عيوب ومساوىء الآخرين وهو يتستر بقناع مزيف . وخطر هذا النوع ان اكثر الافراد يستميلهم هذا الاسلوب اكثر من غيره فيصدقون كل ما يقوله ويرويه هذا الشخص « المصاب بمرض الحشد » .

كما ان هناك نوعا من المحتوى نفسه ، اي ان الحشد قد يتعرض الى الاشخاص او يتطرق الى الافكار او يناقش اوضاعا معينة ، وبعضها يناقش جماعة كبيرة كالتعرض الى الحشد في نظام الحكومة او سياسة الدولة .

علاج الحشد :

مما لا شك فيه ان للحشد مضار اجتماعية خطيرة ومع هذا فهو لا يخلو من وجود بعض الفوائد متى استعمل بشكل منظم على صورة نقد ومقارنة ومرونة ونقاش بموضوعية ، فلهذا يجدر بنا ان نلجأ الى علاج التدرج في الاقلاع عن هذا الاسلوب ، حيث اننا نستطيع توجيه وتغيير مجراه بيننا بحيث تكون مزاولته من النوع الذي يستفيد منه المجتمع . وانجح وسيلة لعلاجه هي التزود بالقوة والارادة وعدم الاكتراث برضى الغير على حساب القيم الاجتماعية بل اننا يجب ان نتحلى بقدر كاف من المنعة والقوة لكي نواجه اي شخص يحاول ان يتعرض في حديثه لشخص اخر ، بل يجب كذلك ان نشعره بان هذا الاسلوب غير مجد ويجب ان نصارحه بذلك حتى يستطيع ان يصلح عيوبه .

كما ان طرح مسائل حيوية للمناقشة لا يفسح المجال لمن اصيبوا بهذا الداء مع انهم سيتقززون من هذه المواضيع في البداية الا انهم مع التكرار سيشعرون بالراحة والاستلطان لهذه المواضيع ، وقد يساهمون مساهمة فعالة كما يقلعون عن عاداتهم الضارة. وهذا لا يعني اننا بكل بساطة نستطيع محاربة هذا الاسلوب ، ولكننا قادرون بالمثابرة والصمود ان نخفف من حدة هذه العادة الضارة حتى نصل في النهاية الى مستوى من الثقافة والادراك يساعدنا على مكافحة جميع العادات الضارة ، لا هذه العادة فحسب .

الكويت : — **محمد المهيني**



في ذكرى أديب مجدّد

أكثر من عام قد مرّ على افتقاد

رئيف خوري



بقلم :
عبد اللطيف شرارة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان لبنان ، في حضور رئيف ، اغنى روحا ، واوفر ادبا ، وانضر وجها ، واحفل بمعاني الحياة ، وطلاوات الرقة والشعور ! اما وقد غاب ذلك النجم عن سماء لبنان ، وخبا ضياء النادي ، وتعطل الروض من تصداح ذلك الهزار ، فان ظلا من الوحشة يمتد على هذه الربوع ، ويعروها من الاسى ما لا يجدي معه نحيب ، ولا ينجع فيه شيء حتى .. الصمت !

وما عسانا نقول في ذكرى اديب مثل رئيف ، وهو الذي كان الى عام خلا ملء الاسماع ، وريحانة النفوس ، وكوكبا يستضاء به في حومة الظلمات ؟!

هناك عزاء واحد ، هو ان رئيف قضى ايامه على اديم هذه الفانية ، هاديا ومربيا ، ومرشدا ، ومناضلا يقارع الجهل في كل ارض ، ويخوض معركة الحرية في كل ميدان ، ويقاوم القبح والبشاعة في كل سلوك ، ويعمل على انتصار المبادىء الشريفة ، والاخلاق النبيلة ، ما وجد الى هذا العمل سبيلا . وهكذا .. لم تمض ساعة من ساعات عمره الا وقضاها في تزويق خيال مونق ، او بيان فكرة جليلة ، او دفاع عن حق مهتضم ، او تحفز لاعطاء جديد . وحين قضى نحبه ، لم يصدق احد من عارفيه ، ان رئيف توارى .. مرة واحدة ، والى الابد !

ذلك بان رئيف عاش في حياة لبنان الادبية ، اعصارا من نشاط ، ودفقا من انتاج ، وسيلا لا ينقطع من مواهب تعددت وتنوعت واتخذت لها مسارب في كل منحى وزاوية ، تبث الوعي ، وتنشد الصلاح ، وتناشد غيرها



الاصلاح ، وتدعو الى الخير والوئام .

وكان رئيف الى ذلك ، مجددا ، يصدر في تجديده ، عن اصالة عربية لا يرقى اليها ادنى ظل من ريب ، ولا يخالطها شيء من الزيف او الاصطناع، ثم لا تتعثر في سيرها المذاهب صعدا نحو اهدافها الرفيعة ، بشيء من الرعونة او العصبية او الاضطراب، اذ كان في عروبته مثال الانسانية ، وكان في انسانيته مثال العروبة ! اما حسه الوطني اللبناني ، فكان هو الاساس في سلامة عروبته ، وصحة انسانيته .

ولد رئيف عام ١٩١٣ ، اي قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى بعام ، وما كاد ينتصف هذا القرن ، حتى تجمع لديه نحو من عشرين مؤلفا بين منظوم ومنثور . وهذه الغزارة في العطاء المبكر ، تشير الى حياة داخل الذات ، على جانب عظيم من القوة، والعافية ، وسلامة الفطرة ، لا سيما ان « محتوى » آثاره الادبية الاولى، ينم هو نفسه عن تطلعات سامية ، واتجاه مستقيم وصحيح .

وكان اول ما نشر من انتاجه دراسات وقصص مسرحية . الاولى مثل : « حقوق الانسان ، » و « امريء القيس » و « هل يخفى القمر ؟ » عن ابن ابي ربيعة ، و « معالم الوعي القومي» و « الفكر العربي الحديث ».

والثانية مثل : « ثورة بيدبا » و « صحون ملونة » و «حبة الرمان»، وكان كل همه في هذه المؤلفات الاولى، منصرفا — كما هو واضح حتى من عناوينها — الى تجديد الحياة الفكرية في لبنان ، ومنه ينطلق الى سائر اقطار العرب .

ولكن انسانا ما لا يسعى في تجديد شيء ما ، الا اذا كان له اعتراض او اكثر على الشيء الذي يسعى في تجديده . فما كانت اعتراضات رئيف على حياة الفكر في ديار العرب ؟

— الواقع ان ديارنا العربية كانت، منذ فجر التاريخ ، وفي طفولة الحضارة البشرية ، مهد فكرة « الحق » ، ومنطلق انبعاثها في الارض، وهي التي غذتها ، ونمتها ، وكافحت من اجلها حتى اتيح لها ان تسود ، وتصبح دعامة في حياة كل فرد ، وشعب ، ودولة ، على اديم هذا الكوكب . وقد بينت هذه الحقيقة المنسية ، في اكثر من محاضرة ، وكتاب ، ومناقشة ، وندوة ، موضحا جذورها في شريعة حمورابي وكلية الحقوق في بيروت عهد الرومان ، ومؤسسات التشريع الاسلامي في المشرق والمغرب على السواء .

ولكن طغيان قوات الظلام في العصور الوسطى ، ونشوء فلسفات مستمدة من الحياة الوثنية الاولى في كل من اثينا وروما ، وتعلق الغرب الحديث بتلك الفلسفات ، وتقليد الشرقيين لهذا الغرب في اصطناع تلك الفلسفات الوثنية ، كل ذلك انسى هذه الديار ، فكرة الحق ، وجعلها « تغيب » او « تتلهى » عنها .

كان ذلك في حياة الجماعات ، في حياة الجماهير العربية ، وظل هناك « افراد » يأبون اللهو ، ويرفضون النسيان ، لم يخل منهم بلد عربي ،على مدى الاحقاب ، وفي جميع الحالات، ورغم المتاعب والصعوبات .

وجاء رئيف ، بعد خليل مطران ، شاعر الاقطار العربية ، يذكر هؤلاء العرب «الناسين» بافكارهم السالفة، ويعبر لهم عنها باسلوب جديد ، وينفخ فيها روحا جديدة استقاها ، بطبيعة الحال ، من عصره ، بنسبة ما كانت تنبثق من اصالته العربية ، وتطلعاته الفطرية .

وحقيقة الامر ان رئيف من صنع اثنين : ابن المقفع اولا ، وخليل مطران من بعد .

الاول هداه الى تراثه العربي ، وزينه له فيما وضع وترجم وجاهد ، والثاني ايقظه على واقعه ، وقدم له « المثل الحي » على الشاعر العربي ، والمثقف العربي ، والمكافح الانساني الذي يقاوم الاستبداد ويرعى الحقوق.

والناظر في مؤلفات رئيف يجد ان ثقافته في الذروة من السعة ، ولا يعوزها عمق او تناسب ، وكان يزيد في سعتها وعمقها وتناسبها ، ان رئيف عاش ايامه في مراس التعليم ،والتنقل بين مختلف البلدان العربية،والاجنبية، فكان واقعيا ، في ادبه ، يتحدث عما يعرف ، ويروي ما جرب ، دون ان تطغى عليه نزعة او يحد من نشاطه قيد ، اللهم سوى نزعة الحق ، والتقيد بما يمليه الضمير ، والشرف العربي !

هذا انسان فقده لبنان ، فحق له ان يحتفل بذكراه ، وحق للعرب ان يشاركوا لبنان في احتفاله بها . .

عبد اللطيف شراره

السخرية في الأدب



بقلم
خليل شرف الدين

مظاهر الاضحاك في الادب كثيرة كما ان غايات هذه المظاهر مختلفة . ذلك لان الضحك عنصر هام من عناصر تكويننا . فالحياة — المأساة حافز كبير على تفجير هذا العنصر من اجل تخفيف وطأة الالم المرير الذي يلف جميع جوانبنا منذ جئنا مرغمين الى ان نذهب كارهين .

والادب الساخر هو افضل نموذج تعبيري عن نزعة الانسان الملحة نحو الهروب من جدية المأساة او الهزء بها او تخفيفها . بل لعل الادب الساخر كان اول ما عبر به الادباء الاوائل الذين شهدوا مولد المأساة ووعوها ووقفوا على مدى تفاهتها واحسوا بكآبة الانسان في موقفه منها وديمومة حيرته معها . فكانت الروح الادبية الساخرة اول دعامة من دعائم النقد في الاداب العالمية وكذلك في الادب العربي قديمه وحديثه .

ومن الادباء من سلم بالامر الواقع وتناسى عبثية الحياة وراح يلتمس جوانب الجمال فيها او الخير او الحق فوجد من الناس من يشوهون هذه القيم عامدين او غير عامدين . ورأى منهم من يزيد على بشاعة الحياة بشاعة اخرى من شكله او نطقه او تصرفه فكان الهجاء الاول معبرا عن تلك النقمة المزدوجة الكامنة في اعماق الاديب الناقد : نقمته على الحياة ونقمته على من يشوهها من الاحياء . كما كانت في الادب العالمي — اليوناني خاصة والاوروبي عامة — سبب ولادة الملهاة . ونحن نعلم ان ملهاة الاغريق قد قامت في الاساس لتؤدي هذا الدور المزدوج .. التخفيف من جدية الحياة بالتهريج ثم بالنقد اللاذع الموجه اي الهجاء الفني الاخلاقي — في مواسم اعياد باخوس ومارس نشأت التراجيديا وفي مواسم الترفيه بعد ذلك نشأت الكوميديا — .

وكثيرون هم الادباء والشعراء العالميون الذين بشروا بمثل هذا الادب الضاحك فجعلوه عقيدة لهم ومنطلقا . قال فرانسوا رابليه ..

« ان قلبي لن يختار موضوعا اخر لاني ارى الحداد هو الذي يسيرنا ويتأكل نفوسنا . وخير للمرء ان يكتب بضحكاته بدلا من ان يكتب بدموعه . فالضحك هو الذي يميز الانسان » .

ومن يقرأ ازهار الشر لبودلير يتحسس اي روح انسانية ثائرة على تفاهة الحياة والاحياء وعبثية الوجود ورعونة القيم وحقارة الوحش في الانسان وضراوة الشهوة للدماء في صميم ذلك الوحش .. كل ذلك في جراة وصرامة مغلفتين بروح ساخرة لم تعد تبعث على الضحك بقدر ما اصبحت تبعث على الاشفاق بل القرف ..

وهذا هو الجانب الاسمى والاعمق من جوانب غريزة الضحك الساخر في الانسان تلك التي يتألق معها وجدان الشاعر فتتكشف امامه حقائق الاشياء ومفارقاتها العجيبة فينقلب عنده

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الضحك منها الى قهقهة ساخرة او ساخطة والم مكثر وتجريح عنيف .. كذلك فعل الخيام امام الحياة والاحياء خاصة المتصوفة منهم . وكذلك فعل بودلير واناتول فرانس وبرنارد شو الذين يعتبرون من فلاسفة السخرية في العصر الحديث .

وهناك نوع من الضحك الخفيف او « الضحك الابيض » كما يسمونه تثيره مفارقات سطحية لا ضرر منها . كسماعنا لنكتة بارعة او رؤيتنا لرجل هرم يتصابى او دميم يدعي الوسامة او بليد يحشر نفسه في ما لا يعنيه يهزئه الناس فلا يرتدع او انسان ابله يتحرش بالمارة فيضربونه فلا يرعوي او لعله يأنس بذلك ..

قال جورج كورتلين ..

« ما من شيء يضحك وينعش مثل رؤية شخص تميز بالازعاج المشفوع بالبلاهة يكبكب تحت سيل من لطمات سعى جاهدا اليها »

ولوصف هذه المفارقات ومثيلاتها نشأت صناعة الملهاة التهريجية او الفارس (FARCE) في ادب غيرنا اما في ادبنا فقد نشأ الهجاء الساخر الكاريكاتوري الذي ينظر الى تلك المفارقات باعين ملفوزة وروح دعابية قارصة متخذا منها مادة دسمة لريشته نجد ذلك بكثرة عند طرفة والحطيئة والجاحظ وابن الرومي . — اما الهجاء المقذع الفاحش المليء بالسباب والشتائم والقذف الاخلاقي فليس من فن الدعابة في شيء كما نرى —

ومن هنا كانت قيمة مثل هذا الادب الضاحك بوجهيه الساخر والهازل .. لا لانه يرفه وينعش ويخفف عنا جدية الحياة وتزمتها فحسب بل لانه يهدف الى اصلاح العيوب عن طريق التشهير باصحابها او التدقيق في وضعها وتجسيدها .

اما بواعثه في دنيا الناس فاكثر من ان تعد ... يلاحظ الناقد الفرنسي « جورج ميريديث » في كتابه — دراسة حول الملهاة — ان هذا الادب المتميز بالحكمة والدعابة الخبيثة يكثر :

« كلما اصبح الناس غير متزنين ومتصنعين مدعين منافقين ، او متبجحين بما يعلمون . وكلما خدعوا انفسهم او اندفعوا على غير هدى او تكالبوا في تأليه ما احبوا او انتهوا الى غرور تافه ، وكلما تبنوا المستحيلات وخططوا دونما تقدير وتامروا بجنون ونادوا بآراء لا يؤمنون بها وهتكوا حرمة العادات النبيلة او كلما اهانوا العقل السليم والعدالة وتظاهروا بخفض جناح الذل ، وكلما تاكلهم البخل والتهافت على المادة ... »

ومهمة هذا الادب هي اولا اثارة الضحك . وهي وان كانت لم تصلح انسانا في يوم من الايام الا ان موليير لا ينكر منافعها العديدة كالتأثير الذي يحدثه الجمع بين الموسيقى والرقص في الملهاة وبين موسيقى الالفاظ وروح النكتة وفن التشويه والنقد في ادب الدعابة الساخر . وها هو موليير يعلن عن وظيفة الادباء الساخرين قائلا بلسانهم :

« نحن الاساة لداء الناس ان مرضوا وان تركنا لهم اهواءهم فسدوا »

ولهذا اعتبر موليير اصحاب صناعة الملهاة الذين الهمو القدرة على اضحاك الناس « من محسني الانسانية واطبائها . »

ثم ألا — يفرحون الناس ويعينونهم على الاحتفاظ باتزانهم ويريحون اعصابهم ويوفرون لهم الهية يعوضون بها عن صرامة الحياة ؟ — على حد تعبير مونتاني .

ولست ارى الجاحظ الا من محسني الانسانية واطبائها هؤلاء حين اجاد مداعبة بخلائه مثيرا فينا عاصفة من الضحك الممزوج بالاشفاق . عاصفة قوامها الفن الدعابي الصحيح والكاريكاتوري السيكولوجي التحليلي العميق .

والجاحظ يوغل اكثر في الابداع والتحليل امام شخصية معقدة تدعي العلم والثقافة هي شخصية احمد ابن عبد الوهاب في رسالة « التربيع والتدوير » اذ يعتمد ابو عثمان في تحليل وتجريح وفضح هذه الشخصية على مبدأ التضاد الذي اكثر منه فاخرج لنا من احمد هنا شخصية عجيبة معقدة لم تعد موضوع هزئنا وسخريتنا بقدر ما اصبحت مثار متعة فنية فينا . استعان الجاحظ على تجسيد معايب تلك الشخصية كما يهوى ، باستعارات ومحسنات لفظية ومعنوية جعلته رائدا في هذا الفن الجديد من الهجاء فنحن لم نعرف بين الكتاب او الشعراء العرب قبل الجاحظ وبعده — ما خلا التوحيدي — من نحا هذا النحو الفني العميق في اخراج نواتيء الشخصية المهجوة بالاسلوب الجدلي المدهش الذي لا يعتمد على القذف والشتم والسباب بل على المنطق والاحتجاج والحوار والمغالطة او ما يقال له السفسطة في الفلسفة ولكنها انقلبت عند الجاحظ سفسطة فنية بارعة ..

وعلى هذا فان سخرية الجاحظ تسمو على ذاك النوع السطحي من السخرية الذي يعتمد من اجل الاضحاك على الحركات الخارجية المصطنعة والاعمال غير المألوفة التي قد تثير فينا قهقهة او كركرة ولكنها لن تثير فينا اي تأمل او اي شعور بالحزن والاشفاق .

لذا تعد سخرية الجاحظ من ارقى واعمق ما توصل اليه الادب العربي في هذا الفن الذي يعتمد على التحليل النفسي حين يهتم بتصوير الحالات النفسية واختلال مقاييس الاشياء عند احد الاشخاص ، موضوع السخرية . فنرى الجاحظ يرافق بخيلا من بخلائه في تناقض سلوكه واضطراب مفاهيمه ثم تأزم احواله الوجدانية وفقا لذلك التناقض وهذا الاضطراب فيظهره للناس مكتئبا مفجوعا وكأنه قد اصيب في صميم كيانه او كأن داهية دهياء قد رمته بما لا يحصى من الارزاء حتى اذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انجلى سبب نكبته ووجدنا ذلك السبب تافها حقيرا انفجرنا ضاحكين ثم ساخرين ثم اسفين ثم متسائلين : اية صلة بين كل هذا الهم المقيم وبين ذلك السبب السخيف ؟ هذا هو سر الفن من السخرية القائمة على المفاجأة المتولدة من غرابة الصلة بين السبب والنتيجة .

تبقى للجاحظ ميزة اخرى من مميزات سخريته وطرافة نوادره وهي انه يبدو دائما رفيقا ببخلائه عطوفا عليهم لا يحقرهم علانية ولا يشمت بهم مباشرة . وان كان ذلك كامنا فوراء ستار شفاف من الفن حيث يتركنا نحن نهزأ منهم ونحقرهم او نرثي لهم عندما نعلم انهم ما كابدوا كل تلك المكابدة وما تعذبوا كل ذلك العذاب الا من اجل امر صغير تافه فرحنا نهمس في قرارة نفوسنا اى نوع حقير من الرجال هو هؤلاء واي نفوس مريضة يحملون ؟ الم يجدوا في الحياة من القيم والمطامح والغايات سوى تلك الكمية من ماء الاغتسال يحتفظون بها فلا تذهب هدرا ؟ وتلك الشعيرة اليابسة العجفاء يحتفظون بوزنها من الفضة فلا يبذرونها تبذيرا ؟

اما فن السخرية عند ابن الرومي فقوامه التشويه الشديد للمنظر الانساني الخارجي توصلا الى تحطيم صاحبه من داخل ثم تركه شلوا بين الاشلاء واضحوكة بين الاضاحيك ، والسر في عملية التشويه هذه هو ان رسامنا المضطرب الريشة لايكتفي بالمراقبة العينية والذهنية المجردة — كما فعل الجاحظ — بل اننا لنرى في صميم مشوهي ابن الرومي نفسه بكل نوازعه ومشاعره . فهو ليس منفصلا عمن يهجوهم او يشوههم او يهزأ منهم بل ان هناك ظلالا من شخصيته وانعكاسات من نفسيته تبرز بوضوح حين نسبراغوار الصورة في صاحب اللحية الطويلة مثلا او في الاحدب او في المغني القبيح الصوت .

ففي الاولى انتقام لنفسه وللحيته الضئيلة المبعثرة (١) . وفي الاحدب ارواء لحسه المتوقد الذي لا يطيق مثل هذه البشاعات . وفي المغني القبيح الصوت ارضاء لثورته الثائرة على كل من يتشدق ويزعج بصراخه وزعاقه ويعكر صفو الغناء الجميل (كغناء وحيد مثلا) .. وما الناس من حوله الا كهذا المغني المزعج او كذلك الاحدب المخيف حتى ذلك العوسج والمشمش المريض (٢) .

هنا يفوق ابن الرومي الجاحظ في مدى المراقبة وشدة التشبث بالصورة. يكتفي الجاحظ في نوادره بعمل الذهن الفكه والعين المجردة وابن الرومي يشرك الحواس كلها في هذه العملية.

ويكادان يتفقان ، (ابن الرومي والجاحظ) في تغليب الفن الساخر الذي يجنح الى الدعابة وروح النكتة والتصوير الهازل اكثر من جنوحه الى التقسيم والتحقير والقذف وطعن الناس في كراماتهم .. ونحن معهما — خاصة الجاحظ — لا نشعر باي روح عدائية كارهة للناس مستعلية عليهم بل نحس بشيء من السخرية الناعمة اللطيفة البارعة في التشويه كل ذلك في جو مرح ناعم تسيطر فيه الخفة والدعابة والضحك وحتى الاحماض .

وهناك انواع اخرى من السخرية ابرزها السخرية الثقيلة المرة كتلك التي نجدها عند المتنبي : الرجل الجدي الصارم الذي لم تكن سخريته — حين سخر — فنا قائما بذاته . لا ولا هواية كما عند الجاحظ وابن الرومي ولا مزاجا . فهو لا يقبل على الهجاء الساخر حين يقبل كفنان اعد عدته واستحضر وسائله من دهن وزيت وماء وصور ومعان معروفة او على الاقل مهيأة في الذهن . لا . لم يكن ابو الطيب مؤهلا لمثل هذا الفن او مستعدا للدعابة حتى ولا للضحك . فكيف به يضحك الاخرين ؟. او يضحك منهم ؟ واذا ما ضحك المتنبي يوما فانما هو ضحك كالبكاء . اليس هو القائل .

وماذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكا
او هو ضحك تكشيري مرعب ..
اذا رأيت نيوب الليث بارزة
فلا تظنن ان الليث يبتسم

ان المتنبي حين يهجو لا يلهو بل يصب جام غضبه وحقده وهزؤه على اشباه الرجال من المتميعين او النصابين او الوصوليين والكذابين لا للتلهي بتشويههم كما فعل ابن الرومي بل للتشفي منهم او على الاصح للتشفي من الزمان بهم .

لهذا نحن لا نجد **فنا هجائيا** عند المتنبي بقدر ما نجد وعاء **للحكمة الذهنية ومتنفسا** للالم والحقد واليأس. ومن هنا يبعد المتنبي عن طريقة الجاحظ وابن الرومي .. فلا رحمة بالمهجو ولا شفقة . ان المهجو في نظره نموذج مأساوي يمثل مأساة الانسانية بأسرها وجور الزمان كله . فهو حين يقذفه بالحمم يقذف الانسانية كلها لينتهي بعد كل هذا القذف الى استثناء نفسه وانسانه الفوقى . واذا كان لهجاء المتنبي وسخريته من قيمة فهي : هذا الصدق الحار في تصوير الواقع المرير عبر التجربة الحية المشبوبة ... وهي : هذه الحكمة البالغة التي تطلقها عفوية الصحو الذهني وثورية الالق الوجداني . فلا تطلب عند المتنبي هجاء مضحكا او سخرية ناعمة بل اطلب هجاء مرا حاقدا ووسيلة للتغني بالقيم بل رثاء لتلك القيم .. وبكلمة .. اطلب المأساة من خلال المهزلة — في سخريته — او المهزلة من خلال المأساة ، لا فرق .. تماما كما ستجد ذلك في سخرية ابي العلاء في الماضين . وولي الدين يكن والمازني والبارودي ومارون عبود في المحدثين .

وبعد ، الم يقل الفرد ده ميسيه : « يا لها من مهازل تلك التي لا نكاد نضحك لها حتى نبكي منها .. »

« وشر البلية ما يضحك .. » كما يقول العرب ؟

(١) ابن الرومي : حياته من شعره للعقاد (٢) شوقي ضيف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سلامة موسى في الميزان



بقلم:

الحسانى حسن عبدالله

الرجل فعل ، او كلمة ، او فعل وكلمة . الرجل الاول فضله منوط بما حقق في حياته من اعمال ، والرجل الثاني فضله منوط بما خلف فكره من آثار ، اما الثالث ففضله اعم وابقى ، هو فضل العمل المثمر والكلمات المثمرة جميعا . ولا تنهض الامم على عواتق هؤلاء الثلاثة فحسب ، فليس كل البشر من ذوي الفضل الراجح البين، انما تنهض الامم على هؤلاء وعلى جمهور كبير تتفاوت قدراته وانكانت دون قدرات هؤلاء . لا نريد ان نشغل بمقارنة بين اثر الفرد العظيم واثر الجمهور فهي مقارنة لا معنى لها اذا اريد بها التهوين من شأن احدهما — وهذا ما يراد بها في الغالب — ، كلاهما لهمكانه فلا تقوم الامةبالعبقرية اذا قعد سائر ابنائها ، ولا تقوم بجماهير لا تعرف الفضل لذوي الفضل وان كان لها داب النمال . واذا كان من دلائل اليقظة في الامة ان تستخرج من الافراد على اختلاف مداركهم كوامن الطاقة فتبلغ بها الى مداها المقدور فان من دلائل اليقظة ايضا ان تستبقى ذكر الجديرين ببقاء الذكر فلا تهبط بالاقدار ولا ترتفع بها الا بحساب دقيق .

ورجال القلم غير القواد والزعماء ، يبقى من هؤلاءجهادهم ويبقى من اولئك ابداعهم . فرجال القلم هم في الغالب قوالون لا فعالون ، اصحاب كتب لا اصحاب مواقف ، ولكن بعضهم — جمال الدين مثلا — نذكره فنذكر جهاده ، الحياة هنا قبل الكتاب ، وبعضهم — كالمازني — نذكره فنذكر مؤلفاته ، الكتاب هنا قبل الحياة ، وبعضهم — كالعقاد — نذكره فنذكر جهاده ومؤلفاته ، الحياة هنا مع الكتاب .

فأين في هؤلاء سلامه موسى ؟

يلزمنا ان نلقي نظرة على حياته اولا ثم نظرة اخرى على مؤلفاته.

عاش سلامه موسى حياة مليئة ازدحمت بالعداوات ، وهذا شأن الرجل الفعال ، ولكنا الان ونحن نرجع البصر الى الماضي لا يعنينا

كثيرا امتلاء تلك الحيـاة بالاحداث والعداوات او الصداقات فقداصبحت تاريخا يروى ، والتاريخ يضم كـل شيء ، انه مخزن كبير يتكوم فيه كل ما تبقيه ذاكرة الايام من البشر . انما يعنينا من تلك الشعلة التي توهجت يوما ان ننظر هل يبقى منها شـعاع للاجيال القادمة ، فهذا البـاقي هو التاريخ الصحيح . يثقل عـلي ان اعرض التفاصيل ، ولن نخسر شيئا من اغفالها فنحن سنقف عندما يستحق الوقوف لان غرضنا من استرجـاع السيرة ان نتبين اللمحات الدالة مهما تكن دلالتها .

ذات يوم وسـلامة موسى فتى يحاول ان يثقف نفسه في لندن جلس على كرسي واطرق طويلا . « كأني انتويت اني لن ابرح هذا الكرسي حتى اصل الى قرار حاسم . ماذا انا عامل في هذه الدنيا ؟ » انه الشعور الذي يراود اصحاب المهمم والنظر العميق « ماذا انا عامل في هذه الدنيا »شعور لا يزال يعمق ويعمق حتى يقضي على صاحبه او يدفع به الى عظائم الامور ولكن فتانا لم يلبث ان انحرف بفكره الى مسار اخر « من هم خصومي الـذين يجب ان اكافحهم ، ومن هم اصدقائي الذين يجب ان اؤيدهم » انها التفاتة مفاجئة من الافق البعيد حيث لا شيء سوى الانا والعالم الى زحام النـاس حيث الانا ضائعة في الزحام وسـط العداوات والصداقات ، والعداوة ترد على ذهن الفتى اولا مما ينبيء عـن استعداد للصراع والتحـدي . « ووجدتني افكر واجيب .. ليس لي مأرب في هذه الدنيا فلست ابالي ان اكون ثريا لا بل لست ابالي ايضا ان تكون لي زوجة واطفال ، وانما قصدي ان افهم ، ان اعرف كل شيء وآكل المعرفة اكلا . » جواب صوفي قرير يعقد اواصر متينة بين الانسـان والوجود ، منه ينطلق المرء في طريق المعرفة الطويل ، انه جواب مر بخاطر كل مفكر بقي من فكره اثر للانسانية ، جواب ينبيء ان فتانا سيكون له اسم يحفظ بين الاسماء ، ولكنه سرعـان ما استدرك بعد هذا الجواب « ثم عدت فقلت ولكن لمـاذا ؟ واجبت لاكافح ، اكافح الانجليز حتى يجـلوا عن وطننا وايضا اكافح تاريخنـا ، اكافح هذا الشرق المتعفن الـذي تنغل فيه ديدان التقاليد ، واكافح هذا الهوان الذي يعيش فيه ابناء وطني: هوان الجـهل وهوان الفقـر . » لم يحتمل الفتى هول تلك اللحظة التي يشعر فيها المرء بوحدته تجاه الكون ، تخلص سريعا ، لم يقنعه ان يسعى الى المعرفة فسأل لماذا ؟ انه هروب ، لا لان المعرفة منزهة عن الغرض وان كانت كذلك عند اصحاب النزعـات الصوفية ، بل لان الجواب اتى سريعا قبل بداية الطريق ، فكان طريق اخر غير طريق الخالدين . هذا الجـواب يدلنا ايضا على جنوح مبكر في مزاج كاتبنا الـى الدعوة ، ان يكون صاحب رسالة وربما قائدا او زعيما . سنجده يحاول بعد الحرب الاولى انشـاء حزب اشتراكي فيخفق ، لقد كانـت الرغبة تراوده ، عبر عنها في كتيبه عن الاشتراكية الصادر سنة ١٩١٣ فقال انه لا يطمع ان يكون مؤلفه نـواة لتأليف حزب ، نفي الرغبة ولكنه نفي يستوي في دلالته على كنون الرغبـة مع الاثبات . هذا فتى طموح يدلنـا ذلك الجواب ايضا على ان همته اكبر من شعوره ، وهكذا عاش سـلامه موسى طوال حياته هماما مقتحما لكنه ليس شاعرا . تكاد تكون مقالته عن اديبتنا «مي» المقالة الشاعرة في كل ما كتب . ذهب يزورها في اخر ايامها وقد اهتز وعيها . فتحت له الباب شاحبة متغضنة ذاوية الجمال فبدر منه — ولم يكن يتوقع ان يلقاها على تلك الحال — ما يدل على انه ظنها غير مي . لقد عاشت مي حقبة من الزمان تستقبل النظرات المفتونـة برضى واغتباط . يقول سلامه انها لم تحتمل سن اليأس على الرغم من انشغالها بالادب . وخرج من عنـدها والا يعصره لما بدر منه فعاد في اليوم التالي مظهرا لها ودا كثيرا وان كان مصطنـ ليكفر عن ذنب لم يقصده . قالت ل شكرا ياستاذ ، وعاوده الالم لان احس فطنتها الى الود المصطنع كأنه تقول له جئت اعتذارا لا عطفا . انها صفحات في رهافتها لا نظير لها عنـد سلامه موسى . مثل هذا المـزاج نتوقع منه عملا ولكن لا نتوقع منـ ادبا ، فالادب العظيم شعر عظيم ول يكن عند سلامه موسى رهـا الشاعر .

كان سلامه موسى ميسور الحال ورث عزبة درت عليه ما هيأ له السفر الى اوروبا على نفقته مرة الى فرنسا ومرة الى انجلترا وما اعانه بعد ذلك على صعوبات العيش ، فسافر معتزما دراسة القانون لينال شهادة فيـ « لم يكن لي من قصد في هذه الدراسـ النظامية سوى الحصول على الشهاد للوجاهة لا للكسب » المعرفـة الا ليست غرضا في ذاتها بل تقصـ للوجاهة . وعاد الشاب الطموح الى وطنه ليجد له مكانا بين قومه . ول تلبث الحرب ان قامت فذهـب الى عزبته يقرأ ويستعد لتزويد قومه بثمر قراءته وليحصل على الوجاهة المرجو وقد فاتته الشهادة او فاتها . تمخضت الحرب عن الثورة وبعد ان هـد اوارها ترك سلامه موسى عزلتـ ليعمل في دار الهلال حتى عام ١٩٢٩ وهنا تندلع بينه وبين الدار حـرب احسب ان سببها الحقيقي غير ظاهر فقد فصلته الدار زاعمة انه ملحـد اباحي هدام وكأنها لم تكن تعلم ذلك طوال عشر سنوات . اما هو فيقول في تسويغ هجومه على اصحاب الهلال بعد الفصل انهم اجانب مستغلون ولا يليق بالمصري التعامل معهم ، وكأنه لم يكن يعلم انهم سوريون طوال عشر سنوات .

ويظهر ان هذا السبب الذي تذرع به سلامة في دعوته المصريـين الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقاطعة المجلات السورية لم يكن من مبادئه الراسخة لانا نراه بعد ذلك ينشر في مجلة « الكاتب المصري » وتطبع له احد كتبه ، وقد كان جمهور الكتاب وبعض جمهور القراء يعلم علم اليقين في ذلك الوقت ان الاموال الصهيونية هي التي انشأت المجلة .

وفي تلك الاثناء قامت حركة وطنية تهدف الى الاستقلال الاقتصادي اثارها حمد الباسل وبعض الزعماء ، ولاقت اهتماما كبيرا في صفوف الامة .دعت الحركة الى الاقبال على المصنوعات المصرية واهمال الاجنبية واسهام المصريين في التجارة حتى تخرج من ايدي الاجانب . تحمس سلامه موسى للحركة كما تحمست لها دار الهلال ، ودعا الى تكوين جمعية سماها « المصري للمصري » لتحقيق الاهداف المنشودة ، وكان في هذه الاثناء يدعو قراء مجلة « المصري » التي يرئس تحريرها الى مقاطعة مجلات السوريين الاجانب فغاظت هذه الدعوة اصحاب الهلال فانبروا له يتهمونه بتطفله على الحركة الاقتصادية الناهضة وادعاء الغيرة على الوطن وعلى القومية المصرية وهو لايهدف الا الى منفعته . قالت « المصور » في العدد ٣٣٩ الصادر في ١٠ ابريل سنة ١٩٣١ « واننا نشعر ان واجبنا الوطني وواجبنا الصحفي يقضيان علينا بالافضاء بما نعلمه عنه فقد خبرنا طباعه وعرفنا كفاءته التمثيلية ومقدرته العظيمة على ابداء خلاف ما يضمر في قرارة نفسه » ونشرت له كلمات توالت في الاعداد التالية يطعن فيها على العرب وروح النظام الاسلامي في الحكم ويدعو فيها الى فرض التفرنج بالقوة ، ثم اتهمته بانه كان دسيسة في الدار يرسل تقريرات عنها الى وزارة الداخلية ، ونشرت صورة زنكوغرافية من خطاب ارسله الى وكيل الداخلية في وزارة محمد محمود باشا في ذلك الوقت بتاريخ ٢٢ اغسطس ١٩٢٩ اي قبل ان يفصل من الهلال اذ تقول المجلة انه فصل في اول اكتوبر من السنة نفسها .

كان محمد محمود اعد مشروع معاهدة مع الانجليز رضي عنها سلامة موسى رضاء عظيما فقد كان يزعجه ان الساسة لم يستطيعوا الاتفاق مع الانجليز يقول « الزعامة السياسية في ايدي اناس ليست فيهم الكفاية للقيام باعبائها ودليل ذلك فشلهم العظيم في عدم الاتفاق مع الانجليز وفي عدم ادراكهم قيمة اتخاذ القبعة . » وفي الخطاب يعرب عن تأييده للمعاهدة المقترحة ويرجو ان تنحاز الطائفة القبطية الى رايه فتعطى اصواتها الى حزب الاحرار الدستوريين وكانت البلاد مقدمة على الانتخابات التي انتهت بتولي صدقي الوزارة . والتهم الواضحة من الخطاب هي خيانة دار الهلال ثم مساومة محمد محمود على اصوات الاقباط ، يسمح لهم بجريدة وينتصرون له بدلا من الوفد، وكان سلامه موسى يظهر الولاء للوفد . وهذا نص الخطاب :

« سلامه موسى ٦٤ شارع الفجالة بالقاهرة
٢٢ اغسطس ١٩٢٩

سيدي بعد التحية .. تعرفون سعادتكم ان عددا كبيرا من الاقباط يلتف حول الوفد ولهذا العدد تاثير كبير في الانتخابات وقبول المعاهدة او رفضها وقد كنت منذ اشهر طلبت الترخيص لي باصدار جريدة يومية باسم « الدنيا » لكي اخدم الحكومة في الدعوة لها بين الاقباط ولكني لم اظفر للان بهذا الترخيص ، والان ومشروع المعاهدة امام الامة اظن انه من مصلحة الوطن ان يكون الاقباط في صف الداعين اليها . واني اعتقد اني على شيء من القيمة الادبية بين الاقباط وانهم يحسنون الظن بي ، ثم اني اعتقد ان مصلحة الامة كلها تقتضي قبول المعاهدة ، ولما كانت البلاد خالية من جريدة قبطية محترمة فانا مستعد لان اقوم بتحرير جريدة يومية او اسبوعية للدعوة لها ، فلو عاونتموني في ذلك لكسبتم الاقباط (وترد هنا في الصورة الزنكوغرافية احرف تدل على حذف كلام كان موصولا ثم يستمر الخطاب) فانا اكتب هذا لسعادتكم وادارة الهلال تهيىء عددا خاصا من « المصور » لسعد زغلول استكتبت فيه عباس العقاد وغيره من كتاب الوفد ، ومثل هذا العمل يتفق مع التجارة ولكنه لايتفق مع الدعوة للحكومة الحاضرة ومشروع المعاهدة لان الاكبار من ذكرى سعد وتخصيص عدد له هو في الحقيقة اكبار من شأن الوفد ودعوة اليه ، والمصور يرخص له بالصدور اسبوعيا مرة واحدة وليس مرتين ، فانا اكرر لسعادتكم اني مستعد للدعوة للمعاهدة فهل لي ان انتظر معاونتكم ؟ — سلامه موسى »

والآن ندع سلامه موسى يرد بنفسه على هذه التهم . يقول في العدد الاول من « الجمهور المصري ٣٠ ابريل سنة ١٩٣١ » الحقيقة اننا كنا قد انفصلنا وتبادلنا الخطابات بشأن ترك التحرير ولم يكن عملنا الا تتميما للمدة الباقية فقط ، وقد رأينا ان التدجيل على القراء باصدار عدد في وسط الاسبوع ليس له من غاية سوى جمع القروش وان في هذا العمل خروجا على ما لهما من حق في اصدار مجلاتهما — يقصد صاحبي الهلال — اما التهمة الثانية فيدفعها بقوله « اما استشهادهما باننا كتبنا في خطاب خاص لاحد زعماء الدستوريين ما يشم منه رائحة النقد للوفد فهذا ما نجيز لانفسنا الرد عليه ، وذلك انه عندما تبادلنا مع ادارة الهلال خطابات الانفصال خطر لنا ان نطلب من حكومة الاحرار الدستوريين رخصة لجريدة سياسية فقال لنا احد زعمائهم ان هذا الترخيص لا تمكن اجابته ما لم نتعهد على انفسنا بان الجريدة لن تكون مع الوفد واننا نعمل لان يكون جمهور الوفديين من الاقباط

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في صف الحكومة ، وبعد محاولات رضينا رغبة في الحصول على الترخيص فقط ان نكتب خطابا خاصا في هذا المعنى . ومع ذلك لم نؤتمن على انشاء جريدة سياسية ولم نستطع استخراج الترخيص لان المتولين امر الصحف عرفوا اننا لن يمكننا ان نسير معهم . واذا كان في هذا العمل من هو جدير باللوم فليس الكاتب الذي يريد ان يتحايل على استصدار رخصة كما يتحايل الآن على الاشتراك مع رجل امي لاصدار جريدته تحت ستاره ، وانما يقع الوم على تلك الحكومات الاستبدادية التي تعطل الدستور وتلجيء الكاتب الى مداورتها والتحايل عليها . » وواصل دفاعه في العدد التالي فقال : « — اننا نؤمن بان مشروع المعاهدة الذي جاء به دولة محمد محمود باشا هو ربح لمصر ، وقد كتبنا مقالا في ذلك الحين في هذا المعنى في جريدة السياسة . اننا نعتقد ان المعاهدة لابد منها لكي نحصر همومنا في درس مسائلنا الداخلية وكل ما نعانيه الآن يرجع الى اننا لم نوقع المعاهدة . اننا حين طلبنا من حكومة محمد محمود الترخيص لنا بانشاء جريدة يومية قبطية لم نقصد بان نخص الجريدة بالاقباط دون سواهم وانما قصدنا ان يكون فيها التفات خاص لاصلاح البطريركية وترقية الكنائس ، ومن مصلحة الامة كلها ان ترقى كنائس الاقباط حتى لا يهجروها الى الكنائس الاجنبية كما يفعلون الآن ، فان المذهبين البروتستنتي والكاثوليكي انتشرا بين الاقباط لانحطاط كنيستنا الارثوذكسية ، وليس هذا في مصلحة الدولة . »

وفي تلك الفترة دخل العقاد السجن بعد سلسلة من المقالات هاجم فيها السلطان فؤاد فأكثر سلامه في مجلاته من الاشادة بفضل العقاد ، ومن ذلك انه كتب قبل زيارة برناردشو القاهرة يقول كيف نتحدث مع برنارد شو عن ادبنا وزعيم هذا الادب في السجن ، كما اكثر من نشر صوره والحديث عن ادبه . قال محمود الشرقاوي صاحب كتاب « سلامه موسى المفكر والانسان » انه فعل ذلك « ليكيد بهذا الحديث وتكراره والالحاح فيه السلطان فؤاد ويهيج بذلك غضبه . » وهو تعليل مؤسف — وان كان صادقا — دلالته ان الرجل يصدر عن الهوى لا عن الراي والعقيدة . تقدمت الحياة بالرجل وقد رمى بنفسه في غمار السياسة لكنه لم يكسب منها شيئا بل شقي شقاء عظيما . انظر الى مرارة الحرمان من النفع في حديث ذكره الشرقاوي في كتابه « لقد كانت ايام الوزارة الوفدية الاخيرة التي ناصرت حزبها سياسيا اكثر ايامي تعاسة وشقاء ومحنة ، وقد رهنت فيها حلى زوجتي . » انه الم المحروم لا الم صاحب المبدا المضطهد . ويسوق الينا الشرقاوي حديثا آخر قال فيه صاحبه انه رجل لا يحسن انتهاز الفرص « ان الوزير الخطير الذي كان يسيطر على سياسة الوفد في السنين الاخيرة عرض عليه ايام وزارة الوفد ١٩٤٣ عرضا مغريا ليكتب في البلاغ مؤيدا وزارة النحاس وكان هو مترددا في ذلك ولكنه يميل الى القبول لاغراء العرض ثم حدث ان ارسل له ذلك الوزير احد اولاد المرحوم عبد القادر حمزه يستحثه ويستعجله وقال هذا الوسيط ليهون الامر : ان الوزير سيمدك بالافكار وانت تكتب فغضب ثم قال محتدا : قل له اني ارفض عرضه ، وارى في هذا الاغراء والتهوين امتهانا لي ، ثم قال : ومن هو هذا الجاهل حتى يمدني بالافكار كأني كاتب عنده او سكرتير له ؟ . » ثم يعلق الشرقاوي قائلا : غضبة مفكر لفكره وكرامته اضاعت عليه مالا كثيرا كان في اشد الحاجة اليه . ومن سياق القصة يفهم انه كان يمكن ان يقبل لولا حماقة الوسيط ، فليست هي غضبة مفكر يستمال لغير رايه ، بل هي غضبة الشعور بالهوان .

تلك لمحة من حياة سلامه موسى تدلنا على انه ليس في تلك الحياة ما يرقى الى ذروة خلقية يبقى اشعاعها يضيء لهذا الجيل او الاجيال المقبلة. فلننظر الآن الى مؤلفاته ، تبينا لطريقة تفكيره ومدى قدرته على التفكير .

تكاد تجمع الكتب التي صدرت عن سلامه موسى وملف « الطليعة الذي نشرته منذ ثلاثة اعوام » على وصفه بالتناقض في الراي ، والحق ان المتناقضات في فكر الرجل تكثر حتى ليعجز المرء ان يلم شعث افكاره في سياق منطقي معقول . فهو يتحمس لفكرة « السبرمان » حتى يدعو الى ترك الفساد يستشري ليقضي على نفسه بنفسه وكأن الفاسد ولد فاسدا وقضي عليه ان يظل فاسدا ، ثم يدعو الى الاشتراكية وهي تعارض بغير شك هذا النحو من التفكير . هذا تفكير مطبوع بسيما الغيبة ، ولقد قضى سلامه عمره يحارب «الغيبيات» تناقض اخر نلمسه بوضوح اكثر حيث يقول في مقدمة «تربية سلامه موسى» ان كلا منا فذ في هذه الدنيا قد كتبت حظوظه او اكثرها قبل ان يولد ان خيرا وان شرا » نذر سلامه جانبا كبيرا من جهده لمحاربة ما سماه « غيبيات » وكان يخشى ان نتوجه بافئدتنا شطر الماضي البعيد بعد ان نفيق من غاشية الاستعمار وبعد ان نحقق العدالة الاجتماعية فصنع كتابه « ما هي النهضة » يحذر فيه من هذه الردة المرتقبة ، يؤكد فيه ان القيم القديمة لا نفع فيها وان النفع كل النفع في العلم والصناعة . وضع المسألة بين طرفين اما واما ، القديم او اطراح القديم ، العلم والصناعة او الجهل والزراعة . وهذا وضع ربما يقبل اذا كان احتمال الردة اقوى . فعنف المنطق وان كان خطأ يسوغه حينئذ الخوف على الامة من خطر محقق ، ولكنه لايقبل والامة كلها تؤمن بقيمة العلم وضرورة النهضة .

البقية في العدد القادم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لماذا الشعر الحديث



بقلم
محمود حنفي كتاب

وجد الانسان على الارض وهو يتوق دائما الى التعبير عن وجدانه.. تمثل ذلك في الاشكال التي وجدت على جدران الكهوف ، والتماثيل الضخمة، والانجازات الهندسية المتمثلة في الاهرامات ، وحدائق بابل المعلقة وغيرها .. وما ان استطاع الانسان ان يكشف اللغة حتى اضحت اعظم الوسائل وانجحها في التعبير عن الانسان ، واصبحت الحياة مجتمعا متكاملا ، وكان لا بد للشعر ان يصدع بالنبوءة ، « واصبح على الانسان الفنان ان يتنبأ للقراء لا ان يخبرهم سلفا بما سيحصل ، ولكن بان يفضي اليهم باسرار قلوبهم رغم ما قد يثيره فيهم من استياء ، ان مهمة الفنان ان يجهر بخبيئة صدره غير ان ما يفصح به لن يكون هو اسراره الخاصة كما تريدنا النظرية الذاتية في الفن ان نؤمن . انما الاسرار التي يجلوها يجب ان تكون اسرار مجتمعه لانه هو المتحدث بلسان ذلك المجتمع ،وما من مجتمع يعرف خبايا قلبه جميعها، ومن ثم فانه في حاجة الى الشاعر . واذا ما قصر مجتمع في هذه المعرفة فانه يخدع نفسه في امر يعد الجهل به صنوا للموت . ان الشاعر لايصف علاجا للشر الناجم عن هذا الجهل ، لانه يكون قد قدم ذلك العلاج على شكل قصيدة ، فالفن هو دواءالمجتمع من شر العقل اعني من تهافت الوعي » (1) .

والانسان الشاعر هو الضمير المتحرك لمجتمعه والشعر هو صورة هذا الضمير .. انه رؤيا متكاملة للعالم يقدم الشاعر من خلاله تصوره للناس وللحياة ، والحياة بدورها تتطور الى التقدم وايضا الشعر .. فحين تتطور الحياة الى الاحسن يتقدم الضمير ويتطور وبالتالي الشعر ، والشعر كرؤيا للعالم لا بد وان يكون معبرا اصدق تعبير عن رؤيا الشاعر للحياة وهنا نكون داخل عالم الحداثة .. فليست الحداثة هي ابتكار وتطور في الشكل ، وانما هي بالدرجة الاولى قدرة على استيعاب العالم المتطور ويتبعها الحداثة في الشكل التعبيري. من هنا كان الشعر الحديث حركة حتمية معبرة بصدق عن وجه الحياة المتطور في العالم .

ان الانسان في حاجة الى ضمير متطور يواكب تطوره المادىوالوجداني والشعر يواكب هذاالتطور ،والحداثة تشمل كل التطور نحو التقدملاستيعاب حركة الانسان . ان انسان عصرنا يعاني .. يعاني الحياة .. يعيشها كواجب ثقيل فرض عليه ولم يكن له الخيار في ان يأتي اليها ، وهويعيشها ويطورها لتوائم احلامه . ان انسان عصرنا يحلم بالجنة ومن ثم يحاول صنعها على الارض ولكنه يفشل في استقطاب ملامحها التي تحدثه عنها كتب التراث المقدسة .. ان السماء في كثير من الاحيان ، تدخلت لتعين الانسان في تصور الجنة . تمثل ذلك فيما ورد في القرآن الكريم ، واعطته الوسيلة للحصول عليها .. لكن الانسان يريد تحقيقها على الارض ، واحد هذه الوسائل التي لجأ اليها الانسان الشعر ، فبالشعر يحاول الانسان تجميع الحياة وجعلها اكثر ملاءمة له،من هنا يعاني الشاعر ، يعاني من الجشع والانانية والانكفاء على الذات .. وهنا المأزق ؟

ان الشعر الحديث.يعني الشعر الجديد الذي يعبر عن الحياة الجديدة التي يحياها العالم ، وليس الشعر الحديث بالضرورة يخلو من الوزن والقافية ، وانما الشعر الحديث رؤيا جديدة لقيم جديدة تسيطر على حياتنا الآن،ان ضرورة الشعر الحديث تنبع اساسا من حاجاتنا الى التقدم ، وما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان نتقدم حتى نتقدم كل وسائل التعبير وأهمها هنا كان الشعر الحديث .

ان انسان عصرنا يختلف عن انسان العصور السالفة . كانت الحياة في الماضي سهلة يسيرة ، ولم يكن المجتمع قد تطور الى مجتمع صناعي معقد .. كان الاقطاع بظله التاريخي الداكن ، وقبله كانت الحياة ابسط ... من هنا كان الشعر بسيطا وغير متضمنا فكرا معقدا . كانت هناك القبيلة الصغيرة والمجتمع الزراعي البسيط الخاضع لحكم الفرد .. اما الان فهناك الحضارة بكل تعقيداتها . ان انسان عصرنا يعيش عصرا ذهبيا ، فالحضارة يسرت حياته المادية ، وعقدت حياته النفسية ولم يعد الانسان يحمل على كاهله عبء البحث عن رزقه .. الدولة الان تتكفل بذلك عن طريق التدريب والحصول على صلاحيات العمل ومن ثم الطعام والمسكن والملبس ، ان انسان عصرنا يحمل على كاهله عبء البحث عن الذات المفقودة .. ان انسان عصرنا يصرخ ويقول انا ، والعالم بتقدمه التكنيكي يرفض الانا ويفرض النحن . وبعد ان كان الانسان يصيح فخورا بانه موجود لانه يفكر ، اصبح الان ينوح على نهايته ، ويعيش اللحظة بالطول والعرض قبل تدهمه النهاية، ويترتب على ذلك تميز التعبير الفني بالانكفاء على الذات ، والانطواء داخل الانا بحثا عن شيء يجعله يقاوم النحن ولكنه يفاجأ بان الداخل مشكل تماما كما الخارج ، والجميع يصرخون نحن .. نحن .. نحن

ونتيجة لذلك اصبح الشعر تعبيرا عن مأزق انسان العصر ولم تعد حركة الشعر الحديث تشمل وطنا بعينه وانما اصبحت تشمل الدنيا باكملها ، ولم يعد الشكل هو المشكل، وانما اصبحت المشكلة : هل يعبر الفن عن الانسان ؟ واستطيع ان اقرر ان الشعر الحديث نجح الى حد بعيد في التعبير بحق عن انسان عصرنا نتيجة لاستيعابه مأزق الانسان في الوجود .؟

وليس الشعر الحديث ثورة على العروض فحسب وانما هو ثورة في الايديولوجية الشعرية التي ترتبط اساسا بارهاصات الثورة الوطنية ، والثورة الاجتماعية والصراع المرير الذي تخوضه ضد كل انواع القهر.. ان الشعر الحديث بثورته على الوزن والقافية لا يقول بانه لا موجب لهما وانما يقول بضرورة خلق تراث وقيم جديدة ، فبعد ان كانت القصيدة تعتمد — اساسا — على الموسيقى المنبعثة من الالفاظ .. اصبحت القصيدة الحديثة تعتمد على الموسيقى الهادئة الحنونة الشاملة التي تتسرب اليك ولا تصك آذانك .. ان الشعر المقفى ادى دوره في حدود الامكانات التي كانت متاحة له في المجتمعات التاريخية السابقة والتي كانت بجموديتها تتيح له الانحباس وراء هذين القيدين .. اما الان والعالم باكمله ينفتح للتطور لم يعد الوزن والقافية تلك الضرورة التي كان يستلزمها القدماء .. اصبح الشعر الان رؤيا للعالم وليس تعبيرا عن تراث وتقاليد .. انه الان يقوم بدور المستكشف في الاعماق ، كذلك فان الشعر الحديث يعتبر ثورة في الايديولوجية الشعرية .. فلقد كانت الايديولوجية الشعرية القديمة تنحصر بصفة اساسية في الهجاء والرثاء والمدح والقدح والبكاء على الزمن ، وكان ذلك بتأثير التجمد الطويل للحياة في المجتمعات الراكدة .. اما الان فالايديولوجية الشعرية تتجاوز كل ذلك وتعبر عن الواقع الحياتي للانسان والدنيا الخاصة بالشاعر ، وعن الاعماق المجهولة لتطلعاته ، عن اثبات الانا والتعبير عن التشابك الفكري لتراث الشعوب ، وهذه الايديولوجية الجديدة ترتبط اساسا بارهاصات الثورة الوطنية والاجتماعية .. فعصرنا هو عصر تحرير الشعوب من الاستعمار ولا شك انه حين يتحرر شعب من الشعوب فانه يكون في امس الحاجة الى تغيير كل شيء ليعيد صنع الحياة على ارضه وفق قيم جديدة وهذا يترتب عليه ثورة في كل اشكال التعبير الفني وبخاصة الشعر الذي يستجيب بسرعة الى كل تبدل، وما ان تتوطد اركان الدولة الجديدة المتحررة من الاستعمار حتى تنشب الثورة الاجتماعية نتيجة لمطالبة المقهورين والذين طال حرمانهم بحقهم في الحياة وتصبح التبدلات الاجتماعية حتمية ، وتكون الاشكال الفنية تعبيرا عن قوى اجتماعية جديدة تعيش الحياة ويكون الشعر معبرا اصدق تعبير عن هذه التبدلات، ولا يمكن للشعر بوصفه انجح الوسائل التعبيرية عن الانسان ان يعبر عن كل ذلك وهو محتجز وراء الجدارين العتيقين : الوزن والقافية!

ان الشاعر القديم حين حبس شعره في داخل الجدارين العتيقين فقد الكثير ،فقد شعرنا صفته العالمية، واصبحت تجربته الشعرية ضحلة من جراء تهافته على ان تكون قصائده محبوسة داخل الجدارين ، وادى ذلك الى انبعاج التجربة الشعرية القديمة، حيث ان التجربة الشعرية تعتمد اول ما تعتمد على استيعاب العالم ككل واسقاطه على العالم الصغير الخاص بالشاعر .. اما الشاعر الحديث فهو يعيش الحياة ، ويساهم في تطورها، ويستوعب كل الانجازات الحضارية ، ويعبر عن تأزمه . والحياة تتسع له فهي كلها عالمه !

« ان العالم الذي يخلو من الشعر هو بحق عالم بلا حقيقة بلا عدالة بلا حرية » فالشعر تعبير عن حقيقة الوجود الانساني ، وهو ايضا يحقق عدالة الصرخة ويمحق الانا في التواجد والتمييز ، وهو يعبر عن الحرية التي يجب ان تسيطر على قدر الانسان في ان يختار شكل الوجود الذي يريده.. من هنا كان اعذب الشعر اصدقه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لماذا الشعر الحديث ؟

واصبحت حكاية اعذب الشعر اكذبه غير ذات موضوع !

« ويثور سؤال : كيف ننظر الى حركة الشعر العربي الحديث من ناحيتي الشكل والمضمون ؟ والى اي حد تعتبر هذه الحركة قد اثبتت حضورها ومن هم الذين يمثلونها حاليا في كافة البلاد العربية ؟ وتكون الاجابة :

« ان الشعر العربي الحديث هو اعظم انجازات الجيل الادبي الراهن، وهو قائد الحركة الادبية العربية كلها ولعلني من الذين لا يتعسفون مع العمل الادبي ويقسمونه الى شكل ومضمون، فربما كانت بعض العناصر التي نعدها في العرف التقليدي من مواد الشكل هي في التحقيق الفني من مواد المضمون . اقول ذلك درءا للشبهة القائلة بان الشعر الحديث انما هو حديث بشكله ، فهذا الشعر ثورة شاملة من الظلم ان نقصرها على الجوانب الشكلية ، هو ثورة حقيقية على عالم الشاعر القديم ، ورؤيا جديدة لعالم جديد وقد انعكست هذه الرؤيا على ادوات التعبير فجددت فيها من ناحية البناء الموسيقى فلم يعد الشعر العربي يعتمد على ركائز مصطنعة من القافية .. بل راح يتخذ التفعيلة الواحدة مصطلحا شعريا وفي احوال كثيرة تحرر حتى من وحدة التفعيلة وكذلك اتخذ من المناخ الاسطوري هيكلا موضوعيا للقصيدة التي تخللتها المونولجات الداخلية والحوار والصور القريبة من اليوتوبيا والاحلام .. هذه كلها احدثت ثورة حقيقية في الابداع الشعري العربي الذي تفتح على مضامين انسانية رحبة لا تتعارض مع مشكلاتنا المحلية بل تمدها بابعاد جديدة غنية .

« اننى اتمثل حركة الشعر الحديث في اروع نماذجها عند بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي في العراق وعلي احمد سعيد (ادونيس) وخليل حاوي في لبنان وصلاح عبد الصبور واحمد عبد المعطي حجازي في مصر . ولكن جيلا جديدا اكثر شبابا من هؤلاء يأخذ اهبته لاحتلال مركز الصدارة من ابرز ابنائه الشاعر الفلسطيني محمود درويش والشاعر المصري محمد عفيفي مطر » (٢) .

ـ القاهرة ـ محمود حنفي كساب

١ ـ ر. ج كولينجوود من كتاب « الشعر » تأليف لويزبوجان ترجمة : سلمى الخضراء الجيوسي دار الثقافة ـ بيروت .

٢ ـ غالي شكري ملحق جريدة الانوار اللبنانية العدد ٢٦٨٧ .

صدر حديثاً

كتاب

"خليل الفرج"

حياته وأدبه

تأليف

خالد سعود الزيد



رحلة في وجوه الساخرين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



شعر
محمد احمد العرب

- ١ -

أرحْتُ حقائبي .. وارتحْتُ .. في خَدَرٍ مَسَائيِّ
وكانت أذرع الأحبـاب للأحبـاب تسْتدْني
وتزرعُ في مدار الصمْت لهْثاً غير مرْئيِّ
سواعدهم .. مناديلٌ .. تُودّع ألْف منديل ..
بإصرارٍ طفـوليِّ
وحين تكسّرتْ خلْف الزجاج معابر الرُّؤْيه ..
وراءَ مَدًى خُرافيِّ ..
تَهدَّلَ في العيون الصمتُ .. شلاّلاً من الأَحزان والفرحِ
يُريح شتاءه العاري على أَمَل لقائيِّ .

— ٢ —

تُرى .. من منكُمُ يا رُفْقةَ السّفرِ ..
يُسافر في اتجاه الرّيح لا يعْدو الى الخلْفِ ؟
تُرى من منكمُ مثلى يسافر وهو في الكهفِ ؟
ويغفو ملءَ عينيْه على دوامـة الخوْفِ ..
بـلا خـوْف ؟
عرفتم مـن أكون أنا ؟
أنا يا رُفْقتي شاعـر ..
يرى في غيْهب الظلمات كيف تَهيّؤُ الخاطر
ويُحْسنُ أن يرى الأعماق عاريةً بلا أثواب
أنا الملاّح يا رفقاء في بحرٍ بلا شاطيء
مجاديفي .. ذراعا ساحرٍ مجنون
وأشْرعتي ستائرُ مشْرق ناتيء
فمن منكمْ يريد الآن أن أروي له سرّه ؟

— ٣ —

— : صغيرتيَ الجميلةُ .. بَعْضَ ما تُبدين من مرح
فنصْلُ الخنْجر المسموم يلْمع في ابتساماتكْ ..
وتصحو فيكِ عينـاهُ
أكادُ أراكِ عاريةً كما قد كنت بالأمس ..
يُخَدِّدُ مِخْلَبُ الشيطـان في نهديْك ملْهاهُ
يُخدِّدُ فيـكِ ملْهـاهُ ..
تجاويفـاً .. تجاويفـا ..
فتـاتي .. أنت مكْتئبـه ..
وضِحكُكِ عـاد تزْييفـا
فهـل أرجوكِ .. هل أرجوكِ بعض الصمت ؟
— : أسيِّدتي التي تلْتفُّ في منظارهـا الأسْود ..
وتُغرق رأسهـا في أنْهر الصُّحُفِ ..
لو انحسر الزمـانُ فعُدْتِ فاكهةً ربيعيّهْ
وأنثى .. طفلةً .. تنهار في دوّامة التَّرف ..
لأحْجَمَتِ الثواني أن تمرَّ بعُمْركِ اللاهي ..
وكنْت قَضَيْت مـن زمن !!
— : وأنْتَ .. وأنْتِ ..
يا همْساً يذوبُ جبْهـة اللحظـاتْ
لو انفتحَتْ تُخُوم الرؤيـة البيضاء للأعين
لقـام الثلْجُ بينكما جداراً يصفـع الكلمـاتْ
حروفُكَ تأكل الأبعـاد في نَزَقٍ إلى اخرى
هي الأخرى تُغازل وجْه من تهْواهُ في عينيك دون حيـاء
فقُومـا .. فالحروفُ خَواء !!

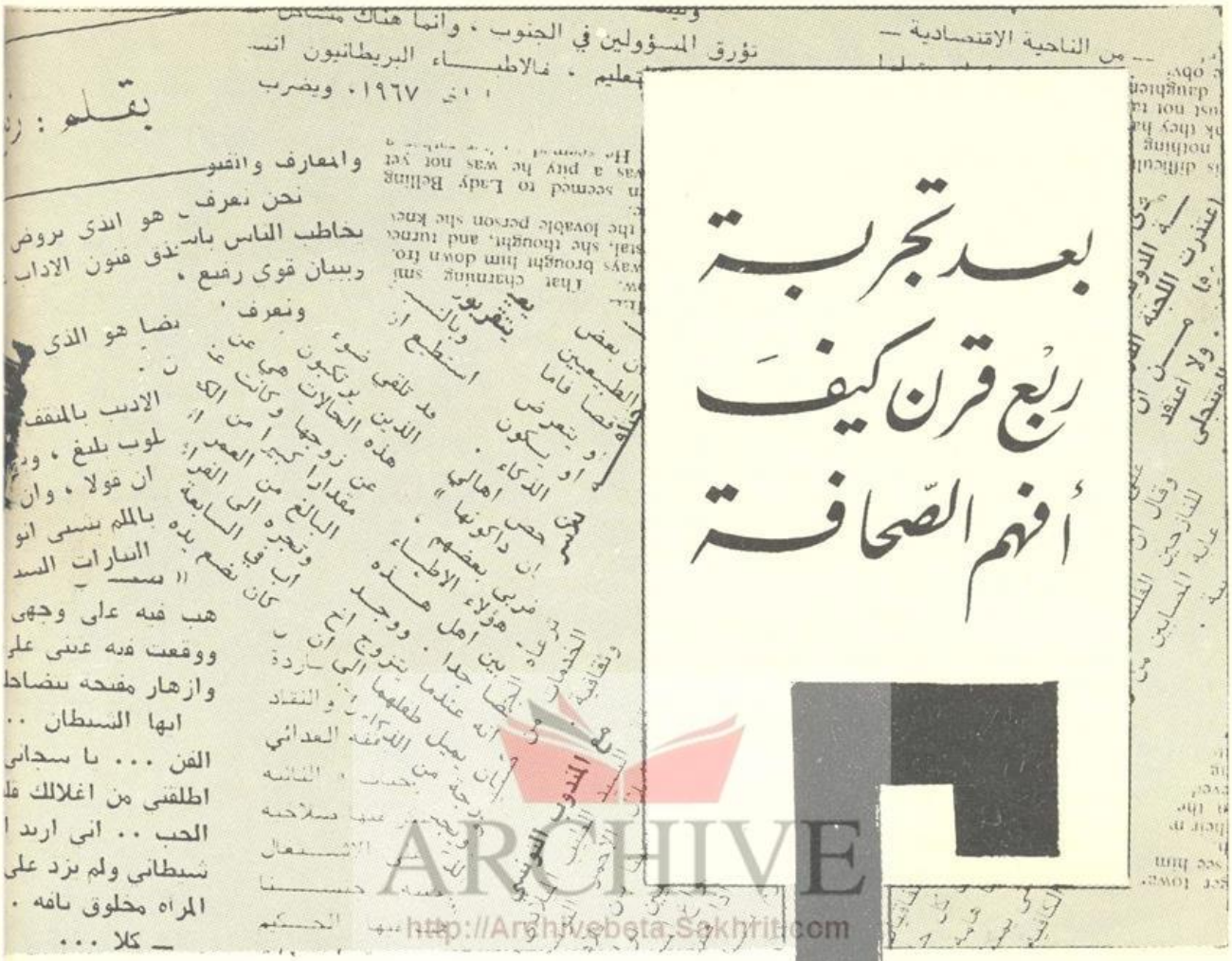
— ٤ —

عيونُ الجمـع تحْدِجُني .. وتُضْنيني ..
تعريني .. تعريني ..
تُرى .. هـل بينهم شاعر ..
يجدّف مثل ما جدَّفْتُ خلْف النبْض والخاطر
فيرميـني ..
وراء الصخرة العميـاء مصلوباً .. وعريانا ..
فلا يبقى لذاتي غير أن تنْهار كالدمْعه ..
على أقْدام طوفـان الجموع الهادر المجنون
فأصْبح .. لا أنا شمعـه ..
ولا غبَش مسائي يداري أدْمع المحزون
ولكنْ قطْرةٌ تبْتلُّ بالنهر الذي يجري ؟؟؟

— ٥ —

أريح حقائبي .. وأريح رأسي من دوار الفكر
ويكفي أنني سافرْتُ ألْف مسافة عَدْواً ..
على صَهوات هـذا الشِّعْر
فما عادتْ خُيُولُ الرِّحلة الرَّبْدَاءِ بالأسْلاب ..
ولا عـادتْ ببعض السِّرّْ
نهـايةُ هـذه الرحلـة ..
شعارٌ بالغُ الحكْمه :
« أريح حقائبي .. وأريح رأسي من دوار الفكْر »!!!

القاهرة : محمد أحمد العزب



بعد تجربة ربع قرن كيف أفهم الصحافة

بقلم

عبد الغني العطري

منذ ايام،ضمني مجلس فيه ثلاثةمن الشبان ، الذين يعشقون الصحافة، ويحلمون بان يكون لهم فيها ذات يوم اثر ملموس ، وشأن مرموق .

التف الاصدقاء الشباب حولي ، واخذوا يجاذبونني اطراف الحديث ، في الادب والشعر والمجتمع ، وانتقلنا بعد ذلك الى الحديث عن الصحافة ، وبادرني احد الشبان الجالسين ،بهذا السؤال : —

— هل يمكن لك ان تحدثنا عنرايك بالصحافة بصورة عامة ؟

— رأيي فيها يتلخص بكلمتين : انها مهنة البحث عن المتاعب ، او كما سماها اخرون : « المهنة السوداء ».

قال :



وكيف اطلقوا عليها لقب (صاحبة الجلالة الرابعة) ، اشارة الى انها السلطة الرابعة في البلاد ؟

فتبسمت ، وقلت في شيء من السخرية والالم :

— انها كذلك .. ولكن لدى من اطلق عليها هذا اللقب ! اما في شرقنا العربي فانها مهنة البحث عن المتاعب فحسب !..

وساد مجلسنا شيء من الوجوم ، وشعرت بخيبة امل اولئك الشبان الذين اغراهم بريق الصحافة واضواؤها الخلابة ، والاسماء التي تتألق على صفحاتها ، ويتحدث عنها الناس طويلا في المجتمعات والاندية.

وقطع احدهم هذا الصمت حين قال :

— نريد ان تحدد لنا مفهومك للصحافة :

هل هي رسالة ، ام هواية ، ام مهنة يعيش منها صاحبها ؟

وهنا تذكرت انه سبق لي ان تحدثت في الاذاعة والتلفزيون حول هذا الموضوع اكثر من مرة . وراق لي السؤال فقلت لهم :

— اريد ان استأذنكم بطرح هذا السؤال على كل منكم ، على ان اعطيكم رايي في النهاية ، فاجابوا معا :

— موافقون !

وطرحت السؤال على الاول فقال:

— ان الصحافة هوايتي التي احلم في الليل والنهار بمزاولتها ، واطمع ان اكون ذات يوم نجما بارزا من نجومها ، يتألق اسمي على صفحاتها، وانشر المقالات التوجيهية في السياسة والادب على صفحاتها . وانا اؤمن بان الصحافة هواية مثل سائر الهوايات .

وحين طرحت السؤال على الثاني اجاب :

— انا يا سيدي اعتقد ان الصحافة رسالة وطنية ، فهي ليست هواية وليست مهنة انها رسالة نؤديها لوطننا العربي ، نرفع على صفحاتها صوت بلادنا ، ونذود عن حقنا الصريح ، وكذلك نعمل على رفع مستوى الشعب ، ونثقفه .. اما كونها مهنة يقصد منها التجارة والربح، فهذا خطأ كبير، لانه لايجوز المتاجرة بقضايا الوطن . وتبسمت لتطرف الزميل « الشاب » ، والتفت الى الثالث اساله :

— وانت ايها العزيز ، ما هو رايك بالسؤال ؟ فاجاب :

— اما انا فاعتقد ان زميلي الاثنين مخطئان كل الخطأ ، لان الصحافة مهنة وتجارة مثل سائر المهن . يطبع الصحفي جريدته او مجلته ، ويشتري من الكتاب والمحررين مقالاتهم وتحقيقاتهم ، ويبيعها للقراء ، بعد ان يستعين بالاعلانات التجارية على سداد نفقاته الكثيرة ، ويحتفظ لنفسه بالباقي . اما الوطن والوطنية ، فلا علاقة لها بموضوع تجاري صرف .

ومرة اخرى تبسمت وصمتُّ .

وتطلع الاخوة الشبان الي بانتظار رايي . ولقد دهشوا اشد الدهشة حين قلت لهم :

— هل تريدون رأيي الصريح بما قلتم ؟

فقالوا بلهفة : — نعم !

قلت :

— انكم جميعا مخطئون ، وجميعا مصيبون في آن واحد ! ..

قالوا بدهشة : وكيف ذلك ؟

قلت :

لان اولكم يعتقد ان الصحافة هواية فحسب ، والثاني يرى انها رسالة وطنية لا اكثر والثالث يؤمن بانها تجارة ، لا علاقة لها بالوطن ! والواقع الذي لا ريب فيه انها مزيج من الثلاثة ..

فالصحفي لا بد له من توفر الهواية .. بل لا بد له من عشق الصحافة والهيام بها ، والتضحية في سبيلها .

فهي من هذه الناحية هواية لا بد من ارضائها .

اما كونها رسالة وطنية فهذا لاريب فيه ، لان اول شرط من شروط العمل الصحفي الناجح ، بعد الهواية ، ان يكون صاحبه وطنيا ، محبا لبلاده ، يؤمن بان الدفاع عنها وتأييد حقها ، اولى واجباته في عمله الصحفي ، ولا يجوز للصحفي بحال من الاحوال ان يضحي بقضية وطنه من اجل منفعة، مهما كانت ومهما سمت .

وهي من هذه الناحية رسالة ..

رسالة وطنية سامية ، لا مجال للشك فيها .

واما ان الصحافة مهنة ، فهذا ايضا واقع لا مفر منه ، فالصحفي يجب ان يعيش من مهنته بمستوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كريم ، يتناسب مع سمو الرسالة التي يحمل اعباءها ، وشرف المهنة التي يزاولها .. وهي مهنة الفكر والقلم ، والدفاع عن قضايا الوطن . ولا يعقل بحال ان يشتغل المرء في الصحافة ، ولا يعتبرها مهنته التي تضمن له تكاليف الحياة ، وان يضطر لمزاولة عمل تجاري او وظيفي اخر ليسد به نفقاته وحاجياته .

ومن هنا ندرك ايضا ان الصحافة مهنة ، يجب ان يعيش صاحبها منها حياة كريمة .

من هذا نفهم حق الفهم ، ان الصحافة هواية ورسالة ومهنة ،فهي ليست هواية فحسب ، كما يعتقد بعض الناس ، وليست رسالة فقط ، كما يريدها اخرون . وليست كذلك مهنة للكسب، دون مراعاة الاعتبارات الاخرى .

انها مزيج متساو من هذه المواد الثلاث ، واذا ما نقص واحد منها او زاد ، فسدت الصحافة ، وتحولت عن خطها المرسوم ، من اجل الرسالة الصحفية المثلى ..

هكذا افهم الصحافة بايجاز ...

اما الصحفي فيجب ان يتوافر لديه قبل كل شيء ، شرط الهواية والثقافة الواسعة ، والصبر على المكاره .

اما شرط الهواية ، فقد سبق الكلام عنه ، لدى الحديث عن الصحافة .

ومن يحاول ان يكون صحفيا ، دون توافر الهواية لديه ، فاحب ان اطمئنه بانه لن يصبح صحفيا ناجحا مهما حاول .

اما الثقافة الواسعة ، فهي شرط رئيسي اخر من شروط النجاح في الصحافة فالصحفي يجب ان يكون موسوعة سايرة ، وان يلم بالعلوم والفنون والآداب والتاريخ والجغرافيا .. لان عمله يقتضيه في كثير من الاحيان ان يستشهد بحوادث تاريخية وامكنة جغرافية ، او امور تتعلق بشتى نواحي الحياة .

وانا ارى ان الثقافة الواسعة شرط من شروط النجاح في العمل الصحفي ، ولكني لا اشترط قط — كما يفعل بعض الناس — ان يكون الصحفي خريج جامعة او كلية صحفية . فكم من خريج جامعة لا يفقه من الصحافة الا اسمها ، وهو لايتقن صياغة خبر زفاف او سفر او وفاة ، فضلا عن كتابة مقال او تعليق او تحقيق .

ان الموهبة والاطلاع الواسع يطغيان على جميع جامعات الصحافة وكلياتها ..

ان الشهادة لابد ان يسبقها الموهبة والاطلاع،والا فقدت مفعولها بدونهما، وزال اثرها .. ويؤسفني ان اقول ان عددا كبيرا ممن يسمون انفسهم او تسميهم جامعاتهم بخريجيها ، يؤسفني ان اقول ، ان هؤلاء يخطئون في قواعد الاملاء والنحو ، فضلا عن مزاولة العمل الصحفي الناجح ، واثبات الوجود فيه .

بقيت حكاية «الصبر على المكاره» التي سبقت الاشارة اليها .

ان الصحفي في نظري ، يجب ان يكون من محبي النبي ايوب عليه السلام بل من عشاقه ، ومقتبسي ابرز طباعه ، واحسن صفاته ،واعني بذلك الصبر ، واحتمال المكاره والمتاعب .

لقد عرفت الصحافة فى بداية هذا المقال ، بانها مهنة البحث عن المتاعب، وانا مضطر هنا ان اعود لاؤكد قصة هذه المتاعب ، ووجوب الاحتمال والصبر .

ان العمل الصحفي يقتضي الكد والتعب . والصحفي مهما تعب واجهد نفسه في تقديم مادة حسنة ، في عدد من اعداد صحيفته ، فان هذا الجهد يذهب مع صدور العدد ، وعليه ان يكد ويتعب ويبتكر من جديد ، والا تأخرت صحيفته عن ركب الصحافة ، واعرض عنها القراء، وانفض المعلنون ولحقت بها الخسائر .

ان اي انسان ، او مشروع ، او مؤسسة قد يعيش على ماضيه وامجاده ، عدا الجريدة او المجلة ، فانها تعيش على حاضرها ، وما تعده للمستقبل من تجديد . ومتى كان هذا الحاضر بمستوى مشرف ، صفق لها القراء ، واقبلوا عليها ، وانهالت عليها الموارد . ان الجهد في العمل الصحفي لا ينتهي ، ولا يقف عند حد. انه يسير في طريق طويل لا نهاية له . وكلما اراد الصحفي ان يكون اكثر نجاحا من غيره ، فعليه ان يضاعف من كده وتعبه .

ان الصحافة مهنة تأكل البصر ، وتذوي الشباب ، وتختصر الاعمار . ومحترفها عن هواية وايمان ، مصاب في نظري بداء خطير ، اسمه « داء الصحافة » ، يتعذر الشفاء منه . انه كأي مرض سار .. قد يشفى منه المرء بصعوبة وجهد بعض الوقت ، ولكن جرثومة المرض كامنة في الدم ، تسري معه ، لا بد من ان تستيقظ فجأة ، وتنقل العدوى الى الآخرين .

والصحفى الحق في نظري ، هو الذي يضع امام ناظريه ثلاثة اهداف:

١ — التجديد والابتكار في عمله ، وان ينفق التسعة كي يربح العشرة ، والا انعكست الآية !..

٢ — الثبات على الراي ، فلا يهاجم اليوم من مدح امس ، ولا يمدح غدا من هاجم امس .

٣ — ان يعتدل في صداقته وخصومته ، فلا يفرط في الاطراء ، ولا يبالغ بالهجوم ، مهما كانت الاسباب.

واخيرا فان الصحفي الحق ، يرى بعينيه اكثر مما يرى الاخرون .

ويشم بانفه الطويل ، ما لا يشمه غيره من الاخبار .

ويسمع باذنيه ، ما يتعذر على الاخرين ان يسمعوه !

دمشق : عبد الغني العطري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



المسألة الثانية

الإضافة اللفظيّة

يقسم النحاة الاضافة الى قسمين معنوية ولفظية . أما المعنوية او المحضة فليس لنا عليها أدنى تعليق أو مأخذ ولكننا وبكل شجاعة ننفي أن يكون شيء في العربية اسمه الاضافة اللفظية .

يقول الشيخ مصطفى الغلاييني في جامع الدروس العربية : والاضافة اللفظية ما لا تفيد تعريف المضاف اليه ولا تخفيفه وانما الغرض منها التخفيف في اللفظ بحذف التنوين أو نوني التثنية والجمع . وضابطها أن يكون المضاف اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة بشرط أن تضاف هذه الصفات الى فاعلها أو مفعولها في المعنى نحو : هذا الرجل طالب علم . رأيت رجلا نصار المظلوم ، أنصر رجلا مهضوم الحق ، عاشر رجلا حسن الخلق . والدليل على بقاء المضاف فيها على تنكيره أنه قد وصفت به النكرة كما رأيت وأنه يقع حالا والحال لا تكون الا نكرة كقولك جاء خالد باسم الثغر ، فأتت به حوش الفؤاد مبطنا . وأنه تباشره رب وهي لا تباشر الا النكرات كقول بعض العرب وقد انقضى رمضان : يا رب صائمه لن يصومه ويا رب قائمه لن يقومه .

ويقول الشيخ علي رضا في كتاب المرجع (جزء ٢ ص ١٨٨) اذا كان المضاف اسم فاعل او اسم مفعول او صفة مشبهة فالاضافة غير محضة وفي غير هذه الحالات الثلاث فالاضافة محضة .

ونحن ننقل هذين النصين لا لنحاسب الغلاييني أو علي رضا عليهما أو لنناقشهما فيهما بل لنعرضهما كنموذج لما يكاد يجمع عليه النحاة في هذا الموضوع . ومؤلفو كتب النحو في عصرنا الحاضر أو فيما قبله من العصور المتأخرة حريصون على أمانة النقل وعلى ترسم آثار السلف واقتفاء خطاهم والتقيد بأفكارهم ونظراتهم ، فهم ينقلون نصوص القدامى وامثلتهم وشواهدهم وآراءهم وملاحظاتهم وليس لهم الا فضل التصنيف والتبويب . وهذا ما جعل علم النحو يتحجر ويتوقف عن النمو والازدهار .

وفي تعريف النحاة للاضافة اللفظية كثير من الابتعاد عن المنطق ومجانبة الصواب . اما ان يكون الغرض من الاضافة اللفظية التخفيف فهذا ما لا يعقل للاسباب التالية :

١) ليس التنوين بأية حال من الاحوال ثقيلا حتى يستغنى عنه للتخفيف . وكيف يكون ثقيلا وهو يلحق الاسم النكرة رفعا ونصبا وخفضا وفي مختلف التراكيب والجمل ؟

٢) لم يحصل في العربية أن نقل الاسم من حالة اعرابية الى حالة اخرى طلبا للتخفيف على ما فيها من نوادر وشواذ . والتخفيف لا يمكن أن يحول المفعول به الى مضاف اليه .

٣) لو قبلنا كلام النحاة وافترضنا أنه صحيح وأنا أضفنا اسم الفاعل الى مفعوله طلبا للتخفيف فكيف يحق لنا أن نجمع بين العوض والمستعاض عنه ؟

نقول : رأيت رجلا حاملا سيفه . وهو كلام صحيح فصيح سهل خفيف لا غبار عليه ولكننا نماشي النحاة ونفترض انه ثقيل فنقول : رأيت رجلا حامل سيف . وفي هذه الحالة فما علينا الا أن ننبذ الجملة الاولى ونتمسك بالجملة الثانية . لان الجملة الاولى اما أن تكون ثقيلة ونرفضها رفضا باتا ونتجنب استعمالها وهذا ما يرفضه الواقع والمنطق والذوق او أن تكون خفيفة سهلة ومن ثم فليس ما يوجب تحويلها وتحويرها الى جملة اخرى . وكل من له ادنى معرفة بالكلام العربي يشعر أن قولنا رأيت رجلا حاملا سيفا افصح واخف من قولنا رأيت رجلا حامل سيف . وبناء على ما ذكرنا فان الانتقال من حالة المفعولية الى حالة الاضافة ليس له ما يوجبه . وبكلام أوضح فان التخفيف ليس له علاقة بالموضوع . وقد يكون التحويل لاهداف اخرى ليس التخفيف من ضمنها قطعا .

ولنفترض مرة اخرى أن التخفيف هو العلة وان الثقل موجود ، ففي هذه الحالة نستطيع أن نحذف التنوين ونبقي كل شيء على حاله ، كما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يحصل في المشتق العامل في ضمير وفي الاسم الممنوع من الصرف . وقد انتبه لذلك ابن يعيش في شرح المفصل حيث قال : وكان أبو الحسن الاخفش فيما حكاه أبو عثمان الزيادي يجعل المضمر اذا اتصل باسم الفاعل في موضع نصب على كل حال ويقول ان اتصال الكناية قد عاقبت النون والتنوين فلما امتنع النون والتنوين لاتصال الكناية صار بمنزلة ما لا ينصرف وهو يعمل من غير تنوين نحو قولك للنساء : هن ضوارب زيدا .

ويجدر بنا قبل تجاوز هذا النص أن نشير الى أن الكناية تعني الضمير عند النحاة القدامى . اما رأي الاخفش في محل الضمير المتصل باسم الفاعل فهو موضع نظر . انه ليس في محل نصب دوما والاصح ان يكون في محل نصب اذا كان اسم الفاعل يدل على الحال او الاستقبال وان يكون في محل جر بالاضافة اذا دل على الماضي . وتقل الاضافة في الحالة الاولى وتكثر في الحالة الثانية.

نفهم من النص السابق أننا نستطيع حذف التنوين وابقاء كل شيء على حاله لو كان التنوين هو العلة فنقول : رأيت رجلا حاملَ سيفا . ولكننا نؤكد ان الثقل وهم وان التخفيف ليس غرضا وان حذف التنوين من المفرد في الاضافة ليس لشيء الا لمجرد التعريف . لان المضاف لكي يستفيد التعريف لا بد أن يتجرد من التنوين . فالتعريف والتنوين لا يجتمعان هنا . أما حذف نوني المثنى وجمع المذكر السالم فهو مقابل حذف التنوين في المفرد . وليس التخفيف هدفا بأية حال من الاحوال .

ونزيد على ذلك فنقول انه اذا كان التخفيف هو المقصود من الاضافة اللفظية فكيف نعلل دخول اداة التعريف على المضاف في مثل قول الشاعر :

الودّ أنت المستحقةُ صفوه
مني وان لم أرجَ منك نوالا

فكيف نوفق بين ادعاء حذف التنوين وبين هذا البيت ؟ ولقد جاء في شرح (التصريح على التوضيح) تعليقا على قول ابن هشام : وانما تفيد هذه الاضافة التخفيف ما يلي : قال اللقاني : قد يقال هذا منقوض بنحو قوله : الود انت المستحقة صفوه فان الاضافة فيه لم تفد تخفيفا ولا رفع قبح . ويحاول الشارح ان يعلل ذلك بمختلف العلل الواهية والتخريجات الضعيفة .

ونحن نرى ان دخول اداة التعريف يقصد منه الحصر والتعيين والاصح في هذه الحالة أن يكون معمول اسم الفاعل منصوبا على المفعولية لا مجرورا على الاضافة لان شرط الاضافة انتفى بدخول اداة التعريف على المضاف ولا يصح ان يجتمع تعريفان في ان واحد .



وبخصوص دخول اداة لتعريف على المضاف وبقاء المضاف اليه مجرورا فقد يكون لذلك وجه وهو ان نعتبر المتضايفين بمنزلة الاسم الواحد . وقد يسأل سائل ولماذا لا تدخل أداة التعريف هذه على الاسم الجامد اذا كان مضافا مثل كتاب زيد . وجوابا عن ذلك نقول لعل من مميزات الاسم المشتق ان يكون ممعنا في التنكير والابهام بحيث لا تستطيع الاضافة نقله من التنكير الكامل الى التعريف الكامل بل تجعله في منزلة بين المنزلتين شبه معرفة أو شبه نكرة كما سنشرح فيما بعد . وهو لذلك يحتمل تعريفين ويستوعبهما في آن واحد . وقد تكون أل هذه موصولية لا أداة تعريف وعندئذ ينفك الاشكال.

نرجع عودا على بدء للحديث عن التعريف والتنكير في الاضافة وعن الداعي الى حذف التنوين فنقول اما أن يكون التعريف هو الهدف من حذف التنوين فهذا ما لا يحتاج الى برهان اما ان يكون حذف النون في المثنى وجمع المذكر السالم لمقابلة حذف التنوين في المفرد فالتدليل عليه أن هذه النون تبقى ثابتة اذا ولي المثنى او جمع المذكر السالم مفعول وتحذف اذا وليهما مضاف اليه . نقول جاء الضاربون زيدا وجاء الضاربو زيد فلو كان حذف النون للتخفيف لوجب حذفها من جمع المذكر السالم في الجملتين اذ لا يعقل أن تكون النون خفيفة اذا وليها مفعول وثقيلة اذا وليها مضاف اليه . وحالة الاعراب لا تؤثر على الكلمة نفسها من حيث الثقل والخفة فكيف تؤثر على ما قبلها ؟

أما قولهم وضابطها أن المضاف اسم فاعل او اسم مفعول أو صفة مشبهة بشرط ان تضاف هذه الصفات الى فاعلها أو مفعولها في المعنى فهو غير صحيح اطلاقا . وقد تكفل ابن هشام بدحض شيء منه في مغني اللبيب حيث قال : فان لم يكن الوصف بمعنى الحال أو الاستقبال فاضافة محضة تفيد التعريف والتخصيص لانها ليست في تقدير الانفصال . وعلى هذا صح وصف اسم الله تعالى بمالك يوم الدين . قال الزمخشري اريد باسم الفاعل هنا اما الماضي كقولك هو مالك عبيده أمس أي مالك الامور يوم الدين على حد (ونادى أصحاب الجنة) ولهذا قرأ أبو حنيفة (ملك يوم الدين) واما الزمان المستمر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كقولك هو مالك العبيد فانه بمنزلة قولك مولى العبيد ملحقا .

واشتراط الحال أو الاستقبال في الوصف يتعارض مع التعميم الذي ورد في تعريف الاضافة اللفظية المنقول من كتاب جامع الدروس العربية للغلاييني والذي يكاد يجمع عليه النحاة دون تدبر او امعان .

وكذلك جاء في شرح التصريح على التوضيح في نفس الموضوع ما يلي : ونوع لا يفيد شيئا من ذلك يعني تعريفا او تخصيصا وضابطه ان يكون المضاف صفة تشبه المضارع في كونها مرادا بها الحال أو الاستقبال فخرج بالصفة المصدر المقدر بأن والفعل فان اضافته محضة خلافا لابن الطاهر وابن برهان وابن الطراوة بدليل نعته بالمعرفة نحو قوله :

ان وجدي بك الشديد اراني
عاذرا من عهدت فيك عذولا

فوصف وجدي وهو مصدر مضاف الى ياء المتكلم بالشديد ومثله المصدر الواقع مفعولا له نحو جئتك اكرامك فان اضافته محضة خلافا للرياشي . وخرج بتشبه المضارع الخ اسم التفضيل نحو افضل القوم فان اضافته محضة عند الاكثرين خلافا لابن السراج والفارسي وابي البقاء والكوفيين وجماعة من المتأخرين كالجزولي وابن ابي الربيع وابن عصفور ونسبه الى سيبويه وقال انه الصحيح بدليل قولهم مررت برجل افضل القوم ولو كانت اضافته محضة لزم وصف النكرة بالمعرفة وان المخالف خرج ذلك على البدل . فيكون من بدل المعرفة من النكرة قال وذلك باطل لان البدل بالمشتق يقل . انتهى كلام ابن عصفور في شرح الجمل . وهذا الذي حكاه عن سيبويه واختاره انما حكاه ابن مالك عن الفارسي واختار خلافه وزعم ان ذلك قول سيبويه . وخرج ايضا الصفة التى بمعنى الماضي نحوضارب زيد أمس فان اضافته محضة على الصحيح خلافا للكسائي وخرج ايضا الصفة التي لم تعمل نحو كاتب القاضي وكاسب عياله فان اضافتها محضة .

ولقد ذكرنا في نصين متواليين نقض ابن هشام لجزء من تعريفهم للاضافة اللفظية ونحن نتكفل بنقض الباقي ونرفض ما يسمى بالاضافة اللفظية جملة وتفصيلا .

ولقد ثبت لنا من كلام ابن هشام ان الاسم المشتق اذا دل على المضي او الاستمرار فاضافته محضة تفيد التعريف أو التخصيص .

اما اذا دل على الحال أو الاستقبال فتقل فيه الاضافة . وما جاء من ذلك فهو من قبيل الاضافة لادنى ملابسة ومن عادة العرب أن تضيف لادنى ملابسة كقولهم كوكب الخرقاء. أو من قبيل الشذوذ والخروج عن المألوف وقد اثبتنا أن التخفيف ليس من أهداف الاضافة قطعا .

أما دخول اداة التعريف على المشتق فليس دليلا على رأيهم فقد دخلت اداة التعريف على العلم والعلم رأس المعارف . قال الشاعر :

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا
شديدا بأعباء الخلافة كاهله

ودخلت كذلك على اسم التفضيل مصحوبا بمن كقول الاعشى :

ولست بالاكثر منهم حصى
وانما العزة للكاثر

وماذا لو دخلت اداة التعريف على المشتق المضاف . الا يمكن ان يكون لقاعدة الاضافة شواذ وهل دخول اداة التعريف على اسم الفاعل المضاف دليل على أن الاضافة لفظية ؟ على اننا استيحاء لروح العربية وتمشيا مع قواعد النحو لا نرى موجبا لاضافة اسم الفاعل المعرف بأل الى مفعوله بل نرى ان يبقى معموله منصوبا . فنقول (الضاربان زيدا) (لا الضاربا زيد) وما جاء خلاف ذلك فهو خروج عن المألوف كما قلنا ولا نستطيع أن ندعي أن كل ما جاء عن العرب منطقي وجاء حسب قواعد وأصول . هذا بالاضافة الى أن المعنى يختلف في الامثلة التي ذكرها صاحب جامع الدروس العربية بين الاضافة وعدمها فقولنا : هذا الرجل طالب مالا يختلف من حيث المعنى عن قولنا : هذا الرجل طالب مال . فالجملة الاولى تعني أن الرجل يطلب مالا الان وفي هذه اللحظة اي في الحال والجملة الثانية تعني أن الرجل معروف بطلب المال او ان طلب المال صفة من صفاته وجبله فيه . فالجملة تفيد الاستمرار . ولا يمكن أن تجمع في جملة واحدة بين الحال والاستقبال وبين الاضافة . ان مجرد انعقاد الاضافة بين اسمين ينفي الدلالة على الحال أو الاستقبال ويفيد المضي او الاستمرار . وما جاء خلاف ذلك فهو شاذ ونادر وضعيف أو أنه قابل للتخريج والتأويل .

اما دخول رب على المشتق في مثالين يجترهما النحاة اجترارا ويستشهدون بهما مرارا وتكرارا لا يثبت رأيهم ولا يحملنا على التسليم به . فقول أحد العرب : يا رب صائمه لن يصومه ويا رب قائمه لن يقومه أو قول جرير :

يا رب غابطنا لو كان يطلبكم
لاقى مباعدة منكم وحرمانا

نقول بكل ثقة ان هذين القولين خروج عن الاصول ومخالفة لقواعد النحو وهما لا يقومان بمراي ولا يقعدان باخر . وكان الاصح أن يقول الاعرابي : يا رب صائم له لن يصومه ويا رب قائم فيه لن يقوم فيه. وان يقول جرير يا رب غابط لنا . . . الخ . ولن يصح أن نجعل فلتة من فلتات أحد الاعراب أو بيتا لاحد الشواذ قاعدة تخلد خلود الجبال . هذا مع أن باب التأويل مفتوح على مصراعيه ولن يعجزنا أن نؤول المثالين بما يرضي النحو ولا يغضب المنطق . اما أن نتمسك بهما لاثبات قاعدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والتدليل على راي فهذا محض تمحل واعتباط . ولا يخفى على متمرس باساليب العربية أن المثالين ضعيفان لغويا ونادرا الاستعمال . والقواعد انما تبنى على الكثرة والشمول لا على الندرة والشذوذ فالشاهد والشاهدان والثلاثة لا تنهض دليلا على قاعدة خصوصا اننا نستطيع ان نعثر على شواهد تنقضها وتهدمها هدما . وكيف تضيق بنا سبل التخريج والشواهد ماثلة لكل ذي عينين . ان رب دخلت على المعرفة في عدة مواضع فاولت بنكرة فما لها تؤول في المثالين المذكورين . الم تدخل رب على من الموصولية فتؤول بنكرة ؟ قال الشاعر :

رب من أنضجت غيظا قلبه
قد تمنى لي موتا لم يُطع

وجاء عن العرب ايضا قولهم رب ناقة وفصيلها . ورب رجل واخيه . ففصيلها واخيه معرفتان مؤولتان بالنكرة لانهما معطوفان على نكرة . هذا على اعتبار انهما معرفتان ولكن الوجه الافضل للخروج من المأزق هو أن يعتبرا نكرتين وان يعملا في الضمير المتصل بهما لا أن يضافا اليه . ولقد ورد في شرح التصريح على التوضيح ما يؤيد وجهة نظرنا ويدعم رأينا . قال الشارح تعليقا على قول ابن هشام في المثنى (باضافة صائم وقائم الى ضمير رمضان وهو كما تمسك به الكسائي على اعمال اسم الفاعل المجرد بمعنى الماضي) . قال : وجه التمسك انه ماض فلو كان غير عامل في الضمير النصب لكان مضافا اليه وامتنع جره برب حينئذ لان اضافته محضة من اضافة الوصف الى غير معموله وربمختصة في غير الشاذ بالنكرات . من هذا النص نفهم اشياء كثيرة منها أن اسم الفاعل عمل في الضمير وانه لذلك نكرة لا معرفة وجاء حسب الاصول وليس في المثال شذوذ . وعلى اعتبار اسم الفاعل معرفة باضافته الى الضمير تؤول المعرفة بنكرة وتكون رب داخلة على معرفة شذوذا وعلى قلة وتكون خرجت عن اختصاصها بالدخول على النكرات . ويكون التأويل في هذه الحالة ضروريا .

نخلص الى ان اسم الفاعل في المثالين المذكورين يا رب صائمه ويا رب غابطنا لا يمكن أن يكون مضافا الى الضمير ويكون نكرة . فاما أن يعمل في الضمير المتصل به ويكون نكرة أو أن يضاف الى الضمير المتصل به ويكون معرفة . وغير ذلك فهو خطأ وتوهم .

أما بالنسبة للصفة المشبهة والتي جعل ابن هشام الغرض من اضافتها ازالة القبح والتجوز فنحن نرى غير ذلك وننكر القبح والتجوز كما انكرنا التخفيف من قبل ، قال ابن هشام في المغني (ص ٥٧١ جزء ٢) ، **كل شيء اضافته غير محضة فانه يجوز أن تصير اضافته محضة الا الصفة المشبهة .**

وقال ايضا في معرض تعديده للامور التي يكتسبها الاسم بالاضافة: الامر الرابع ازالة القبح والتجوز كمررت بالرجل الحسن الوجه فان الوجه ان رفع قبح الكلام لخلو الصفة لفظا من ضمير الموصوف وان نصب حصل التجوز باجرائك الوصف القاصر مجرى المتعدي . ونحن نزيد على كلام ابن هشام قولنا : وان جر بالاضافة حصل التجوز باجراء الاضافة بين معرفتين . وعلى هذا الاساس فمالنا للخروج من هذا المازق الا أن نغير تركيب الجملة فنقول مررت بالرجل الحسن وجها ، او الحسن وجهه .

ولكن الامر ليس كما ذكر ابن هشام وليس في المسالة ازالة قبح ولا تجوز لان الوجوه التي ذكرها لا تجوز اصلا او هي بالاحرى ضعيفة ومكروهة . فالاضافة ليست تهربا منها وابتعادا عنها ولا ركوبا لاخف الضرورات واكثرها معقولية . ان الاضافة هنا تركيب عربي سليم اصيل والمقصود منه التبيين او التمييز فنقول هو طليق اللسان جريح الفؤاد معصوم الراي باسم الثغر صافي الذهن . نبين بذلك موضع الصفة ونميزه . فالمعنى المستفاد من الاضافة التبيين والتمييز لا التخفيف ولا ازالة القبح والتجوز . اما مجيء هذه الصفات في موضع النكرة وهي معرفة كأن تجيء حالا مثلا فهو ليس شاذا ولا مستغربا . ولقد جاءت الحال معرفة مؤولة بنكرة في غير هذا الموضع فلماذا لا تكون هنا كذلك فنقول : جاء باسم الثغر على تأويل جاء باسما ثغره ؟ واذا كانت هذه الاضافة لفظية صرفة فلماذا يصح لنا أن نصف بها المعرفة فنقول جاء الرجل حسن الوجه وحضر الوالد طيب القلب واذا كانت هذه الالفاظ نكرة فكيف جاز لنا ان نصف بها المعرفة والنعت يتبع المنعوت تعريفا وتنكيرا . كيف تكون هنا في موضع المعرفة وتكون في قولنا جاء باسم الثغر في موضع النكرة ؟ الا يصح لنا ان نجعلها في منزلة بين المنزلتين . كمرتكب الكبيرة عند المعتزلة ؟ والا فكيف نفسر قول حافظ ابراهيم في رثاء البارودي :

أودى المعري تقيُّ الشعر مؤمنه
فكاد صرح المعالي بعده يودي

ولقد قال ابن يعيش في شرح المفصل : انها تكون نكرة على تقدير الانفصال كما ذكرنا انفا فنقول جاء باسم الثغر على تقدير جاء باسما ثغره . والتأويل في الحال موجود وواقع تأويل الجامد بالمشتق وتأويل المعرفة بالنكرة . وما دام التأويل موجودا فكيف يستعصي علينا التخريج في المثال المذكور ؟ كيف يكون وقوع اية لفظة حالا دليلا على انها نكرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإضافة اللفظية

ونحن نعلم ان الحال جاءت معرفة جامدة على خلاف الاصل في قول الشاعر :

فما بالنا أمس أسد العرين
وما بالنا اليوم شاء النسج

واذا جاز لنا التأويل هنا الا يجوز لنا التأويل في مواضع اخرى . أفرض علينا ان نبقى ندور في فلك النحاة ونتكلم بالسنتهم وننطق بأفكارهم ونصدر عن آرائهم ؟ ثم اذا كانت الصفة المشبهة نكرة فلماذا صح لنا الابتداء بها في مثل قولنا حسن الوجه خير من قبيحه . وانما يجوز الابتداء بالنكرة في مواضع معينة وبشروط معروفة وهذه ليست من ضمنها ؟ لم يعد اي مجال للشك بعد كل ما ذكرنا ان هذه المشتقات المضافة معارف وانما تستعمل كنكرات على سبيل التأويل لا اكثر ولا اقل . ولامسوغ للنحاة لاعتبارها نكرة فان جاءت في مثل شارد في موضع النكرة فهي في معظم الامثلة معرفة ، ولو تحرينا الكلام العربي لاتينا بشواهد جمة على كونها معرفة ولثبت لنا ان الاضافة اللفظية شيء من خيال النحاة لا من واقع النحو .

جميل علوش

محاسن القطعان

الدكتور علي شلق

مُشيّدُ يغري
حيطانه من جدول الدهر
عيونه مدلوقة في أسفل الظهر
أنيابه مسنونةْ
أقدامه مجنونةْ
مزروعة بحكمةٍ في الرأس والصدر

مدامك فاغرة الجماجم
خنافس مزهوة داعرة المآثم
تطوف حول سوره وطاوطٌ عجائزُ
تقيئه .تجتاحه في جوعه الجنائزُ

ناسكه مسمّر في ربّ اسرائيل
هولاكو
حكامه بضائع
أقلامه مباضع
ترصدها الفخاخُ
تحرسها الرّخاخُ
وبين اسنانهم مقاصلٌ شباكُ

يدي على جفوني المديده
أذكر في تاريخي المتهم
اضحوكة الغار لمجد الامم
فيرتمي طرفي إلى المصاير البعيده
جمعت من طروادةٍ من نغزاكي صوري
عرضت في الفينتام في القدس مرايا قدري
حصدت الف عضّة خجلى على اصابعي
وخدراً يدُورُ بي في قفر صمت لا يعي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قدر وصبايا وشموع مطفأة

محاورة شعرية



شعر
محمد جابر الانصاري

تمهيد :

في هذا الحوار الشعري تتمازج أصوات ثلاثة هي : صوت راوية محايد ، وصوت متمرد ساخر ، وصوت شيخ واعظ . وهذه الأصوات الثلاثة لا تتوالى بالتدريج - كما يبدو على الورق - بل تنبعث كلها دفعة واحدة كما تنبعث الأنغام في القطعة الموسيقية الصاخبة . والواقع ان كل واحد منا تعتمل في اعماقه تلك الأصوات الثلاثة مجتمعة ... وعندما ينطق الانسان بصوت واحد - وهذا هو الشيء الوحيد الذي يمكنه فعله في عالم تحكمه الألفاظ والأقنعة - يبقي الصوتان الآخران يهدران بصمت في الداخل..

ولربما كان من واجب الشعر أن يتجاوز آفاق الوعي ليفجر تلك الأصوات الثلاثة المتناقضة كلها في ايقاع صاخب تدوي انغامه المتداخلة في وقت واحد

وبهذا التمازج الثلاثي المتناقض ، المتوتر ، تتكامل سيمفونية الحياة بصخبها المأساوي الهازل ، المبهم ...

أولاً : شمعة مطفأة .. وأحزان خرساء

الراوي : في نشوة الربيع ..
غبّ ارتعاش طائرين ،
في الصدر ، نافرين
صبيةٌ ...
تطفيء عشريناً من الشموع
ثم تنطفيء
كشمعة من الشموع ، تنطفيء
وارتحلت ..
بلا وداع لرفيقْ
بغير زاد لطريق
في رحلة تعانق الأزل .. تجاوز الزمن ..

الساخر : مرفأها العدم ، زورقها الكفن
ودربها شواطيء العفن !

الراوي : فلا رجوعاً لحبيب
ولا ايابا لديار
- إنْ ضيع الغريبْ
وجهة المنار
في زحمة الخطر
وغارت النجوم في عتمة السفر -
وتجمد الدموع في العيونْ

الساخر : والدموع في العيونِ
قسمة البشرْ
من يوم ان شاء الاله العادلُ الأبَرْ
بعادل القضاء والقدر !

الراوي : وتجمد الدموع في العيون
في لمحةٍ مُحفورةٍ في خاطر العدم
وكالعدم - منهمراً في ساحة العمُرْ -
تنسكب الدموع .. تنهمر ..
.
وتنضب الدموع بعد حين

الساخر : - كسائر الأشياء ، في عالم الفناء !-

الراوي : ويخفت النحيب في جدار الصمت
وتصرخ الاحزان خرساء في العيونْ
وفي المساءْ ..
عندما يغور الحزن في بواطن الأشياء ،
عندما غلالة صفراءْ ..

الساخر : - كبسمة العروس أمست أرملة !-

الراوي : خيوطها كآبة ،وطعمها كآبة ،ولونها كآبه
تلفّع البيوتْ .. وتزرع الدروبْ
تكحّل العيون .. وتمسح القلوبْ
حتى جبين الشمسْ
تلفّه باليأسْ ..
فينحني كاليأسْ !

الساخر : فالغروبُ يا حبيبْ

الساخر : فالغروبُ يا حبيبْ
لحنٌ يثير الشجنَ المخفيَّ في القلوبْ ..
تبارك الالهْ
ابدع الغروبَ والقلوبْ
حتى تفتت القلوبَ لمسةُ الغروبْ !

ثانياً : الموعظة الضائعة بين الله وابليس

الراوي : في ذلك المساءْ ..
حدّث شيخٌ ..
من كبار الواعظين

الساخر : كان من أصحاب نوح في السفينْ (١)
وهو ما زال - مع الاحياء - يُرزقْ
خصّه المسطور في اللوح الأمين (٢)
بالهنا .. والعافيهْ
وبزوجات صبايا .. وذهبْ !
واذا العاقلُ أضناه النظرْ
فتصدى لأعاجيب القدرْ
باحثاً يسأل عن درب اليقين :
« ولِمَ العمر المديد ، والصبايا ، والذهبْ
لفقيهٍ عند باب القبرِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مجّتــه الحقبْ ،
... وشبــاب كالربيــعْ
لم يذق طعــم الشبابْ
يتهــاوى كالفراشْ
بين نيران القــدرْ ..؟! »
هاكَ فتواهم – ففي حلقيَ ماءْ !– (٣)
« تلك يا زنديقُ ألطافٌ خفيّهْ
هي أخفى مــا تكونْ ..
عن متاهات الظنون .. والفِكَرْ
وبلاهــات البشرْ ! »

الراوي : وكموسى عندما جاءَ من الطورِ
– مهيباً – بالوصايا
خلع الشيخ النعــالْ

الساخر : وتنحنــحْ .. وتبسّمْ
بدلالْ
كالصبــايا !

الراوي : وبصوت كارتعاش الحرفِ
في احنــاء صدر المحتضر
وعظ الجمــع الحزين :

الواعظ : قــالوا تواتــر في الأثــرْ
عن ابنِ مِسْعــدَ .. وابن هِرْ
وعن الفطــاحــل جُلِّهــمْ

الساخر : . . . ما بينهم أحد سكــر ؟
واشتاق « للظبي الأغر »
فنسى الروايةَ والخبرْ ؟!

الواعظ : حكم الالــه على البشــر
وعــلى البهيمــة والحجر
« لا شيءَ يبقى » فالبقا
حــظُّ الالــه المقتــدر

الساخر : أما الصبايا والشموع ..
أما العيون والدموع ..؟!

الواعظ : وكل آتٍ مُقبلٍ ، وكل ما غبرْ
من عنصر المياه ، وعنصر اللهب
من عنصر الرياح ، وعنصر التُرَبْ (٤)
سينقضي – واهاً لنا – كلمحٍ في البصر
فاستمعوا – يا اخوتي – لصارخ العِبَرْ
تبــارك الالــهْ ..
تبارك الالــه في سمــاهْ
لــه البقاءُ والخلــودْ
لــه الخضوع والسجودْ

الساخر : لا يزال يبــدع النهودْ
ويطفيء الحيــاة في النهــود
عند ارتعاش الخصب في النهــود ..
فيالــه – يا ربنا – وجــودْ
ويا لهــا أُحْجيــة محيّرهْ
ولعبــة مدبــره ..
تحــار فيهــا السحرهْ !

الواعظ : تبارك الالــه في سمــاه
جلَّ عن النعــوت والصفاتْ
أبعد من مدارك الخطاةْ
من غافلي البشر ، وآثمي البشرْ
وعادل قضــاه والقدرْ
فالموت حقٌ .. والحياة باطــلُ
لا تفزعــوا .. لا تجهلوا ..
لا تجحــدوا النِعَــم
وباركــوا الألَــمْ
فالخيــرُ مــا وقعْ

الساخر : والشرُّ لا يقــعْ ؟!

الواعظ : وفي الختــامْ
توبوا الى العلّامْ
واستغفــروا الديــانْ
فليس في الامكــانْ
أبدعَ ممــا كــان (٥)

الساخر : وكأن الحزنَ في القلب يزولْ

عندمـا شيـخ كسول
يزرع الوعظ الثقيـلْ
شوكةً بيـن حنايا القلبِ
في جرح يفور .. ويصولْ
كسهامٍ رزهـا علج مغوليٌّ حقيرْ
في العيـون الداميـات
يوم شاع الهولُ في دار السلام !

ثالثـاً : الأصـداء الأبديـة .

الراوي : (يتردد صوته كالصدى البعيد) :-
صبية في نشوة الربيـع
تطفيء عشريناً من الشموع ،
ثم تنطفيء ..
كشمعـة من الشموع ..
تنطفيء !

الساخر : ما أظلم القدر ، واشنع القدر !

الواعظ : ما أعدل القدر ، واحكم القدر ، والطف القـدر !

الراوي : ما أعند البشر ، وأضأل البشر ، واتعس البشـر
في حومـة القدر !

أصداء متداخلة : صبيـةٌ ... ربيـعْ
صبيـةٌ .. شموعْ
صبيـةٌ .. دموعْ
صبيـةٌ .. قدرْ !

- ختـام -

محمد جابر الانصاري

١ ــ اشارة الى طول عمره ، فقد عاصر عهد نوح وما زال حيـا يرزق !

٢ ــ المكتوب في اللوح المحفوظ حيث سجلت ارزاق البشر وآجالهم .

٣ ــ اصل المثل « في فمي ماء » يقوله القائل تلميحا لخطورة مـا يريد التصريح به فلا يستطيع ..

٤ ــ اشارة الى العناصر الاربعة : الماء ، النار ، الهواء ، التراب ، التي كان الفلاسفة القدماء يعتقدون انها اصل الكائنات .

٥ ــ « ليس في الامكان ابدع مما كان » مبدأ يعتنقه الفلاسفـة المؤمنون والفقهاء تأكيدا لعدالـة الخلق وكمال الخالق .

الفروسيـة العربيـة الجاهـلية

والفروسية العربية الجاهليـة تلخص جميع الفضائل التي ينبغي ان يتحلى بها كل عـربي حـر وتجملها كلمة « المروءة » التي كانت تعني القدرة على حماية النفس والأهل والجار والضعيف والمال ، والتي كانت تعنى الى جانب هذا كله الاستعلاء عـلى الصغائر والبذل بلا مقابل ، وهذه الفضائل لا يمكن ان يتحلى بهـا ضعيف البدن والنفس ، فالفروسية اذن تعني الحرية في أطار الفضيلة كما يريدهـا المجتمع ، وتعني القوة وما ينبغي لها من قدرة ومن دربة ومن استعلاء . واذا كانت الفروسية الاوروبية في اخريات القرون الوسطى نظاماً ارستقراطيا حفزت اليه عـواطف الحب بانتخاب فتاة تشبه العذراء ، كما حفزت اليه العاطفة الدينية بمحاربة الخارجين عليها ، فان الفروسية العربية الجاهلية عـرفت الحب العفيف هي الأخرى ، وعملت على حماية الوطن والنفس والمال ، كمـا عملت على تحقيق التفوق والامتياز على المجتمعات الأخرى.

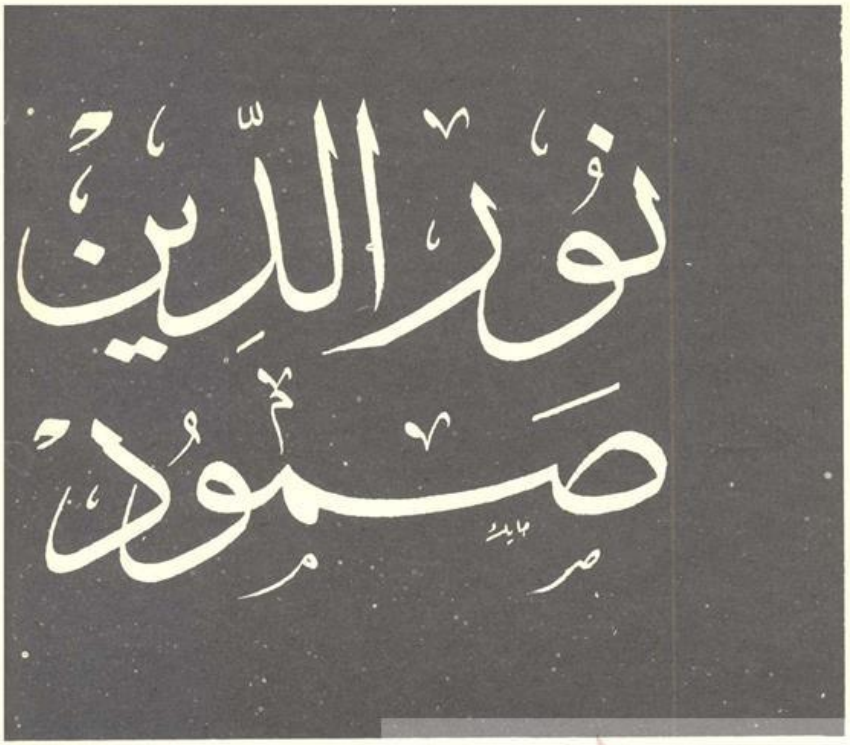
دكتور عبد الحميد يونس
من مقالة : سيرة عنترة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نور الدين صمود

لقاء "البيان" مع شاعر شباب تونس :

أعد اللقاء
محمد الصادق عبد اللطيف



■ الشعر التونسي في محاولات للتجديد ...

■ أتمنى لو يولد الناقد المتخصص غير المنتج ..

■ افضل أن نظفر من خلال كل عصر أدبي بواحد يمثل العصر ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر صمود معروف في الاوساط الادبية في تونس يساهم في اكثر الاعمال الثقافية
وهو استاذ في اللغة والاداب العربية
تعلم في الكلية الزيتونية وتخرج من القاهرة ولبنان جمع بين الثقافة العلمية والصناعة الشعرية .

س : هل لكم ان تطلعوا القراء على اطوار حياتكم الادبية ؟

ج : ليس في حياتي الادبية اطوار .. اذ ان محاولاتي الاولى لكتابة الشعر كانت منذ حوالي ثلاثة عشر عاما فقط وان كنت قد حاولت محاولات اسبق من هذه ولكن اعدها من باب التدريب على السباحة في بحور الشعر . واما اتصالي بالكلام المنظوم حفظا واعجابا فقد كان سنة ١٩٤٧ ، واعتقد ان ذلك الاتصال وذاك الاعجاب وتلك المحاولات التقليدية ثم تلك المحاولات التي بدات تظهر فيها معالم الشخصية والاستقلال ، اعتقد ان كل تلك المراحل تمثل اطوار حياتي الادبية ، ولا استطيع التحدث عنها في هذه العجالة اثناء الاجابة عن مجموعة من الاسئلة .

س : هل توجد مدرسة شعرية بتونس لها طابعها ومميزاتها الذاتية، وما هي جذورها ؟

ج : عندما فتحت عيني على دنيا الشعر وجدت مجموعة من شعرائنا المعاصرين يكتبون بطريقة وباسلوب القدماء فلم اكن الحظ فرقا بين شعرائنا الذين يقال لنا عنهم انهم احياء وبين شعراء يقال لنا عنهم ان بيننا وبينهم الف سنة او اكثر .. فالطريقة واحدة

والاوزان واحدة .. ثم بدات اقرأ شيئا من شعر المهجريين وقليلا من شعر بعض المشارقة الرومنطقيين المحدثين وبعض قصائد النتابي التي تمتاز بروحها التقدمية رغم اتباعه الشكل القديم في كثير من قصائده الناجحة ومن خلال قراءتي شعرنا التونسي استطيع ان اقول انه لا وجود لمدرسة شعرية لها طابعها ومميزاتها الذاتية ولها جذور .. فالشعر التونسي ، او اكثر الشعر التونسي — الى ما قبل الاستقلال — تقليدي ، يحاول ان يحاكي القدماء او يقلد المقلدين للقدماء في الشرق العربي .. والشعر التونسي منذ الاستقلال الى الان فيه محاولات للتجديد ولكن اثرها للاسف غير نابع من الذات ومن ارادة التجديد وحاجة الى التجديد ، بل هو في اكثره تقليد للمجددين دون وعي وهناك اسباب دعت الى التجديد واقصد هنا التجديد الشكلي — اي الشعر الحر — ورغم هذا فاننا لا نعدم بعض الشعراء الذين يمكن ان يكونوا مدرسة ليس الان بل عندما تتبلور مشاريعهم .

س : بماذا تعلل انعدام النقد العلمي المنهجي لآثارنا المنشورة في صحفنا ومجلاتنا ؟

ج : للاسف الشديد لم نحظ في تونس بالناقد المنهجي المثقف الذي يتفرغ للنقد فيقيم النتاج الادبي احسن تقييم ويبين محاسن الادباء ومساوئهم على حد سواء ، ويعرف بكل ما يخرج من المطبعة ، فيقدم لنا النتاج الجيد معرفا به ومبينا اسباب جودته ، ويحدثنا عن النتاج الرديء ويبين لنا اسباب رداءته ... ولكننا كثيرا ما راينا على بعض صحفنا ومجلاتنا نقدا غير منهجي مبعثه الاغراض والاحقاد في اكثر الاحيان .. وهناك ضرب اخر من النقاد — ان جاز ان نسميهم نقادا — وهم فئة قليلة والحمد لله لا يلتفتون الى الادب والى ما ينشر من طرف الادباء مهما كان جيدا ولايكتبون عنه حرفا ولا يقولون عنه كلمة خير مهما قدم لهم من اعمال رائعة ... ولكنهم يتربصون به الغرض الى ان يجدوا في عمل من اعماله مغمزا — وغالبا ما يكون هذا المغمز غير ادبي — فينقضون عليه ناقدين ، ناسين جميع اعماله الادبية الاخرى الناجحة ، وهؤلاء اخطر الناس على الادب والادباء .. ومن جهة اخرى فان مهمة الناقد صعبة وشاقة ولا يمكن ان يقوم بها اديب منتج .. اذ انه يضع في حسابه قبل كل شيء المثل العربي القائل (من غربل الناس نخلوه) . اضف الى ذلك انه يخاف ان يخسر اصدقاءه واصدقاء اولئك الذين ينقدهم ، لعل البعض يتهمونه بانه يريد تحطيم غيره ليبقى في الميدان وحيدا .

هذا اذا بين المساوىء ، اما اذا بين المحاسن فقط فانه يخاف من ان يتهم بانه يمدح غيره ليمدحه غيره .. وهكذا نرى ان مهمة النقد صعبة بالنسبة للاديب المنتج .. وكم نتمنى ان نجد الناقد المتخصص غير المنتج .. ولكن هذا لا يرضي كثيرا من المنتجين لانه (لا يعرف الشعر الا من اقبع الى مضايقه) كما قال البحتري ... هذه بعض اسباب انعدام النقد المنهجي عندنا .

س : ما هو رأيك في مذهب الالتزام؟

ج : اذا اراد الشاعر ان يلتزم فليفعل ولا يطلب منه الا ان يقدم لنا شعرا جيدا .. اما ان نلزمه فلا ، لانه عندئذ لن يستطيع ان يلزمنا بقراءة نتاجه الرديء الذي الزم على انتاجه .. ونحن كقراء لايهمنا الموضوع الذي يعالجه الاديب بصفة عامة ... بل يهمنا كيف عالجه وهل اجاد ام لا .. بصرف النظر عما اذا كان الموضوع اخلاقيا او غير اخلاقي .. واجدني هنا مضطرا الى ذكر شاعرين على سبيل المثال :

اشتهر ابو نواس — الحسن ابن هاني — رغم ان المواضيع التي عالجها غير اخلاقية — خمر وشذوذ وفسق — وضحل ذكر عمر بن الوردي صاحب اللامية المشهورة في الحكم والنصائح رغم ان المواضيع التي عالجها اخلاقية وعظية . واسباب شهرة ابي نواس وخمول ابن الوردي كثيرة ولكن اوضح سبب هو ان ابن هاني كان شاعرا مجيدا عملاقا وان ابن الوردي كان شاعرا من عصور الانحطاط التي ابتعدت عن الشعر واقتربت من قشوره . وهكذا نرى ان المواضيع الانسانية والجماهيرية لن تشفع للمتشاعرين وترفعهم الى صف الشعر المجرد وضربهم على اوتار الحرية والاشتراكية والعمال والفلاحين وما اليها من مواضيع جعلت للاثارة الوقتية ..

س : من هم في نظرك من الشعراء من يحتل مكانته بين الشعراء ؟

ج : من هم القراء العرب ! وما هي المكانة التي يحتلونها .. ولماذا نربط مكانتنا بمكانة الشعراء العرب فقط ...

انني افضل ان نظفر من خلال كل عصر ادبي ومن ضمن مجموعة من الشعراء بشاعر واحد يمثل العصر والجيل ويقدم لنا اعمالا انسانية خالدة تنطلق من الحدود الاقليمية الضيقة وتنتشر في العالم .. ويومئذ يكون لنا امثال الفردوسي والخيام وسعدي البيرازي وملتن وشكسبير واليوت وجوته ودانتي ولوركا والمعري وابو نواس والمتنبي ... وامثال هؤلاء من الشعراء العالميين .. وفي جيلنا الحالي هل قدم شاعر من شعرائنا عملا ادبيا عظيما في عظمة ما قدمه هؤلاء ؟ الجواب بالنفي طبعا ... وانا لا احب ان اذكر بعض الاسماء لمجرد المجاملة وافضل ان نترك ذكر هؤلاء الشعراء الى التاريخ فهو الذي سيهمل من يستحق الاهمال ويذكر من يستحق الذكر ويضع كلا في مكانته .

س : اعرف ويعرف القراء انكم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مثلتم تونس في مهرجان الشعر في بغداد ... ما هي الاثار التي تركها الشعر ببغداد ؟

ج : لقد مثلت تونس في ذلك المهرجان مع الزملاء الشعراء احمد اللغماني وزبيدة بشير ومنور حماي. وانا اذكر ان جميع الوفود العربية المشاركة في المهرجان كانت معجبة بمستوى الشعر التونسي ... وانا اذكر بعد ذلك ان بعض الادباء الحاضرين من ذلك المهرجان حللوا مجموعة من قصائدالمهرجان بينمجلتي الاداب البيروتية والشعر القاهرية وجعلوا في مقدمة قصائد المهرجان التي اثارت قضايا عربية هامة قصيدة الشاعر الصديق احمد اللغماني ، وقصديتي ونشرتهما في مكان بارز هام بينما اهملت كثيرا من قصائد الوفود الاخرى وقد غمرنا الحاضرون باعجابهم وهذا يدل على ان اثر الشعر التونسي في المهرجان كان حسنا جدا .

س : من المعروف انكم عالجتم كتابة الشعر والنقد ، فاي العوامل اثرت بتجربة اللونين ، وما هو اللون الذي تؤثرون الاهتمام به خاصة ؟

ج : دخلت الى دنيا الادب في اول عهدي من باب الشعر واعتقد انهذه هي البداية التي يبدأ بها الشباب اذ ان الشعر ومواضيعه عاطفية في اغلبها ، والشباب يحبون المواضيع العاطفية لذلك يميلون الى الشعر في اول عهودهم بالادب ثم اتيحت لي فرصة التعليم الجامعي فنمت آفاقي وجعلتني ادرس دراسة منهجية ثمان كثرة مطالعاتي في شتى افاق المعرفة جعلتني لا اقتصر على كتابة الشعر فقط بل جعلتني اصدر احكاما عليه واعطي اراء فيه .. واذا كنا نرى اكثر الشعراء لا يكتبون غير الشعر فذلك لانهم لا يريدون ان يعرفوا الا بالشعر واما لانهم لا يستطيعون ان يكتبوا غير الشعر ولا غرابة في الامر اذا ان النثر صعب على من لم يمارسه .

س : ما هي مشاريعك الادبية ؟

ج : مشاريعي الادبية ومشاريع غيري من الادباء ومشاريع كل انسان اكثر من ان تحد ... وكم فكرت في مشروع ادبي فاذا بي احقق غيره وغيره بينما يبقى هو يعوزه التحقيق ... فلذلك افضل السكوت على مشاريعي الكثيرة وارجو ان احقق اكثرها .

مثلا لي مجموعة لا بأس بها من الشعر بدات كتابتها منذ اكثر من عشرسنوات واعتقد اني لا استطيع نشرها في ديوان واحد لتباين مشاربها واختلاف طرق كتابتها .. لذا فكرت في نشر هذا الشعر في مجموعات تحمل كل مجموعة عنوانا .. ولكن من يدري فلعل هذا المشروع لا يتحقق ، ولكن لم اعد شيئا للطبع اذ لا يمكن لي الان — على الاقل — ان اطبع شيئا على نفقتي ، وقد عرضت علي عروض لطبع شعري ولكني لم اتحمس لهذه العروض الى الان .

محمد الصادق عبد اللطيف
تونس

●

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النثر والفكر الجديد

الحياة الفكرية القوية الخصبة تقوم على الصراع المستمر بين التفكير القديمو التفكير الحديث. وليس ذلك لان التفكير القديم كله باطل وانحراف عن الحق ومجافاة للصواب ، ولا لان التفكير الجديد كله حق وصدق واصالة ونفاذ ، وانما لان هذا الجذب والشد والاخذ والرد والهجوم والدفاع هو المحك الذي يظهر الطيب والخبيث ويفرق بين الحق والباطل . وكلما دارت هذه المعركة في جو ملائم وبشروط متعادلة وفي غير تحيز ولا تعصب كان ذلك اجدى على حياة الفكر وادعى الى ظهور الحق .

فهل اذاعة الرأي في العصر الحاضر تقف من هذا الصراع بين الفكر القديم والفكر الجديد موقف الحياد والانتظار ؟ اظن اننا لسنا في حاجة الى تفكير طويل واستقصاء شامل لنرد على هذا السؤال بالنفي فمن الواضح المتعارف ان وسائل اذاعة الرأي كلها على وجه التقريب في خدمة النظم القائمة والافكار المستقرة الثابتة ، وقد اصبح من الصعب على الفكرة الجديدة ان تشق طريقها وتحارب الفكرة القديمة وتقف منها موقف الند من الند ، وقد تعادلت القوتان وتساوت الكفتان .

الاستاذ علي ادهم
مجلة (القلم) السودانية

وقفة عند

عباس بن الأحنف

شاعر الغزل الرفيع

بقلم : عبد الكريم احمد الحمود

عشت اياما رائعة مع « العباس بن الاحنف » اتاحها لي ديوانه الكامل الذي قامت بتحقيقه الدكتورة عاتكة الخزرجي وقدمه المستشرق «ر. بلاشير» . فهذه الايام الحلوة ، وتلك الساعات الجميلة التي اتيحت لي لا تقدر بثمن ، وكيف لي ان اثمنها وهي من تقلتني الى ازهى خصائص تاريخنا العظيم في حاضرته الكبرى « بغداد » وفي اجواء لذيذة تشيع في النفس والقلب الانداء الرقيقة .

هكذا استقبلت « العباس » في « ديوانه » الرفيع الذي لم يفسده لهو مجتمعه ، فهو الى القداسة ، كاني به يرتبط الى خصائص اخلاقية تشده غنائيات عذبة صادرة من روح صادقة لا تكدره شوائب الحياة وضجيجها ، ولا هموم عيش يبحث عنها ، بلا حقد وكراهية ، عاش كريما فيه عزة العرب وكبرياؤهم وشموخ تقاليدهم القومية ومكارم اخلاقهم ، اي انني ارى في شاعرنا ما يستحق الدراسة الشاملة الدقيقة بكل تضاعيفها الفكرية فاين يقف « العباس بن الاحنف » من خلال التحولات الفكرية التي عاشها !؟ فهو شاعر غزل رفيع ارتقى فوق مستوى اللذائذ والشهوات ، ذلك لان هناك مقاييس فكرية تضع الشاعر في ميزان النقد، فاما ان يرتفع الى شاهق واما ان ينتهي في الحال . اي ان يصبح الشاعر بلا قضية .. بلا التزام يربطه بالتيارات الفكرية ، فمقياس الجودة هي ابعاد هذا الشاعر القضية والذي انا بصدد الحديث عنه ، ليس لانه احد الذين صنعوا الضجيج في حاضرة الخلافة العباسية ، وليس لانه اقل الشعراء مجونا وتهتكا ، وليس لانه ظاهرة بارزة في مجتمع يرفض الاخلاقيات والمثل العليا والقيم الهادفة ، كل هذا ليس شيئا من البدع والظواهر العجيبة ، ولكن لان شاعرنا عاش في محيط من التيارات والمدارس الفكرية المختلفة ، فهو لم ينتم الى اية مدرسة ، فهو بحد ذاته قضية فكرية ارتبطت بالحياة الاجتماعية بما فيها من رغبات واحلام واشواق حضارية لازمت الشاعر ليعطي الحياة شعرا صادقا متكاملا لا تشوبه شائبة، شعرا فيه من العذوبة رقة ومن الرجولة كبرياء ليس فيه من شعوبية « بشار ابن برد» ولا ابتذال النواسي ، في شعره تلك القيم الخالدة والمثل العليا ، ويخيل لي ان «العباس بن الاحنف» لم يصل الى ما وصل اليه لانه ارتفع فوق مستوى الابتذال الخلقي ، ولم يصل الى ما وصل اليه لانه عاش حياة ادبية معينة ، ولم يصل الى ما وصل اليه لانه تقرب من بلاط السلطان ، كل هذا لم يكن النهج الذي وصل اليه بشاعريته وعبقريته ، ولكن لانه عاش القضية الانسانية بكل ابعادها وشمولها . وكيف وهو الذي امتلك القدرة وناصية اللغة في عصر مثير تسامت اليه زحوف الشعوبية والفرق الباطنية تطعن في تاريخه وتزيف تراثه .

اذاً ، هو شاعر قضية فكرية اذا وضعناه في خضم العواصف السياسية التي بدأت تهب على الدولة العربية ، ولكن السياسة ليست من اختصاصه حتى يطلب منه ان يخوض المعركة . هو شاعر العواطف الانسانية ما في ذلك من شك ، ان نكون لانفسنا ابعادا منطقية ننطلق منها في اطار القضايا الثقافية التي شغلت العامة والخاصة في تلك الفترة التاريخية التي مرت بها الامة العربية ، ليس في « العباس بن الاحنف » جذور مشبوهة غريبة عن العروبة ، ليس فيه من مجوسية « مهيار الديلمي » ولا زندقة « بشار بن برد » ولا شذوذ « والبة بن الحباب » ، فليس من السهولة ان نرافق شاعرية « العباس » بهذه البساطة ، ذلك لاني امام شاعر هو الى الطبقة الاولى اقرب ، وانني امام شاعر وجد من النقاد والمؤرخين اهمالا ونكرانا ، فلا احد يزعم انه اضاف اليه شيئا ولا انا ازعم ذلك ، وليس هنا مجال للحديث عن الثقة والضمير ، فعندما يكون الحديث عن « العباس » فانما نتحدث عن شاعر كشكل محسوس في الحياة فليس هو بدعة او خرافة يتقدمها ضجيج النفاق والرياء ، ان نتحدث عن الاخلاق بكل معانيها الاجتماعية شاعرنا العباس بن الاحنف مضمون الحياة العربية بكل زخمها وضجيجها لا سبيل لفصلها عن تاريخنا بكل ما فيه من الام وآمال عميقة ، بكل ما فيه من ايجابية وسلبية ، بكل ما فيه من مد وجزر فكري ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ففي « بغداد » عاش الشعراء الكبار والصغار وكل الذين يطمعون بالجاه ويتمسحون باذيال السلطان ، اقول ليس من السهولة ان نتفهم طبيعة « العباس » بالمفهوم الشامل ما لم نلق ضوءا كاشفا على حياته التي تفتحت على رغد العيش في « بغداد » فليس هناك اروع من « ديوانه » منهلا للدراسة الادبية والبحث العلمي ذلك لان كتب التاريخ والسيرة لا تقدم نصوصا دائمة ولا مقاييس ثابتة نستطيع ضمان صحتها في جميع الاحيان ، فكيف الحال في هذه الوقفة المتواضعة ان ندرس جانبا بسيطا من حياته لا تفي بالغرض والجهد المبذولين ، لان العناية بشخصية الشاعر هي المظهر الحقيقي لكل دراسة نتفتح عليها .

ابدا بالتساؤل عن امكانية فهم هذا الشاعر ، عن امكانية وجود خصيصة واحدة نؤهل لدراستها والتعمق فيها !.. وسيكشف التاريخ الستار عن الفكر الذي شوه والكلمات المضيئة التي مسخت ، اي جواب على كل التساؤلات التي تطرح ، والتي وضعت « العباس ابن الاحنف » على حقيقته الموضوعية ، من هو الجدير اولا بالدراسة ، فالآفاق اوسع مما يتصوره النقاد فانا لا احاول البحث عن تعريف هذا الشاعر ، وعلى اية حال فالقضية تتميز بالحب والتعاطف لمن اضاف الى التاريخ بصيصا من الامل وشوقا الى المعرفة . عندها تصبح الافكار الاكثر اهمية ، اكثرها اصالة ، صورا تزيد من المضمون وتكسبه قيمة ادبية .

.. وكما يقول ، ر. بلاشير .. « ولعل « العباس » لم يحى في مغامراته التي انشدها في شعره ، ومن المحقق انه لم يكن لتلك المغامرات مارسمه لها من صور ، ولكنه تخيلها في الوان رقيقة مثلتها له اشواقه العلوية ، فلما استحالت شعرا اصبحت حقيقة ، ولذا فقد حافظ شعره على ميزة نادرة ، وهي قدرته على ان يثير اصداء حية في وجداننا العصري ، وهو بالغ ذلك دون عناء على جناح لغة سلسة لا تكلف فيها . »

لنأخذ مثلا هذه الغزلية :

الا ايتَ شِعْري والفؤادُ عميدُ
هَوايَ قريبٌ أمْ هَوايَ بَعيدُ ؟
وفي القُرْبِ تَعْذيبٌ وفي البُعدِ حسْرةٌ
وما منهما الا عَليَّ شَديدُ !
مُعَذِّبَتي فيمَ الصُّدودُ ؟ وما الذي
افنِّدُ حتى لا يكونَ صُدودُ ؟
اَصَدَّقْتِ حُسَّادًا وكذَّبْتِ عاشقًا ؟
وليسَ سَوَاءً عاشقٌ وحَسُودُ !

هذا الذي جعلنا نقبل على « العباس » في رؤياه عاشقا يبحث عن الحبيب ، تتوالى علينا احاسيسه المرهفة في صور حضارية ، واصواء لطيفة كهذه « اللوحة » الغنائية .

ما ضَرَّ قَوْمًا وَطِئْتُ اليومَ أرْضَهُمُ
انْ لا يروا ضوءَ شمسٍ آخِرَ الأبَدِ
مَنْ جاورتْهُ جرى بالسَّعْدِ طالِعُه
ومن رآهَا فلنْ يخشى من الرَّمَدِ
امْستْ ((بيثربَ)) لا يأتي لها خبرٌ
ولا اذا حجَّ بعضُ الناسِ من بَلَدي
انّي أعيذُكُمُ أنْ تطلبوا بدَمي
يا أهلَ ((يثربَ)) أهلَ النسْكِ والرَّشَدِ
تَتبَّعَ الحبُّ روحي في مسالِكِهِ
حتى جرى الحبُّ مجرَى الروحِ في الجسدِ

.. والعباس خلاف شعراء التأوهات والدموع ، فهو في هذه الدنيا يستجلي الحسن والجمال من دقائق الامور ، هادئا لطيفا بريء النفس من الحقد والانانية ، في هذه وتلك ، يمتلك لغة النغم والموسيقى تجانس كل لفظة سبحات من الصوفية ، حريصا على الاعجاب بكل ما يحيط به بلا تكلف او اضطراب او ذلك « الفضول » الذي نجده عند الغالبية من الشعراء كقوله :

حتى متى أنا موقوفٌ على ظمأٍ
بينَ الطريقيْنِ لا وِرْدًا ولا صَدَرَا ؟
اما لذا الأمْرِ من وقتٍ فأعْلَمَهُ ؟
حتى أكونَ لذاكَ الوقتِ مُنتظِرَا
يا ذا الرَّسولُ الذي يُهْدي السرورَ لنا
انّي لتَحْسُدُ عيني عينكَ النَّظَرَا
أمّا الخيالُ فاني سوفَ اعذِرُهُ
عاتبْتُهُ فأجالَ الدَّمْعَ واعتذَرَا
وقالَ لي : لا تَلُمْني ! لم أزلْ كلِفًا
حتى أتيتُكَ في الظلْماءِ مستَتِرَا

وهذا ما يجعلنا ان نأخذ بنظر الاعتبار لماذا كان « العباس » عبقرية فكرية ، فجوهره الاخلاقي كونه اعطى الحياة محاسنها وليس العكس ، فهو بحق نموذج للموهبة التي تضع ابداعاتها من اجل الحياة ، والى جانب كل ما تقدم تبرز عند « العباس » تلك العناصر الغارقة في الجمالية باعتبارها امثلة نابضة بالاحاسيس العاطفية والتي تتناثر في جل القصائد ، فالمضي في عرضها والاستشهاد من خلالها يتطلب دراسة مستفيضة عن الجذور الاجتماعية والتاريخية التي صهرته ، فعند « العباس » لمست جدة المضمون من خلال الاشكال التعبيرية التي خلقت الاثر كضرورة اساسية للاساليب المختلفة فالصور الفنية تظل دائما نماذج صادقة تعبر بأحسن الصور ، وان هذا هو الميدان الرئيسي للتعبير عن روح الشعر .

ليس من شك بان « العباس بن الاحنف » قد استوحى حياة مجتمعه من تلك الخصائص والمعطيات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفكرية ناهيك عن الصور الحضارية المتناثرة في قصائده الطويلة والقصيرة :

لَعَمْرُكَ ما هنـــاكَ قَـدومُ « فَوْزٍ »
ولا جـــادتْ عليـــكَ بطيـــبِ زادِ
يُجَـدِّدُ صَرْمُهَـا في كلِّ يـــومٍ
ولكـــنْ لا يطـولُ به التَّمـــادي
ولو جَـــدَّ المقِـلَى لَرَحَـلْتُ عنهـــا
ولم نَسْـــكنْ جميعًا في بـــلاد
مَخـــافَةَ انْ يَقولَ النـــاسُ إنـــا
خَتَمْنـــا الـــوُدَّ منـــا بالفســـاد
وكانتْ « بالحجـــازِ » فكنْتُ ارْجـو
لرَجْعَتِهـــا مُحَافظَـــةَ الـــوداد

الى ان يقـــول :

فَيَـــا حَزَنِي لنفْســـي بعْـــدَ « فَوْز » !
ويا طـــولَ اغْتِـــرابي وانفِـــرَادي
وكنـــا عاشِـــقَيْنِ ذَوَيْ صَـــفاءٍ
وَوُدّي في الجَـــوانحِ ذي اتّقـــادِ
فغَـيَّرها الزَّمـــانُ وكلُّ شَـــيءٍ
يَصـــيرُ الى التَّغَـــيرِ والنَّفَـــادِ

وبعد .. ان جوهر الشاعر القضية هي التي حددت اتجاهاته في حاضرة الدولة العربية ، هو المأثرة الخالدة التي تلألأت في سماء بغداد ، « فالعبـاس بن الاحنف » هو الاكثر اهمية لتاريخ الامة العربية وامجادها القومية ، فلا اثر « لاعياد المهرجان » في قصائده باعتبارها مناسبات مجوسية وعقائد غريبة لا يمكن الاخذ بها ، لهذا ولاجل كل ما في تراثنا العربي من عظمة وجراة وشجاعة نرد على المتسائلين لماذا نجل «العباس» ..! اليس في سلوكه الاجتماعي مشاركة للاخلاق العربية ؟ وما قلته عن هذا الشاعر ، ما هو الا جانب عزيز في الحياة العربية ، فلقد عاش في ضمير الذين وقفوا يحمون الشرف والتراث حينما تعرض التاريخ العربي لاخطار الغزو الشعوبي ، وكان احد الذين عاشوا في زحام القضية رمزا من رموزها الصادقة .

.. والخاتمة ، ما قلته في هذه الوقفة القصيرة عن شاعرنا العظيم لا تفي بالموضوع ، وان كانت شيئا مما احتفظ به لشعراء امتي .. فلهذا الشاعر عندي موعد اخر اعود اليه في اقرب فرصة ممكنة .

الكويت : عبد الكريم احمد الحمود

ذكرى هجرة الرسول

مع إطلالة سنة ١٣٨٩ الجديدة

مرت بنا قبل ايام ذكرى عطرة كريمة ، هي ذكرى هجرة رسول العالمين محمد بن عبدالله ، صلى الله عليه وسلم ، من مكة المكرمة الى مدينة الانصار المنورة ، قبل ١٣٨٩ سنة من زماننا .

وبهذه المناسبة الشريفة ، تتقدم مجلة « البيان » الى العالم الاسلامي أجمع والامة العربية بأطيب التهاني وأصدق التمنيات ، راجية المولى العلي القدير أن يعيدها على الجميع وهم أكرم حالا وأمضى عزما على تلك التحديات الشرسة التي ما فتئت تهدد العرب والمسلمين في أقدس مقدساتهم،

« البيان »

في المدينة

بقلم
نصر الدين البحرة



انعطف مع التواء الطريق ، واخذ يطلق حوله نظرات مستفسرة . . فيها ذهول انسان ، يطل لاول مرة على مجهول عجيب . كان في عينيه قلق متوغز ، وتوقع مرعوب لاي شيء .

ويبدو « ابو كايد » لاول وهلة ، وكأنه يخشى اي واحد يمكن ان تلامسه كتفه ، او يمر قريبا منه . كان قد امسك بنيته بيده ، وشدد قبضته حول ذراعها ، وما عاد يعنيه من امرها الا ان يتأكد من انها لا تزال معه .

واقترب من احد العابرين . . اراد ان يقول له كلمة . تمنى لو يستطيع ان يسأله سؤالا واحدا فقط ، غير انه تابع سيره دون ان يلتفت اليه ، وكأن احدا من الناس ليس في حاجة اليه ، الى جواب صغير على الاقل.

لقد نفقت غنماته الاربع في الشتاء الماضي ، وباع منذ سنتين بقرته الوحيدة . كان جسمها قد ضمر كثيرا، وذابت عافيتها ، ولم يبق فيها سوى

شيء يسير منها . كانت تدب كالشبح، وما عادت اثداؤها لتدر الا نزرا ضئيلا من الحليب . والارض ... الارض المريضة تموت . حبات القمح تغوص في باطنها . والسنابل يبتلعها شيطان قبيح قبل ان تتمايل في اشعة الشمس، وقبل ان يرطب غصونها ندى الفجر.

— يا خيو .. تعرف لي من فضلك رشاد بك الجبخنجي ؟

ليته قال : لا . ليته رمقه باشمئزاز ورفع يده فصفعه .. كان ذلك خيرا له من الا يلتفت اليه ابدا ، كأن انسانا ما لا يسأل .. كأن كلمة صغيرة : بضعة حروف ، صعب ان تخرج من الفم .

كان شارع الصالحية في اوج صخبه . الناس يتدفقون على طرفيه، وابواق السيارات والحافلات ، تملأ الجو ، واشعة الشمس الخريفية يتلقاها العابرون في نشوة وفرح . وابو كايد يجر ابنته خلفه ، ويتصفح الوجوه .

لقد ارتدى احسن اثوابه ، وشذب شاربيه جيدا ، وحلق ذقنه قبل ان يغادر الضيعة .. واوصى زوجته قبل يومين ان تغسل ثوب «صبحية» الوحيد لتلبسه عندما تنزل الى الشام.

ومع ذلك ، فقد ضاع هو وابنته في الزحام . اي واحد من العابرين يرتدي احسن من ثيابه ، واية بنية ثوبها اجمل من ثوب صبحية .

كانت صبحية تتلكأ في مشيتها ، فيجذبها ابوها من ذراعها دون ان يلتفت اليها ،فتسير وعيناهامشدودتان الى الواجهات البراقة ، ولو سألها احد ما في تلك اللحظة عما تريد ، لاشارت بيدها الى ذلك الزنجي الضاحك وقد تربع في قعدته ، ووضع يديه على فخذيه ، وراح يحرك راسه يمنة ويسرة ، ويغمز بعينيه وهو مطمئن الى مقعده في صدر الواجهة.

تمنت صبحية لو تأخذه.. لوتجلس اليه وحدها ، تتفرج عليه ، وهو يهز راسه ويلعب بعينيه لقد ضحكت قليلا .. لكن ابا كايد عاد فجذبها بقوة ، فتصلبت ذراعها في قبضته قليلا ، وتابعت سيرها وراءه .

ترى كيف سيكون الشغل في منزل رشاد بك ؟

— يا خيو .. تعرف من فضلك رشاد بك الجبخنجي ؟

قالها ابو كايد ، وهو يغالبشعورا مريرا بالخيبة من نفسه . كان يخيل اليه ان هذا الاخر لن يلتفت اليه ، ولن يقول له كلمة ، غير ان الرجل توقف فتأمله هو وابنته قليلا ، وهز راسه كأنما فهم الامر .

— وين قالوا لك .. ساكن ؟

— قال جانب القصر .. قدام الجامع .. في حارة تطلع للجبل .

افهمه الرجل ان يركب في الحافلة القادمة ويوصي السائق ان ينزله عند جامع المرابط .. وهناك سيجد من يدله على بيت رشاد بك .

وادار الرجل ظهره ليمشي فأمطره ابو كايد بغزير من الشكر والدعاء وتنهد ، واخذ يركض نحو الحافلة .. لقد تجددت همته وقوى امله في العثور على منزل رشاد بك .

كانت الحافلة مكتظة بالركاب ،حتى ليظن ان ليس فيها من موضع قدم شاغر ، كأن يدا ماهرة رصت الناس الى بعضهم ولم تترك فراغا او ثغرة.

ولم يفكر ابو كايد في هذاالموضوع. دفع ابنته امامه في زحام الحافلة ، وامسك عمود الباب بيده في قوة ، واطمأن في وقفته على درجة الباب الخشبية .

واسرعت الحافلة قليلا ، فهبت نسمة لطيفة ، اشرع لها صدره وفتح رئتيه يستقبلها .. وذكرته بتلك الانسام الحلوة التي كانت تهب عليه في بيدر الضيعة ، يوم كانت الدنيا في خير ، وكانت الارض حنونا طيبة .

كانت دراجة تستند الى طرف الرصيف ، وسوف تمر الحافلة لصقها ، فاحس ابو كايد برعبحقيقي عندما ابصرها من بعيد .. ظن ان مقودها الكبير المحني سوف ينغرس في ساقه ، فتقدم نحو الزحام المحتشد وسط الحافلة ، وتسلق الباببصعوبة ولم يجد مستقرا عند طرف الباب لغير راس حذائه .

وما كاد يجوز الدراجة حتى نزل وعاد الى مكانه على الدرجة الخشبية ، وهو يشعر انه قد نجا من كارثة حقيقية .

فجأة وقفت الحافلة . اعترضتها سيارة واجبرتها على الوقوف ،وهبط من السيارة شرطي ، اسرع نحو « ابي كايد » فامسكه من يدهوارغمه على النزول ، ثم اوما الى سائق الحافلة الذي مد راسه من الباب فعادت الحافلة تنطلق من جديد .

لقد ذعر ابو كايد . صار كتلة رعب تنتفض في جزع بين يدي الشرطي، ورفع راسه بسرعة نحوه فاصطدم بوجهه الجامد ونظرته الحازمة . ومع ذلك فقد تكلم ابو كايد واخذ يتوسل . ومدت صبحية نفسها من الباب وهي تبكي وتولول . وارادت ان تقذف جسمها الى الطريق نحو ابيها ، فامسكها بعض من حولها .

ما عادت تعي من امرها شيئا . نسيت كل شيء عندما رات اباها يبتعد عنها ويخلفها وحيدة في الحافلة.

منذ هنيهة كانت تفكر برشاد بك وزوجته الجميلة واولاده الصغار . انها تعرفه جيدا . نصف الضيعة له. وتذكر زوجته واولاده ، فانه كثيرا ما كان يصطحبهم معه حين يأتي الى الضيعة . كانت تركض نحو السيارة لتتمتع برؤية مصابيحها البراقة ، وتتطاول باقدامها لترى ما في داخلها. ولطالما اشتهت لو تستقر في المقعد.. فتسند ظهرها وترخي ساقيها وتروح السيارة تطوى بها الارض. نحو لا شيء .

.. لكن اباها يبتعد .. والشرطي يهزه بيده ، من كتفه بقوة .

دمشق — نصرالدين البحرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعراؤنا الكبار الماضون الذين حفلت وتحفل ابدا ندواتنا ومدارسنا ومنازلنا بذكرهم ، والذين توجوا تاريخنا الادبي بالشعر القوي الاصيل ، والذين وسموه في نفس الوقت بسمة الخنوع والكدية ، هل يصح ان نعتبرهم وحدهم نماذج الشعر العربي ؟

فمنذ الجاهلية ومنذ النابغة والاعشى ، منذ غيرهما من امثالهما الذين تغنوا بحياة الصحراء العربية بنجومها اللوامع وسيوفها القواطع ورمالها الموارة .. بتلك العشايا حول الاخبية والمنازل والخيام ، بالنؤى والطلل والبقايا الداثرة ، بالوهج الوقاد والسنا المتألق والسراج الخابي .

منذ اولئك حتى جرير والفرذق والاخطل ، ثم حتى ابو تمام والبحتري والمتنبي ومن هم في مستوى هؤلاء او دون هؤلاء .

كان يمكن ان يكون ذلك عار الشعر العربي ، العار الذي يدفعه بما يزري ويحط ، ولا يجعلنا ممن يتحدثون عنه حين تتحدث الامم عن شعرها .

شعراء احرار

ولكن هل صحيح ان طابع شعرنا هو هذا الطابع وحده ؟ وان شعراءنا ممن لايحسن الاتيان بهم حين تأتي كل امة بشاعرها ؟!

ان ذلك صحيح اذا اتخذنا من شعرائنا المشهورين وحدهم معيار الشعر العربي واذا حصرنا درسنا وتدريسنا فيما فرضوه من قصائد وابيات . وهذا هو الاسف هو الواقع الذي نعيشه منذ بدأنا نعالج درس الادب والشعر ، فمناهجنا لا تعدو اولئك الاعلام وبحوثنا لا تتجاوزهم في شيء .

الشعر العربي بين المكدين والمجدين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظرة واحدة للشعر العربي

منذ اولئك حتى توالي العصور ، وتتابع الايام ظلت نظرتنا الى شعرنا العربي نظرة واحدة ورأينا فيه رأيا واحدا . تلك النظرة وذلك الراي يقومان على ان المدح هو ركيزة الشعراء ، والاستجداء هو اسلوب حياتهم ، وانهم لا يتورعون في هذا السبيل عن نعت الادهم بالبياض والاسود بالنصاعة ، وانهم مع القوة والمال يميلون حيث مالا ويمشون إنى مشيا ، وانهم لا يعنيهم الصدق ، ولا تشغلهم الاستقامة ، ولا مانع لديهم من المدح في الصباح ثم الهجو ممدوح الصباح في المساء ، ما دام ذلك ينيلهم بغيتهم ويوصلهم الى المال .

هذه النظرة لشعرنا العربي نظرة فيها الكثير من الحق ، بل فيها الحق كله ، فبين ايدينا من المواقف ما يخزى به الكريم ، ولا يطيق ذرة منه الشهم العزيز .وقد

واذا تركنا العصر الجاهلي الذي لم يكن فيه للعرب قضية يتبنونها ، ولا اهداف يعنون بها ، ولا عقيدة يذيعونها ، بل كانت قضاياهم قبلية واهدافهم عشائرية وعقيدتهم وثنية.

اذا تركنا العصر الجاهلي وما فيه من الشعر الملتزم برأي معين يحميه ، وموقف صريح ينافح عنه ويدعو له ، اذا تركنا ذلك وانطلقنا الى العصر الاسلامي ، بعد ان صار العرب ذوي قضية وحملة رسالة واصحاب عقيدة ، فاننا نرى في الشعر العربي ما يشرف هذا الشعر وما لا يجعلنا نخجل باصحابه وحملته ، هذا اذا تجاوزنا الكبار ونقبنا في الزوايا عمن سترتهم الظروف وحجبتهم الاغراض واهملهم الضعف . وممن لم يكونوا عشراء الملوك واخدان المتسلطين ورفاق الظالمين .

اذا فعلنا ذلك فاننا سنصل حتما الى نتيجة تجعلنا نعجب كيف يهمل مؤرخو الادب هذه الالوان من الشعر،

وكيف يتجاهلون اصحاب هذه الالمعيات وكيف لايفردون لدراستهم الصفحات الطوال ، ضامين لهم الى من اشتهر وعرف ، ممن قربهم تزلفهم وادناهم استجداؤهم فعاشوا على فتات موائد الملوك وفضلات اوضار الامراء .

واذا كانت الشاعريات المتفوقة لدى هؤلاء تفرض العناية بهم وجعلهم راس مناهج الدراسات ، فان ذلك لا يستدعي ابدا ان لا نفتش عن نماذج من شعرنا العربي لغير هؤلاء فيكون لنا منها ما يضاف الى تراثنا الشعري الخالد .

تجربة رائعة

فيوم استطاع المنحرفون ان ينحرفوا بالفكرة الاسلامية الصافية ، والدعوة الى المحمدية السامية ، الى حكم فردي استبدادي يعنى اول ما يعنى بمصلحة الحكام ومنافعهم وتحكمهم بالشعوب واذلالهم لها ،



بقلم : حسن الامين

ويوم استطاعوا ان (يجمروا) شبان العرب في الوعور النائية ، ويدفعوا فتيان المسلمين الى المجازر القاصية لتصفو لهم موارد الحياة هينة لينة بلا رقيب ولا حسيب، ويوم مضوا في هذا السبيل مخفتين اصوات الاحرار مجهزين عليهم كما حدث يوم استيقظ ضمير والي خراسان ، الاشرس بن عبدالله السلمي فقال ابغوني رجلا له ورع وفضل اوجهه الى من وراء النهر فيدعوهم الى الاسلام فاشاروا عليه بأبي الصيداء صالح بن ظريف مولى بني ضبة ، فقال ابو الصيداء أخْرُجُ على شريطة ان من اسلم لاتؤخذ منه الجزية فوافق الوالي. ولما خرج ابو الصيداء ومعه جماعة من المخلصين اقبل اهل سمرقند ومن حولها على الاسلام وبنوا المساجد ، نجاء دهاقين بخارى الى الاشرس وقالوا ممن نأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عربا ؟ وهنا تذكر الاشرس ان المهمة الموكولة اليه هي ليست السعي لاسلام الناس واستعرابهم ، بل الحصول على اقصى ما يستطيع الحصول عليه من اموالهم .. ورأى ان من فوقه سيطالبونه بالمال وسيلحفون في الطلب وان الاذى سيصيبه على ما فعل فتفتق ذهنه عن ان يبعث الى الجباة ان « انظروا من اختتن منهم ، واقام الفرائض وحسن اسلامه وقرأ سورة من القرآن فارفعوا عنه الخراج (١) » فهو يريد من هؤلاء الذين تجاوزوا كلهم مراحل الشباب وبلغ اكثرهم مرحلة الكهولة والشيخوخة ا نيختتنوا ، ويريد ممن يجهلون العربية ان يتعلموها في الحال وان يحفظوا سور القرآن . يفرض هذا عليهم وهو يعلم انه انما يفرض المستحيل . وخوفا من ان يوجد من يستطيع تحقيق هذا الطلب ، عاد فثنى على رسالته برسالة اخرى يقول فيها : « خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منهم » : يقول الطبري ، « فاعادوا الجزية على من اسلم فامتنعوا» ثم اعلنوا ثورة ضارية يقول عنها الطبري « فكفرت السغد وبخارى واستجاشوا الترك» . وبعد ان يصف الطبري تفاصيل الثورة يقول انها انجلت عن سبعين الف قتيل عربي مسلم ذبحوا على السفوح القفراء والسهوب الجرداء والمفاوز المهلكة.

شعراء المأساة

امام هذه المأساة الرائعة التي سفكت فيها الدماء العزيزة وابيحت فيها النفوس العربية الغالية ، راينا الشعراء لا يقفون متجانفين ، ولا يبتعدون غير مبالين ، ولا يتملقون الغاصبين الحاكمين ، بل راياهم يقفون الى جانب الشعب المضطهد ، ويؤثرون التعبير عن اشجانه والنطق بلسانه ، وسمعنا الشاعر ابن السجف يقول :

اذكرُ يتامى بأرض الترك ضائعة
هزلى كانهم في الحائط الحجل
وارحَمْ والا فهبها امة دمرت
لا أنفس بقيتْ فيها ولا ثقل
لاقوا كتائب من خاقان معلمة
عنهم يضيق فضاء السهل والجبل
لما راوهم قليلا لاصريخ لهم
مدوا بايديهم لله وابتهلوا

وسمعنا الشرعبي الطائي يقول :

تذكرت هندا في بلاد غريبة
فيالك شوقا هل لشملك مجمع
تذكرتها ، «والشاش» بيني وبينها
وشعب عصام والمنايا تطلع
بلاد بها خاقان جم زحوفه
ونيلان في سبعين الفا مقنع
اذا دب خاقان وسارت جنوده
اتتنا المنايا عند ذلك مشرع

هنالك هند ، ما لنا النصف منهم
وما ان لنا يا هند في القوم مطمع
الا رب خود خدلة قد رأيتها
يسوق بها جهم من السفد اصمع
احامي عليها حين ولى خليلها
تنادى اليها المسلمين فتسمع
تنادى باعلى صوتها صف قومها
الا رجل منكم يغار فيرجع
فما جاوبوها غير ان نصيفها
بكف الفتى بين البرازيق اشنع
الى الله اشكو نبوة في قلوبها
ورعبا ملا اجوافها يتوسع
فمن مبلغ عني الوكا صحيفة
الى خالد من قبل ما نتوزع
بان بقايانا وان امرنا
اذا ما عددناه ، الذليل الموقع
هم اطمعوا خاقان فينا وجنده
الا ليتنا كنا هشيما يزعزع

وسمعنا ابن عرس يقول :

اين حماة الحرب من معشر
كانوا جمال المنسر المارد
بادوا بآجال توافوا لها
والعائر المهل كالبائد
فالعين تجري دمعها مسبلا
ما لدموع العين من زائد
كنا قديما يتقى بأسنا
وندرأ الصادر بالوارد
حتى منينا بالذي شامنا
من بعد عز ناصر آيد
فتقت ما لم يلتئم صدعه
بالجحفل المحتشد الزائد
تركتنا اجزاء معبوطة
يقسمها الجازر للناهد
ترقت الاسياف مسلولة
تزيل بين العضد والساعد
تساقط الهامات من وقعها
بين جناحي مبرق راعد
اضحت (سمرقند) واشياعها
احوثة الفائب والشاهد
وكم ثوى في (الشعب) من حازم
جلد القوى ذي مرة ماجد
يستنجد الخطب ويغشى الوغى
لا هايب غس ولا ناكد
ليتك يوم الشعب في حفرة
مرموسة بالمدر الجامد
لا تحسبن الحرب يوم الضحى
كشربك المزاء بالبرد
ابغضت من عينك تبريحها
وصورة في جسد فاسد
خمسون الفا قتلنا ضيعة
وانت منهم دعوة النكد

شاعر الثورة

ومن قبل ذلك عندما ابادت اوامر الحجاج الجيش الاسلامي وقضت على زهرة شبابه ونخبة كهوله متخلصة منهم لتنفرد بالشعب المهيض ، وعندما حار هذه الاوامر ان تعيد الكرة فتتخلص ممن بقي وتفني لم يكن قد فني ابى الاحرار ان يستسلموا للر استسلام الغنم للجزار فعقدوا مؤتمرهم الفذ وتدار فيما هم فيه وفيما ينبغي لهم ، ودارت مناقشات اعلى مستوى من مناقشات مؤتمرات الاحرار مما ر الطبري في تاريخه الكبير مفصلا . وكان مما جاء اقوال المؤتمرين قول عامر بن واثلة الكناني الذي قال « ان الحجاج لا يرى فيكم الا راي القائل لاخيه احم عبدك على الفرس فان هلك هلك وان نجا فلك ، الحجاج لايبالي والله ان يخاطر بكم فيقحمكم بلادا كا اللهوب واللصوب فان ظفرتم فغنمتم اكل البلاد و المال وكان ذلك زيادة في سلطانه ، وان ظفر عدوكم انتم الاعداء البغضاء الذين لا يبالي عنتهم ولا يـ عليهم » .

وانتهى الامر الى ثورة شعبية عارمة .

وهنا كان الشعر حاضرا ومع الثوار ثائرا ، كان اعشى همدان يابى تملق السلطة وتزلف الحكـ فسار للكفاح من السائرين وثار للحق العربي الثائرين ، وقد كان له مندوحة عن ذلك ، ولكنه الحسام بيد والقلم بيد ومضى امام الثوار منشدا .

انا سمونا للكفور الفتان
حين طغى في الكفر بعد الايمـ
بالسيد الغطريف عبد الرحمان
سار بجمع كالدبى من قحطـ
ومن معد قد اتى ابن عدنان
بجحفل شديد الارنـ
فقل لحجاج ولي الشيطان
يثبت لمذهج وهمد

ثم دفع دمه ثمنا لوقفته تلك واستشهد المستشهدين .

هؤلاء وما اكثر هؤلاء بين شعرائنا هم الذ يشرفون الشعر العربي ويثبتون انه كان شعر نضـ واباء . وانه اذا كان بين الشعراء مستسلمون مكدو فقد كان فيهم مستبسلون مجدون .

بيروت — حسن الامين

(١) راجع تفاصيل هذه القصة وامثالها في تاريخ الطبري

القدس القدس



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

■ مغناة شعرية

القدسَ ... القدس
القدس ... القدس

° ° ° °

ومآذنُها تَهْتِفُ بالناسِ
ومآذنُها تَهتفُ بالناس
الله أكبر :
الله أكبر :

وَحَيَّ على الصلاه
وحيّ على الفلاح
اللهُ أكبر
اللهُ أكبر
القدس ... وفي الناسِ المسرّه
القدس وَحَيّ على الصلاه

° ° ° °

وَتَدُقُّ .. تَدُقُّ الأجْراسُ
وَتَدُقُّ ... تَدُقُّ الأجراسُ
لله المجدُ : في الأعالي
لله المجدُ : في الأعالي
وفي النَاسِ المَسَرّهْ
وعلى الأرضِ السلامْ

° ° ° °



شعر هارون هاشم رشيد



الليلُ ، وأسوارُ الظُلْمَهْ
في كلِ مكانْ
وعيونٌ تُعميها الغُمَّهْ
عَبْرَ الأزمانْ
تَتَرقَّبُ تنتظرُ الكلْمَهْ
وَهْجَ الايمانْ
وتجيءُ الشَمْسُ بشلالات النورْ
من قَلْبِ القُدْسِ تُمزِّقُ استارَ الديجورْ

° ° ° °

فاذا الدنيا كلُّ الدنيا تَنْهَلُ منها
الخيرَ وأشياءٌ كبرى تَنْقُلُ عنها

° • ° °

ومن الميلاد الى الآلامْ
ومن الأعياد الى الأحزانْ
والقدسِ على مَرِّ الأيام
وطنٌ للخير وللايمان
تمسحُ بالكف وبالأقدام
آثامَ العالمِ والطغيانْ

° ° ° °

أرأيتم شلالاتِ النورْ
والوجهَ الوضّاءَ البلورْ

° ° ° °

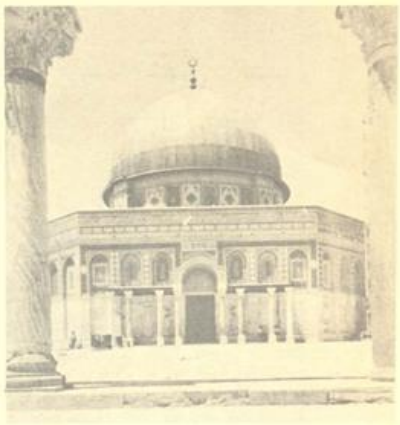
ومحمدُ يخطو والاسراءْ
يجتازُ سماءً بعدَ سماء
ويكبر ... ترتج الأنحاءْ
وتَهلُلُ للقدس الصحراء

° ° ° °

القدس ... ويهدرُ في الأنحاءْ
صوتٌ لله .. وللاسلامْ
يتدفّقُ .. من قلبِ الأضواء
بالخطِ الثابتِ والاقدام
يتقدم .. يهدرُ في الأبواب
الصوتُ المنطلقُ الغلاّبْ
كَبِّرْ .. كَبِّرْ .. يا ابنَ الخطابْ
اللهُ أكبر
اللهُ أكبر
كَبِّرْ .. يا ابنَ الخطاب
كَبِّرْ ترتجُ الدنيا
كَبِّرْ ينهارُ الارهاب
كَبِّرْ في القمم العليا
كَبِّرْ .. كَبِّرْ .. للاصحاب
اللهُ أكبر
اللهُ أكبر

° • ° °

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



مفتاحُ القدس بأيدينا
عَبْرَ التاريخِ بأيدينا
نحن العَرَبَ

° ° ° °

ويُطْلُ الليل .. الليلُ الليلْ
يتقدم يخطو الويلَ الويل
الجندَ الجندَ الخيلَ .. الخيلَ

° ° ° °

الموتُ الاصفرُ والتاتارْ
وجنودُ الذلِّ والاستعمارْ

° ° ° °

ويُطلُ يهوذا والانياب
وأصابعُ دامية الأظفار
تترصدُ تَلْهَثُ بالأبواب
ويعودُ الى القدسِ الغدار

° ° ° °

وخُطى الغازين خُطى الاكعاب
في المَهْد تدورُ وفي المحْرابْ

° ° ° °

يا ربُ .. وتنطلقُ الكلماتْ
تَصْرُخُ في الأقصى والساحات
فاذا الطلقات تلوّ الطلقاتْ
تغتالُ الصَرْخَةَ والكلماتْ
قتلوا في الأقصى من كَبَّرْ
اللهُ أكبر
اللهُ أكبر

° ° ° °

قتلوا في الأقصى من كَبَّرْ
فلْتُرْعِدْ كلماتُنا تزْأرْ
اللهُ أكبر
اللهُ أكبر

° ° ° °

في القدس لقد حُرِقَ الزيتونْ
والوجهُ المُنْكَسِرُ المحزونْ
ويسوعُ ومريمُ والباكونْ

في كلِ شوارعها يبكون
في كلِ أزقتها يبكون
قد عاد يهوذا والجافون
والشوْكُ وأعمدةُ الصُلْبانْ
والليلُ الحالكُ والطُغْيانْ
قد عاد الى القدس الشيطانْ
يغتالُ .. ويَمْتَهِنُ الانسانْ

° ° ° °

وعلى المَوْجات
مَوْجاتِ الريح
تأتي الكلمات
أنّاتِ جريح

° ° ° °

من أجل القدس وَحُرْمَتِها
دُقوا الأقدام
لبيوت الله وصَرْخَتِها
شُدّوا الأعلامْ
لنموتَ .. نموتَ بساحتها
نحمي الاسلامْ
وبأيدينا عن جبهتها
نمحو الآثام

° ° ° °

بالدم سنغسل تُرْبَتَها
ونُعيدُ اليها بَهْجَتَها
ونُزيلُ عن القدس .. الآلام
ونُمزقُ رايات الاجرامْ
ويَحُلُ سَلامْ
في القدس سلام
ويطيرُ حمام
يحمي المسيحيةَ والاسلام
ويحُطُ حمام

° ° ° °

ما كانت الأ عَرَبيَّهْ
القدسُ ... القدسُ العَرَبيَّهْ
وستبقى .. تبقى عَرَبيَّهْ
القدسُ القدسُ العَرَبيَّهْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com